إِرْشَادُ الأَلِبَّاءِ
إِلَى
هِدَايَةِ الأَذْكِيَاءِ

(الشرح الصغير على منظومة «هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء»
للشيخ زين الدين الملَيْبَاري الكبير)

تأليف الإمام العلامة
الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ الإمام
زين الدين الكبير الفُنَّاني الملَيْبَاري الهندي الشافعي رحمه الله
(٩١١ - ٩٩٤هـ)

تحقيق ودراسة
أحمد فتح الباب

راجعه وقدم له
د. عبد النصير أحمد الشافعي الملَيْبَاري

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

إهْـدَاء

۞ إلى **أبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأعلى مقامه في الصالحين،

محمد أحمد فتح الباب

۞ وأبي بعد أبي، أكرمه الله بمنازل الصديقين،

محمد سعيد عبد البر

فقد أجرى الله على أيدي هذين الرجلين

كل ما وصل إليَّ في حياتي من الخير

أوصي كل من قرأ هذا الكتاب أن يدعو لهما

✍ **المحقق**

Scanned by CamScanner

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب: ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي: ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠
نقال: ٠٠٩٦٥٩٩٣٩٦٤٨٠
dar_aldheyaa2@yahoo.com

DAR ALDEYAA
للنشر والتوزيع - الكويت
Publishing & Printing - KUWAIT

www.daraldheya.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

التخليد الفني
شركة دار الكتب العلمية للطباعة والتجليد
بيروت - لبنان

الموزعون المعتمدون

- دولة الكويت:
  - دار الضياء للنشر والتوزيع ... هاتف: ٩٩٢٩٦١٨٠
- المملكة العربية السعودية:
  - دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة ... هاتف: ١١٧١٠ تا ... فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
  - الدار المصرية للنشر والتوزيع - الرياض ... هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ ... فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
  - المكتبة المكية - مكة المكرمة ... هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢ ... فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
  - مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة ... هاتف: ٩٠٠٢٠٠٣٠٣٠٩
- الامارات العربية المتحدة:
  - دار الطيب - أبو ظبي ... هاتف: ٦٦٧٨٩٢٠ ... فاكس: ٦٦٧٨٩٢١
  - مكتبة الطيب - أبو ظبي ... تليفاكس: ٦٣٩١٥٠٢
  - مكتبة الحرمين للنشر والتوزيع - دبي ... هاتف: ٢٧٣١٩٧٩ ... فاكس: ٢٧٣١٩٦٩
- الجمهورية التركية:
  - مكتبة الارشاد - اسطنبول ... هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣١ ... فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
- الجمهورية اللبنانية:
  - دار احياء التراث العربي - بيروت ... هاتف: ٥٤١٠٠٠٠ ... فاكس ٨٥٠٧١٧
  - شركة دار البشائر الإسلامية بيروت/لبنان ... هاتف ٧٠٢٨٥٧ ... فاكس: ٧٠٤٩٦١
  - شركة النعمان - بيروت - كورنيش المزرعة ... هاتف ١٧٠٧٠٢٩
- الجمهورية العربية السورية:
  - دار الفجر دمشق - حلبوني ... هاتف ٢١٢٨٣١٦ ... فاكس ٢٤٥٣١٩٣
  - دار الكتب الطيب - دمشق - حلبوني ... هاتف ٢٤٥١٢٢٦ ... فاكس ٢٢٢١٧٦٠٢
- جمهورية مصر العربية:
  - دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر ... تليفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١ ... محمول: ٠١٠٠٢٤٦٢٦٢٣
- المملكة الأردنية الهاشمية:
  - دار الرازي - عمان - العبدلي ... تلفاكس ٤٦٤٦١١٦
  - دار محمد عابدين للنشر والتوزيع - عمان ... هاتف: ٦٤٦٤٣٢٩٠ ... تماكس: ٦٤٦٤٣٢٨٠
- الجمهورية اليمنية:
  - مكتبة نزيم الحديدة - تريم ... هاتف ٤١٧١٣٠ ... فاكس ٤١٨١٣٠
- الجمهورية الاسلامية الموريتانية:
  - شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط ... هاتف: ٠٠٢٢٣٥٢٥٣٤٦١
- مملكة البحرين:
  - جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق ... هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٣٤٣٥٠ ... فاكس: ١٧٢٢١٣٦٠

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الاشكال او نسخه أو حفظه في أي نظام الكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو اي جزء منه. وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه او ترجمته الى اي لغة اخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

Scanned by CamScanner

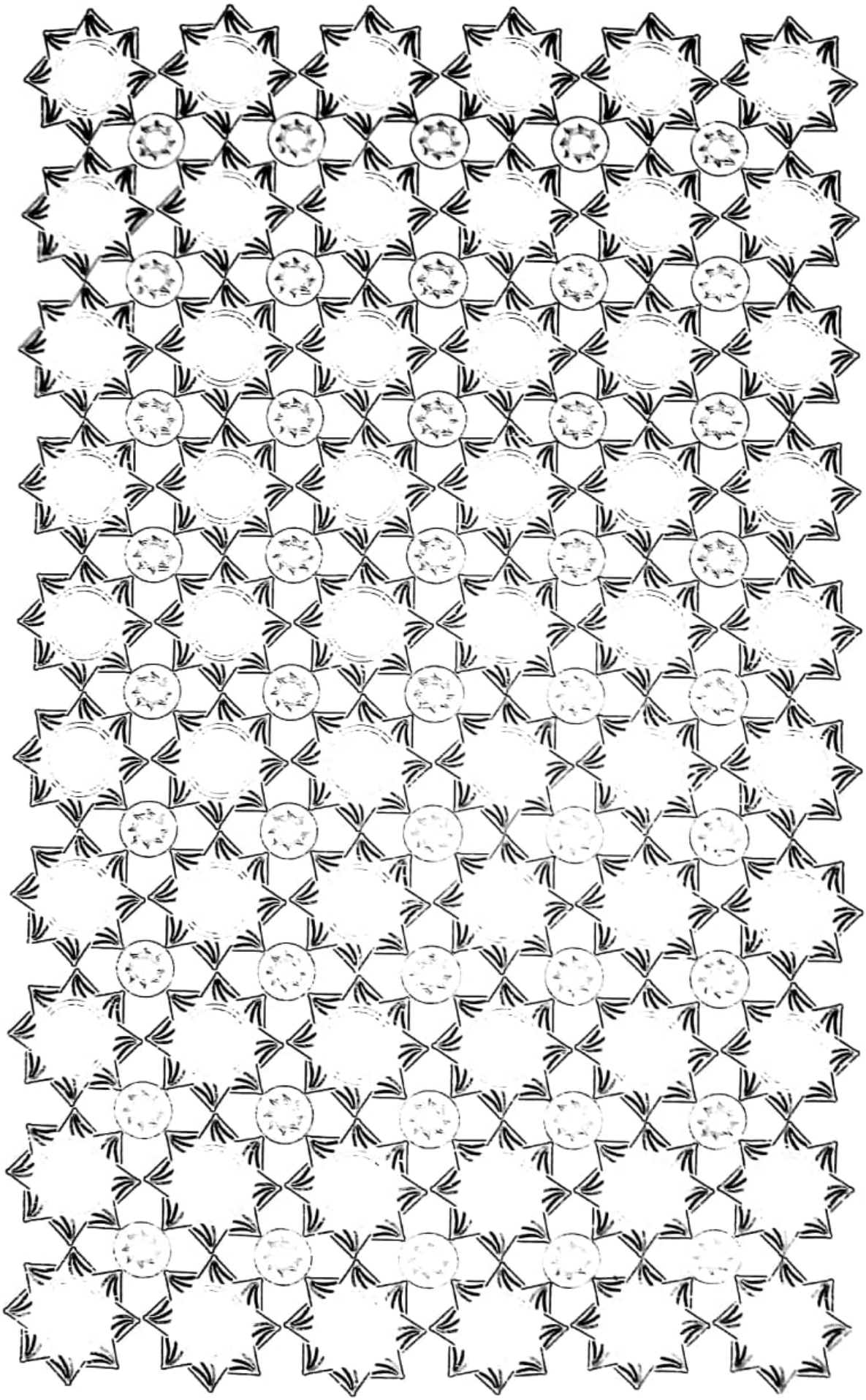

Scanned by CamScanner

تقديم

د. عبد النصير أحمد الشافعي المليباري

الحمد لله الذي حلى سرائر الأحرار بالعقائد الصحيحة المنجية في دار القرار، وهذب ظواهرهم بأسرار الطهارة، وبواطنهم بطهارة الأسرار، وجعل خواطرهم خزائن لدقائق معارفه المحفوفة بالأنوار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفيه المختار، الذي أحيى الله به القلوب إحياء الأرض بوابل الأمطار، وعلى صحابته الخيرة الأبرار وآل بيته السادة الأطهار، والتابعين لهم بإحسان، أولئك لهم عقبى الدار، وبعد،،،

فمن توفيق الله للعبد ولطفه به أن يشغل حياته وأوقاتَه بما ينفع الناس، في دنياهم وأخراهم، وإن من أنفع الأشياء بلا شك العلمَ بالله عز وجل، والفقهَ في دينه، من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، وهذا العلم هو الذي يتناوله ويعالجه علم التصوف. وقد أُلِّفتْ فيه عشرات بل مآت الكتب، اهتدى بها من اهتدى، وانسلك بها من انسلك، وما زالت مكتباتنا في الأقطار الإسلامية عامرة وثرية بهذا التراث المبارك، لم يطبع منه إلا القليل بل أقل من القليل.

ومن أفضل كتب هذا الفن كتاب «هداية الأكياء إلى طريق الأولياء» للإمام الشيخ زين الدين المليباري الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتاب منظوم سهل الحفظ والفهم، وقد اختاره مشايخنا وكذا مشايخهم في «مليبار» ضمن المنهج الدراسي في مادة التصوف منذ ظهر الكتاب، ودرسناه في الصغر، ولا نزال ندرسه

Scanned by CamScanner

ونتدارسه. وقد وصفه أحد الفضلاء قائلا:

«نفائس الدرر» كتاب «الأذكياء» «جوهرة التوحيد» رزق الأصفياء

هذِي الثلاثةُ رِزْقُهَا لِلْوَالِي حَتَّى يَزُولَ الإنجليزُ الوَالِي

وقد دعا الإمام الشيخ زين الدين من خلال هذا الكتاب وغيره من كتبه أبناءَ الإسلام إلى منهج أهل السنة والجماعة في قضايا «الإيمان» و«الإسلام» و«الإحسان»، وهو المنهج الذي سلكه الأئمة الأربعة: أبو حنفية، ومالك والشافعي وأحمد، والإمامان الجليلان: أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي، وأمثال الجنيد البغدادي والحارث المحاسبي والغزالي ومن سار على نهجهم من أعلام الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وهو المنهج الذي ينبغي أن يسلكه كل من أراد النجاة في الآخرة، وابتغى مرضاة رب العالمين، وإليه ندعو الناس بكل ما نملكه من قوة، في خلال دروسنا وإصداراتنا ودراساتنا، والدعوة إليه في هذه الفترة المتدهورة علميا ودينيا من أوجب الواجبات على كل غيور على دينه، وينبغي أن تتصف بالعلم والحلم والحكمة والبصيرة؛ حتى يتم القضاء على أنواع الجهل والبلادة والخرافة والبدعة والدعوات الغريبة والاتجاهات المريبة، التي ينشرها «دجالون كذابون»، ما سمعناها نحن ولا آباؤنا من قبل.

وكان لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله رحمة الأبرار تأثير واضح في حياة الشيخ زين الدين وأبنائه وحفدته، بل في حياة مسلمي «مليبار» عامة، وستجدون بعض دلائله حين تقرؤون «الأذكياء».

وقد شرح هذا الكتاب ابنه الشيخ عبد العزيز المعبري المليباري رَحِمَهُ اللَّهُ بشرحين، أصغرهما «إرشاد الألباء»، وقد أتحفني بنسخة خطية من هذا الشرح أخونا الفاضل الشيخ أبو بكر الثقافي الجزري الشافعي ـ نسبة إلى جزيرة «أَكَتِّي»

Scanned by CamScanner

الهندية، الواقعة بالقرب من «مليبار» ـ رجاء أن أنشره، فله من الله الأجر الجزيل على حسن قصده وجميل صنعه، وأشكره وأدعو له بالتوفيق والقبول.

وكان الفضل في خدمة هذا الشرح تحقيقا ودراسةً لأخينا الفاضل الأستاذ أحمد فتح الباب، من خيرة شباب أهل السنة والجماعة في مصر، وهو ممن تربطني به صلة المحبة وأواصر المودة في هذا البلد الطيب حرسها الله من كيد الكائدين، وكانت ـ ولا زالت ـ لنا جلسات علمية نتدارس فيها كتب الأئمة في الفقه والأصول والكلام والمنطق وغير ذلك، فوجدته من أذكياء الحاضرين وأكثرهم أدبا، وإني لجد سعيد بما قام به من عمل وخدمة في حق هذا الكتاب، وهو بذلك نال توفيقا أي توفيق؛ حيث ساهم في خدمة تراث عظماء الإسلام، والله أسأل أن يقبله خالصا لوجهه، وينفع بعمله الأمة الإسلامية، كما نفع بكتاب «الأذكياء» وشروحه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. عبد النصير أحمد الشافعي المليباري

كان له مولاه الباري

القاهرة/ مصر

٢٧/ ربيع الأنور/ ١٤٣٤هـ=٨/فبراير/٢٠١٣م.

Scanned by CamScanner

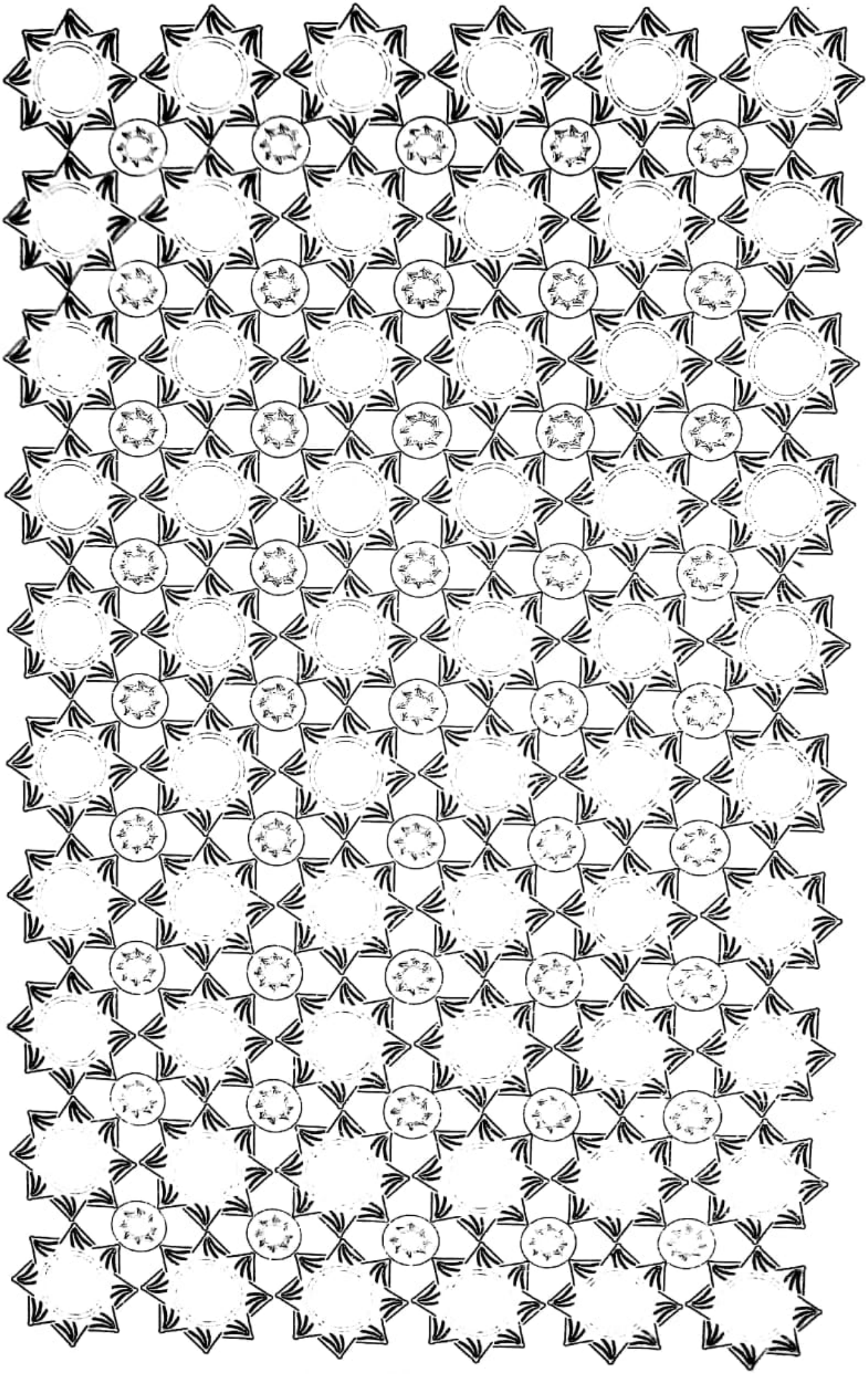

Scanned by CamScanner

مُقدّمة المحقّق

الحمد لله الذي لا تحصى مواهبه، ولا تنفد عجائبه، ولا تحصر له منن، ولا تختص بزمن دون زمن. والصلاة والسلام علي نعمة الله الكبرى على العالم، سيد ولد آدم، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، سيدنا محمد وعلي آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الذين شادوا الدين، وشرَّف، وكرَّم، وعظَّم.

وبعد، فيروى أن رجلا حكيما حمل مصباحا فى وضح النهار، وسار به في الطرقات، فرآه أحدهم وتعجب من صنيعه فسأله، فقال الرجل: (أبحث عن إنسان!) هكذا سعي الإنسان الحثيث وقد مشى في عالم الأشياء، في لجة من ظلمات الظاهر، أن يتخلى عن سجن الجسد، ويستضيء بنور العقل، وتحترق ذراته بأنوار المعرفة التي يصل لظاها إلى القلب، فينطلق إلى فضاء الروح. ذلك العالم الذي لا نهاية له. تبدأ هذه الرحلة وهذا السعي ـ دائما ـ من ذات الإنسان، قلبه وعقله وروحه.

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك ولا تشعر

وتزعم أنك جِرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

رحم الله شيخنا الشيخ عبد المنعم تعيلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يكرر كلمة سمعتها منه عشرات المرات، يقول: (نتعلم ما يصير به الإنسان إنسانا، قبل أن نتعلم ما يصير به المسلم مسلما). فلو أن ثلاثة من الناس ذهبوا إلى نهر واحد عذب

Scanned by CamScanner

الماء، يحمل أحدهم وعاءا طيبا، والآخر وعاءا مثقوبا، والثالث وعاءا مليئا بالوسخ، ثم ذهبوا وصبوا في أوعيتهم من نفس النهر ماءا عذبا.. كيف يكون حال كل منهم؟ الأول ينتفع بالماء، والثاني يرجع بخفي حنين لا يمسك وعاؤه الماء، والثالث يضره ذلك الماء بعد أن اختلط بقاذورات قعر وعائه. هذا النهر العذب هو الإسلام، وهذا الوعاء هو الإنسان الذي يتلقى الشرع الشريف فإما أن يؤثر فيه إيجابا، أو لا يؤثر أصلا، أو يؤثر سلبا ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾. والعجيب أن نفس الآيات التي تزيد المؤمنين إيمانا، تزيد الذين في قلوبهم مرض رجسا.

وبهذا تكتمل منظومة التربية الإسلامية التي سطرها أئمة العلم والتصوف على مدى ذلك التراث الإسلامي العظيم، بعد أن استوعبوا كلام صاحب الرسالة في الوعي، واختبروا أنفسهم في ميدان السعي.. تسليم لأحكام الله في الظاهر، وتهذيب للنفس في الباطن، واستعداد لأنوار يفيض بها النور سبحانه. فهي شريعة، وطريقة، وحقيقة.

(الشَّريعةُ جاءت بتكليف الخَلْقِ، والحَقِيقَةُ جاءت بتعريف الحَقِّ. فالشَّريعَةُ أن تَعْبُدَهُ، والطريقةُ أن تَقْصِدَهُ، والحقيقةُ أن تَشْهَدَهُ. ثُمَّ إنَّ الشَّريعَةَ قيامٌ بما أمر به وبصَّر، والحقيقةَ شهودٌ لما قضى وقدَّر. وهذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: الشَّريعةُ أقوالُهُ، والطَّرِيقَةُ أفعالُهُ، والحقيقَةُ أحوالُهُ. فشريعَةٌ بلا حقيقة: عاطلة، وحقيقةٌ بلا شريعة: باطلة، ولهذا قالوا: «من تشَرَّع ولم يتحقَّق

Scanned by CamScanner

فقد تعوَّق أو تفسَّق، ومن تحقَّق ولم يتشرع فقد تهرطَقَ أو تزندق»[1].

وهنا تبرز الدنيا...

ذلك الزخرف الذي يبهر لمعانه الأعين، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يصرف الإنسان عن تلكم الرحلة في أعماقه إلى تلك المادة الكثيفة الثقيلة. وهنا يحتاج إلى مصباح الرجل الحكيم، إلى نور الوحى، ومعارف الأولياء، ينادونه أن انظر حولك.. فما ثمَّ إلا أوهام قد اتخذت صورا، وأصنام من الحجارة أو من غيرها قد عبدها الناس، وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء. إن الدنيا والآخرة كالشرق والغرب، كلما ازددت من أحدهما قربا، ازددت من الآخر بعدا.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أحد مصابيح الطريق، حمله إلينا رجل عظيم من رجالات الإسلام، الشيخ زين الدين الكبير الماليباري، من الهند التي طالما أتحفت أهل الإسلام بالعلماء والصالحين والمجاهدين. متنٌ وضعه لمن يريد أن يلتفت، ويبدأ تلك الرحلة مقتديا بمن سار فيها واستضاء بأنوارها وحمل مصباحا ليرشد السالكين. وقد شرحه ونشر أنواره نجل المؤلف الشيخ العلامة عبد العزيز بن زين الدين الماليباري، أظلهما الله بسحائب الرحمة والرضوان.

وليعذرني القارئ الكريم قبل الشروع في المقصود أن أطيل بعض الشيء في شكر بعض من له علي فضل كبير عميم؛ فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

فإنني إذ أقدم خدمة متواضعة في إخراج هذا الكتاب، أشكر سيدي ومولاي الشيخ عبد النصير بن أحمد المليباري حفظه الله ونظر إليه بعين العناية والرعاية، الذي بدأ تحقيق الكتاب قبلي، وكتب مقدمته، ثم أنعم علي وتفضل

(١) من كلام الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم رحمه الله ورضي عنه.

Scanned by CamScanner

فأعطاني مخطوطته لأكمل العمل، وصبر على تأخيري وانشغالي، وعلمني طرفا من علوم أهل الإسلام ومما تعلمه في بلدته «مليبار» المباركة، فطوق عنقي بمنه وفضله وتكرمه.. فلو أن لي ملأ الأرض ذهبا لأرد له معشار فضله عليّ ما كفاني.. فالشكر لله على أن شرفني بمعرفته.

وأشكر كذلك مشايخنا الأحباب، من لا يزالون يتفضلون علينا كل لحظة وكل نفس، مولانا الشيخ المفسِّر عبد المنعم تعيلب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والوالد الحبيب الشيخ الجليل المهيب محمد سعيد عبد البر، والأستاذ القدوة الشيخ رضوان صمدي، والأستاذ الفقيه الشيخ سالم الخطيب، ومولانا الشيخ سعيد فودة، ومولانا الشيخ الحبيب المشهور بن حفيظ، وسيدنا الشيخ الحبيب عمر بن حفيظ، وسيدنا الشيخ محمد علي الخطيب، وسيدنا الشيخ سالم الشاطري، وسيدنا الشيخ عمر بن حسين الخطيب، وسيدنا الشيخ عصام الصاري، وسيدنا الشيخ محمد عوض المنقوش، وسيدنا الشيخ فيصل العلي، وسيدنا الشيخ محمد أمين سراج، وسيدنا الشيخ حمدي أرسلان، وسيدنا الشيخ شفيق أبو سعدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسيدنا الشيخ علي صالح، وسيدنا الشيخ إبراهيم المالي، وسيدنا الشيخ محمود الدحلة، وسيدنا الشيخ الحبيب زين بن سميط، وسيدنا الشيخ فتحي حجازي، وسيدنا الشيخ علي النجار، والشيخ أشرف صيقلي، وأخص بالشكر مولانا وسيدنا الشيخ الشهيد الثائر الشريف المجاهد الصالح الورع القدوة عماد الدين عفت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وألحقنا به، وأمثالهم ممن تتعطر بذكرهم الألسنة وتزدان بحضورهم المجالس. وإخواننا من طلبة العلم محمد جمعة، وأسامة البعزاوي، وياسر فهمي، والأصدقاء مصطفى سعيد، وعمر فخري، ومحمود الشافعي، وإبراهيم الهضيبي، ومحمد لطفي، وغيرهم من الأحباب.

Scanned by CamScanner

كما أشكر أمي التي صبرت على سوء خلقي صغيرا وكبيرا، وكانت نعم الموجِّهة المؤمنة الصابرة، لا حرمني الله صالح دعواتها ما حييت، وسائر أخوتي الكرام عمرو وخالد وفاطمة على أفضالهم التي لا تنقطع، وسائر الأحباب الذين ساعدوني على إتمام العمل، أسأل الله أن يجزل لهم العطاء في الدنيا والآخرة.

والله القدير أسأل، وبنبيه الكريم أتوسل؛ أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله ذخرا لصاحب المتن وصاحب الشرح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا غالب إلا الله.

أحمد فتح الباب

القاهرة، ٥/٢/ ٢٠١٣

Scanned by CamScanner

جامع «فُنَّانْ» الكبير الذي بناه الشيخ زين الدين المليباري

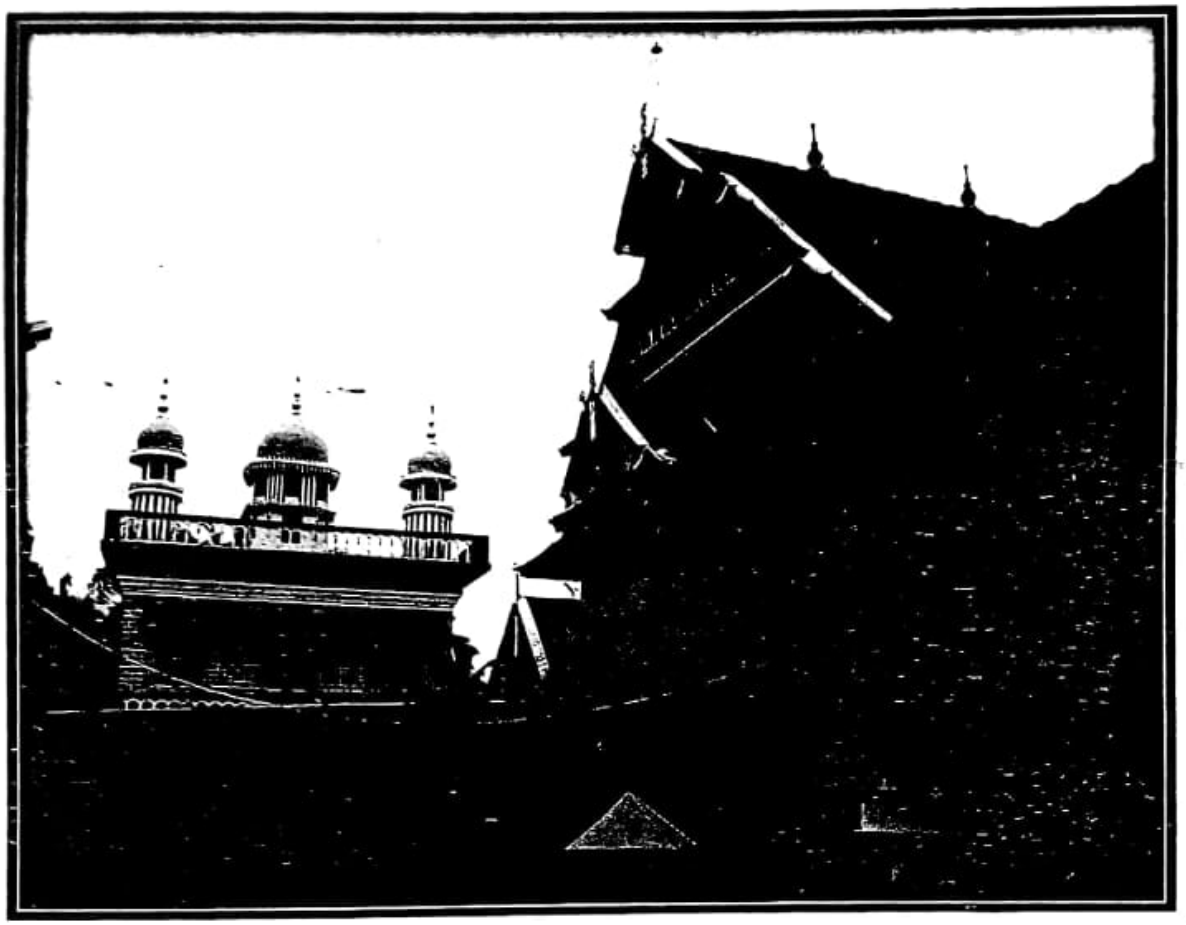

جامع «فنان» الكبير ـ PONNANI GRAND MOSQUE ـ الذي بناه الشيخ الإمام زين الدين الفناني المليباري، صاحب نظم «هداية الأذكياء» (٨٧٣ ـ ٩٢٨هـ)، وله تاريخ مجيد، ولا يزال باقيا معمورا بإقامة الشعائر الدينية والحلقات العلمية، وفي هذا المسجد جلس شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي، استجابة لدعوة تلميذه الشيخ زين الدين المليباري الصغير الحفيد، صاحب فتح المعين، رضي الله عن الجميع. وما نراه في واجهته هو قبة يوجد بها ضريحه وضريح ابنه الشيخ الإمام عبد العزيز المعبري المليباري، صاحب كتابنا هذا.

Scanned by CamScanner

لمحة موجزة عن الناظم والشارح()

الشيخ زين الدين، صاحب «هداية الأذكياء»

- المبحث الأول: أسرة الشيخ زين الدين.
- المبحث الثاني: اسمه ونسبه.
- المبحث الثالث: مولده ونشأته وأساتذته.
- المبحث الرابع: عائلته.
- المبحث الخامس: خدماته العلمية وأبرز تلاميذه.
- المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية.
- المبحث السابع: وفاته.

( ) من كتاب (تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية) للشيخ عبد النصير المليباري. الإصدار الأول ـ دار الفتح، عمان. الإصدار الثاني ـ دار البصائر، القاهرة.

Scanned by CamScanner

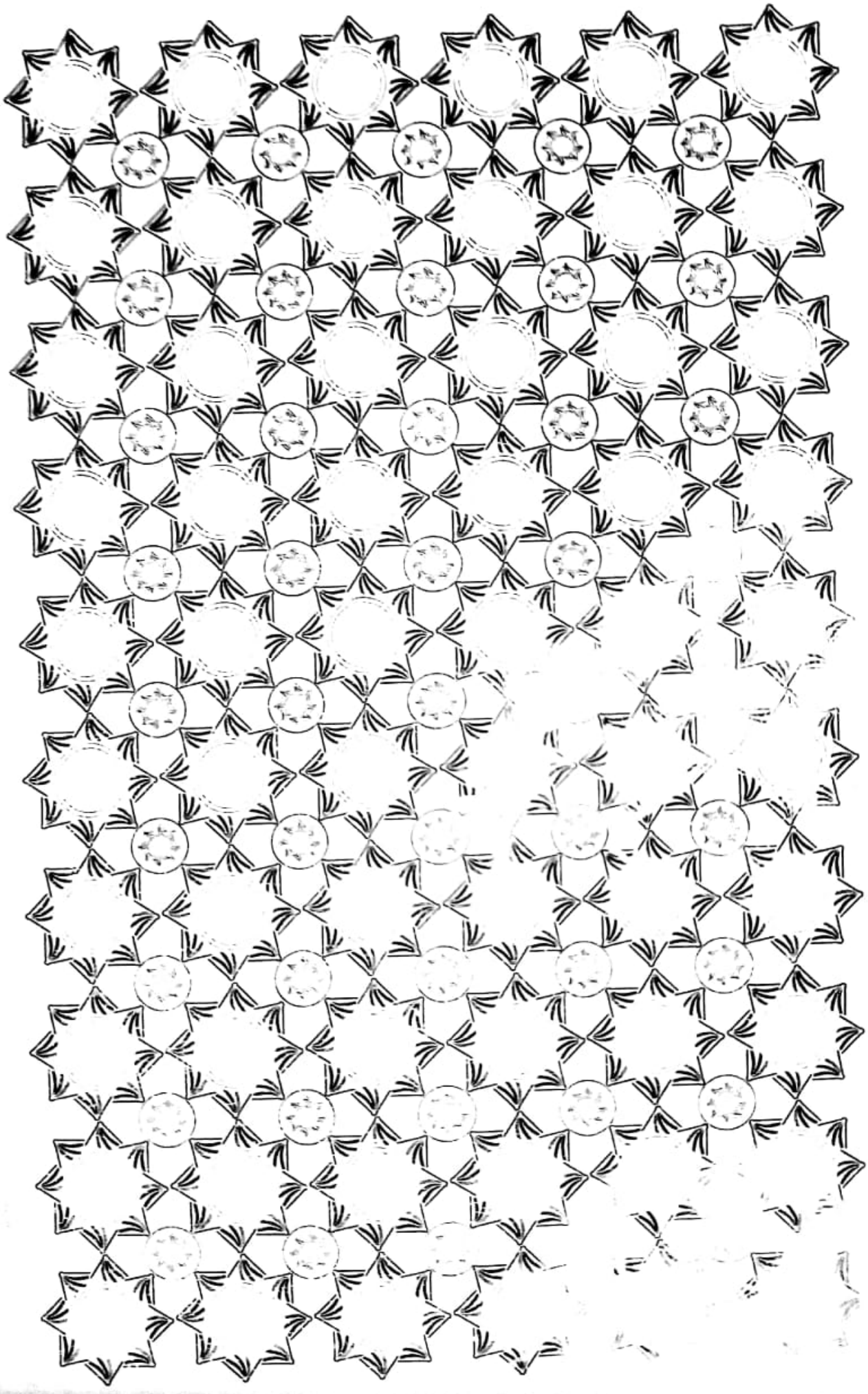

Scanned by CamScanner

المبحث الأول

أسرة الشيخ زين الدين

قبل أن نتحدث عن شيخنا الجليل زين الدين الأول ينبغي أن نتعرف ـ في حدود استطاعتنا ـ على أسرتهما الشهيرة بأسرة «المخدوم»، والتي كان ـ ولا يزال ـ لها نفوذ قوي، وسهم قيادي في حياة الأمة المسلمة في كيرلا، بل في المجتمع الكيرالي بصفة عامة.

يخبرنا التاريخ أن أسرة «المخدوم» قد وصلت إلى بلاد «مليبار» في أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وكان مؤسس هذه الأسرة في كيرلا الشيخ القاضي زين الدين إبراهيم بن أحمد ـ عم الشيخ زين الدين الأول ـ الذي وصل أولا من المعبر[1] عن طريق كيراكرا (Keelakkara) وكايل بتنم/قاهِرْ فَتَنْ (KayalPattanam) في ولاية تامل نادو الهندية إلى كوشن (Cochin)، ثم انتقل إلى فُنَانْ/ بُنَّانِي (Ponnani) حيث أقام هناك مشتغلا

(١) يقول الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم: «من المعبر في اليمن» غير أني لا أعتقده صوابا، إذ المعبر «جزء من قارة الهند الكبرى... وهي أعظم وأغنى أقطار العالم طرا» على ما يصفه ماركوبولو في رحلاته، وهو من الذين زاروا هذه المنطقة وكتب عنها وعن أهلها بأكثر مما كتب عنها الشيخ زين الدين. انظر رحلات ماركوبولو مع تعليقات المترجم عبد العزيز جاويد: ٣/٣٩ ـ ٥٢، ٣/١٨٠ ـ ١٩١، والسنا الباهر للسيد محمد الشبلي اليمني: ٢٥٥ والدكتو الألوائي في رسالته (٢٠٨) قال عن المعبر: «... الواقعة في الجنوب الشرقي لساحل مليبار... المعروفة الآن باسم «كورماندل».

Scanned by CamScanner

بالخدمات الدعوية والتربوية[1].

طابت الحياة لهذه الأسرة الكريمة العريقة بفنان، واندمج أهلها مع أهل فنان، حتى أصبح آل مخدوم عمدة هذا البلد كله؛ بل بلاد مليبار بأكملها؛ يرجع إليهم في المعضلات ويلاذ بهم في الملمات، سواء فيه المسلم وغير المسلم.

ضُربت بهم أروعُ المُثل في العدل وحب الخير والسماحة، ولا غرو إنهم جميعا أئمة الإسلام، طبقوا تعاليمه في حياتهم الفردية والاجتماعية، الثقافية والسياسية؛ بل في شتى مرافق الحياة، وعلموا الأجيال جيلا بعد جيل سماحةَ الإسلام وصلاحيته لكل عصر وفي أي مجتمع.

نحمد الله العلي القدير على هذه النعمة الجليلة، التي أنعم بها على أهل الهند، مازالت آثرها الباقية تمدهم بشعلةِ نورٍ في ممرات مظلمة، وبارقةِ أملٍ في قلوب باكية، رغم كل المحاولات المتلاحقة التي بذلتها جبابرة الاستعمار وبرابرة الاستشراق ـ ويظل يعمل لصالحهم بعض عملائهم الخائنون من أهل الهند للأسف ـ لطمس آثار الإسلام من الوجود.

وقد سجل لنا أحد الباحثين العرب مجد هذه الأسرة وعزها ومكانتها في قلوب أبناء «مليبار»، وأعرب عن بالغ تقديره واحترامه، حينما أتيحت له فرصة طيبة لزيارة هذا البلد وزيارة عالمه الزاهد الصوفي الذي يرقد بجوار الجامع الكبير[2].

** ** **

(١) انظر مقدمة الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم الكندوتي المليباري لتحفة المجاهدين، طبعة مكتبة الهدى كاليكوت: ٧.

(٢) انظر تاريخ المسلمين في الهند للدكتور عبد المنعم نمر: ٦١.

Scanned by CamScanner

المبحث الثاني
اسمه ونسبه

أما الشيخ زين الدين الكبير فهو: العلامة الإمام قدوة الأنام، أبو يحيى، زين الدين بن على بن أحمد الشافعي الأشعري المليباري.

المبحث الثالث
مولده ونشأته وأساتذته

ولد بمدينة «كُوشِنْ» (Cochin) من مدن «كيرالا»، بعد طلوع شمس يوم الخميس، الثاني عشر من شهر شعبان، سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاثة ـ على أقوال ـ وسبعين وثمانمائة (٨٧٣ هـ/١٤٦٧م)[1]. كانت نشأته الأولى في محل ولادته، وترعرع هناك إذ درس على يد عمه الشيخ زين الدين إبراهيم المذكور.

وأما أساتذته ومشايخه:

---

(١) انظر مقدمة العلامة الشيخ محمد كتي الكَيْفَتَّاوِي (Kaippatta) المليباري لشرحه ـ المسمى بمعلم أولي الألباب بلطائف مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب للشيخ زين الدين الكبير ـ ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني: ٣٤١/١، ٣٤٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٤٧/٧، الأعلام للزركلي: ٦٤/٣ والدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية، رسالة الدكتوراه ـ كلية أصول الدين جامعة الأزهر ـ لمحي الدين الآلوائي المليباري: ٢٠٨. والذي رجحه ـ أثناء مقابلتي له ـ الأستاذ الشيخ محمد على مسليار هو القول بـ٨٧١هـ.

Scanned by CamScanner

١ - فإن أول أستاذ للشيخ زين الدين الكبير هو عمه الشيخ زين الدين إبراهيم، حيث درس عليه في «كُوشِنْ» (Cochin) أولا، ثم انتقل إلى «فنان» ليتولى مهمة القضاء هناك، فرافق التلميذ أستاذه إلى «فنان». وهنا قرأ القرآن الكريم وحفظه، وبها تلقى العلوم الدينية واللغة العربية على يد عمه.

٢ - ودرس في «فنان» أيضا على الشهاب أحمد بن عثمان بن أبي الحل اليمني، درس عنده الفقه والحديث وغيرهما، وقرأ عليه «الكافي في علم الفرائض»[١].

٣ - ومن أساتذته أيضا الشيخ أبو بكر فخر الدين بن القاضي رمضان الشالياتي المليباري، درس عنده الفقه، وأصوله وغيرهما[٢]. وكان ذلك في مدينة «كاليكوت»، كما يقول بعض المؤرخين، من أمثال الشيخ المرحوم محمد على مسليار النلكوتي والأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم[٣] وغيرهما، وأقام في «كاليكوت» مدة سبع سنوات[٤].

---

(١) وهو من أجل ما كتب في المواريث للإمام إسحاق بن يوسف بن يعقوب بن عبد الصمد الفرضي الزرقالي الصردفي اليمني المتوفى سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٧م. انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/٤١٠، ٤١١، كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٣٧٧، ١٣٧٨، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني: ٢٥٣، معلم أولي الألباب بلطائف مرشد الطلاب للشيخ محمد كتي الكيتي المليباري: ١٦ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١/٣٤٦. وانظر أيضا نزهة الخواطر: ١/٣٤١، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٥/١٥٠.

(٢) انظر معلم أولي الألباب للشيخ محمد كتي الكيتي: ١٦، السنا الباهر للسيد محمد الشبلي اليمني: ٢٥٣، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: ١/٣٤١.

(٣) انظر مقدمته لتحفة المجاهدين طبعة مكتبة الهدى كاليكوت: ٧.

(٤) انظر أعيان مليالم لمحمد على مسليار: ١٢، ١٣، ورسالة الدكتوراه للدكتور حسين.

Scanned by CamScanner

وبعد ما فرغ من تحصيل شتى فروع العلم لدى القاضي أبي بكر فخر الدين سبع سنوات سافر إلى مكة المكرمة، وأقام هناك عدة سنوات، ثم توجه إلى الجامع الأزهر بمصر، فأصبح هو الوافد الأول ـ في حدود معرفتي ـ من «مليبار» إلى الأزهر الشريف، والتقى مع العلماء العرب ومشاهير أهل العلم، منهم:

٤ ـ العلامة الشيخ عبد الله بن علي المكودي، المتوفى سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م،

٥ ـ والشيخ محمد السخاوي، المتوفى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٦م،

٦ ـ والإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م.

٧ ـ والإمام الشيخ محمد السمهودي، المتوفى سنة ٩١١هـ.

٨ ـ والسيد أبي بكر العيدروسي، المتوفى سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م.

٩ ـ والسيد أبو بكر الحضرمي، المتوفى سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م.

١٠ ـ والقاضي أحمد بن عمر المسجد الزبيدي، المتوفى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م.

١١ ـ وجمال الدين محمد بن عمر الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠ هـ.

١٢ ـ والشيخ عبد الله بن أحمد با مخرمة العدني، المتوفى سنة ٩٤٧ هـ/١٥٤٠م.

١٣ ـ والشيخ شمس الدين الطنطاوي، المتوفى سنة ٩٤٨ هـ/١٥٤١م، وغيرهم من علماء وسادات العرب الأجلاء[1].

---

(١) انظر نزهة الخواطر: ٣٤١/١، مقدمة الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم ورسالة الدكتور حسين محمد الثقافي.

Scanned by CamScanner

المبحث الرابع

عائلته

وأما بالنسبة لحياته العائلية فالذي أعرفه أنه كان للمخدوم الكبير ثلاثة بنين وبنتان، وكان يحيى أكبرهم، قد انتقل إلى رحمة الله تعالى في صغر سنه، وكان الولد الثاني محمد الغزالي عالما كبيرا ومتورعا مشهورا، وقد أنجب الله منه علما بارزا من أعلام العلم والفقه، وهو زين الدين المخدوم الصغير، صاحب كتاب «فتح المعين»، وسوف تأتي ترجمته إن شاء الله. أما الابن الثالث عبد العزيز المخدوم، المتوفى سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٥م، وسنترجم له أيضا.

أما بنتاه فلا توجد معلومات مفصلة حول حياتهما، وتزوج بواحدة منهما الشيخ عثمان بن جمال الدين المعبري، المتوفى سنة ٩٩١هـ/١٥٨٢[1].

المبحث الخامس

خدماته العلمية وأبرز تلاميذه

وأما خدماته الدعوية والتعليمية فإنه كان يشعر في قرارة نفسه بحاجة المجتمع الهندي إلى رجل عظيم، جمع العلوم الشرعية والثقافة العصرية ما أمكن، فلم يكن هناك من يدانيه في هذا كله. ومن هنا فإنه بعد أن وصل إلى بلدته «فنان» عقب رحلة علمية طويلة، قضاها في طلب العلم في مصر

(١) انظر الباب الخامس من «مساهمة علماء مليبار في الأدب الفقهي» د. حسين محمد الثقافي.

Scanned by CamScanner

والحرمين الشريفين، تلقى فيها العلوم على يد أعيان العصر، قام بخدمات جليلة في نصرة الدين، من جوانب مختلفة، من تبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين، حتى «أسلم على يده خلائق لا يحصون كثرة» على حد تعبير عبد الحي الحسني[1]، وكذا إصلاح المجتمع المسلم وتربيته على السلوك السوي.

ومن أجل حسن أداء هذه المهمة دعا الشيخ زين الدين أهالي مليبار المسلمين إلى بناء مسجد جامع ببناني، فاستجابوا لدعوته، حتى تم بناء مسجد الجامع الكبير ببناني. وأراد أن يكون هذا الجامع مركزا لانطلاقات دعوية كبيرة، وخدمات علمية واسعة النطاق. وكان تصميم الجامع بطريقة تغطي الاحتياجات الأساسية لهذا الهدف، حيث يمكن أن تعقد فيه حلقات الدروس، وأن يقيم في زواياه طلبة العلم الوافدون من خارج البلد.

وعمِل الشيخ زين الدين الكبير مدرسا وأستاذا في هذا المركز العلمي الكبير، الذي كاد أن يتنافس المراكز العلمية العالمية الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، والجامع الأموي في دمشق الشام، والحرمين الشريفين، وجامع الفاتح في إستانبول وغيرها، حيث بدأ الوفود يتوافدون على فنان من مختلف أرجاء الأرض، من إندونيسيا وماليزيا شرقا، ومصر والحجاز غربا[2].

وهكذا أصبحت قرية فنان شهيرة بـ«مكة مليبار»، ومرجعا للخواص والعوام، ومنارا للعلم والهدى، ثم مركزا حضاريا وسياحيا كبيرا، حيث يرقد فيه تلك الأمجاد الخالدة، والذكريات المباركة الطيبة، بفناء هذا الحصن الحصين

---

(١) نزهة الخواطر: ٣٤١/١.

(٢) انظر مقدمة الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم لتحفة المجاهدين طبعة مكتبة الهدى كاليكوت: ٨ والدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية للدكتور محي الدين آلوائي: ٢٠٩.

Scanned by CamScanner

مرقد مولانا الشيخ الولي التقي النقي العلامة الكبير زين الدين آل مخدوم الكبير رضي الله عنه ورضي عنا معه.

ومما لا يمكن الشك فيه أنه ـ كسائر الأسرة المخدومية، بل كالمجتمع المسلم المليباري ـ كان على طريقة أهل السنة والجماعة. ومؤلفاته في التصوف والمواعظ خير شاهد على ذلك. وفي غصون تلك الكتب نجد له بيانا ناصعا لطريقة الإمام أبي الحسن الأشعري وردا مفحما على كثير من معتقدات المنحرفين من المعتزلة والشيعة والتيميين المنكرين للتوسل والاستغاثة وشد الرحال إلى الأماكن المقدسة وأضرحة الصالحين. ولا نورد هنا أية أمثلة على ذلك خشية التطويل.

وأما مشربه الروحي فيذكر صاحب نزهة الخواطر أنه «أخذ الطريقة الجشتية عن الشيخ قطب الدين بن فريد الدين بن عز الدين الأجودهني، فألبسه الخرقة ولقنه الذكر الجلي، ثم أجازه لتربية المريدين وتلقين الذكر وإلباس الخرقة والإجازة لمن يجيز. ولقنه أيضا الذكر على الطريقة الشطارية الشيخ ثابت بن عين بن محمود الزاهدي وأجازه في تلقينه»[1]. ويصفه المستشرق الكبير كارل بروكلمان بأنه «.. الصوفي المعروف..»[2].

وكان الشيخ زين الدين يذكر أسماء مشايخه المسلسلة إلى النبي ﷺ كما يلي:

١ ـ زين الدين بن علي بن أحمد المعبري ٢ ـ الشيخ قطب الدين بن فريد الدين ٣ ـ الشيخ داود ٤ ـ الشيخ فريد الدين ٥ ـ الشيخ أبو الفتح

(١) انظر نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني: ٢٤١/١.
(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢٣٤/٩.

Scanned by CamScanner

نجيب الدين ٦ ـ شمس الإسلام الشيخ ركن الدين القادري ٧ ـ الشيخ علم الدين ٨ ـ الشيخ علاء الدين الكنجبخشي ٩ ـ قطب الأولياء الشيخ بدر الدين ١٠ ـ الشيخ فريد الدين الأجودهي ١١ ـ الخواجا قطب الدين بختيار الكاكي الدهلوي ١٢ ـ سلطان الهند خاجا معين الدين الجشتي الأجميري ١٣ ـ الشيخ عثمان الهاروني ١٤ ـ الشيخ الحاج شريف الهندي ١٥ ـ سلطان المشايخ مودود الجشتي ١٦ ـ الشيخ معين الدين محمد الجشتي ١٧ ـ الشيخ حمد الجشتي ١٨ ـ الشيخ أبو إسحاق الشافعي الأيكي ١٩ ـ قطب الأصفياء الشيخ علوي الدينوري ٢٠ ـ الشيخ هبيرة البصري ٢١ ـ الشيخ حذيفة المرعشي ٢٢ ـ الشيخ إبراهيم بن أدهم البلخي ٢٣ ـ الشيخ فضيل بن عياض ٢٤ ـ الشيخ حسن البصري ٢٥ ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٢٦ ـ خاتم الأنبياء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1].

** ** **

(١) انظر الباب الخامس من «مساهمة علماء مليبار» د. حسين محمد الثقافي.

Scanned by CamScanner

المبحث السادس

مؤلفاته وآثاره العلمية

أما بالنسبة لمؤلفاته فإن شيخ الإسلام زين الدين الأول قد ترك مؤلفات كثيرة باللغة العربية، تغطي موضوعاتٍ علميةً مختلفةً، الحديث، الفقه، التصوف، السيرة، النحو والصرف، الجهاد وغير ذلك. وهذه الثروة الهائلة من العلوم والفنون تدل على منتهى تحقيقه العلمي، وتمكنه من اللغة العربية، كأنه واحد من العرب. وعلاوة على هذا كان على معرفة باللغة الفارسية، كما يدلنا على ذلك بعض كتبه كما يلي.

إلا أن جميع كتبه لم يظهر إلى النور بعد، وقد طبع البعض منها وانتشر بين المسلمين من جنوب شرق آسيا وبعض البلدان العربية، والبعض الآخر يوجد مخطوطا ينتظر من يخدمها بالتحقيق، وإخراجها إلى النور، خدمة للدين الإسلامي ورجاله، وإبرازا لمكانة «مليبار» في التاريخ الإسلامي، ثم تتميما للنهضة العلمية التي أخذنا بأسبابها مؤخرا.

وفيما يلي عرض لمؤلفاته:

١ ـ مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب في التصوف[١] (مطبوع في مطبعة مفاتيح الهدى بترورنغادي ـ كيرلا، الهند، عام ١٣٢٤هـ).

(١) شرحه العلامة المحقق الشيخ محمد كتي المليباري الكيتي kaipatta رَحِمَهُ اللَّهُ شرحا مفيدا في جزءين سماه معلم أولي الألباب بلطائف مرشد الطلاب إلى الكريم الوهاب، وقد طبع بمطبعة البيانية بفرْفنغادي/كيرالا.

Scanned by CamScanner

٢ ـ سراج القلوب وعلاج الذنوب في التصوف.

٣ ـ المسعد في ذكر الموت في الرقائق.

٤ ـ شمس الهدى في الموعظة والتذكير.

٥ ـ تحفة الأحباء وحرفة الألباء في الأدعية المأثورة.

٦ ـ إرشاد القاصدين في اختصار منهاج العابدين للإمام الغزالي.

٧ ـ شعب الإيمان معرب لشعب الإيمان للإيجي[(١)].

٨ ـ كفاية الفرائض في اختصار الكافي في الفرائض في الفقه[(٢)].

٩ ـ الصفا من الشفا للقاضي عياض في السيرة النبوية.

١٠ ـ تسهيل الكافية شرح كافية ابن الحاجب في النحو.

١١ ـ كفاية الطالب في حل كافية ابن الحاجب، حاشية عليها.

١٢ ـ شرح مختصر على ألفية ابن مالك في علم العربية (مطبوعة في الهند).

١٣ ـ حاشيتان على التحفة الوردية للإمام عمر بن الوردي.

---

(١) هكذا في نزهة الخواطر (٣٤٢/١)، وفي مقدمة الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم أنه معرب من الفارسية إلى العربية للعلامة السيد نور الدين رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي تاريخ لأدب العربي لبروكلمان (٣٤٨/٧) «منظومة في شعب الإيمان، وعليها شرح بعنوان قامع الطغيان لمحمد بن عمر النواوي، طبع بالقاهرة ١٢٩٦ هـ».

(٢) رأيت عند بروكلمان أثناء ذكره لكتاب «الكافي في الفرائض»: أنه يوجد «مختصر الهندي» مخطوطا في برلين ٥٩٦١، الإمبروزيانا ٣٧١D، ١٩١F، لاندبرج - بريل ٤٦٠، الفاتيكان أول ١١١٥، ١١٣٩. ولم يمكنني القطع في أن هذا الهندي هل هو الشيخ زين الدين هذا أم هو غيره.

Scanned by CamScanner

١٤ - حاشية على الإرشاد لابن المقرئ[١] في الفقه[٢].

١٥ - قصص الأنبياء.

١٦ - السيرة النبوية.

١٧ - قصيدة «هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء»[٣] (توجد مخطوطة منها في القاهرة ثان ٢١٢/١ كما في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٤٧/٧، ٣٤٨، وهي مطبوعة في الهند وفي مصر بمطبعة بولاق ١٢٨٧هـ ومصطفى البابي الحلبي).

---

(١) هو شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر (وفي البهجة للغزي إسماعيل بن محمد بن أبي بكر) بن عبد الله بن على بن عطية الشغدري الشاوي الشرجي اليماني الحسيني (نسبة لأبيات حسين من اليمن) ويعرف بابن المقرئ، ولد عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وتوفي ٨٣٧هـ/١٤٣٤م. فقيه شافعي، أديب شاعر مشارك في كثير من العلوم. هو مؤلف كتاب عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي. وكتاب الإرشاد المذكور اختصار للحاوي الصغير للقزويني. انظر الضوء اللامع للسخاوي: ٢٩٢/٢ ـ ٢٩٥، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٢٢٠/٧ ـ ٢٢٢، البدر الطالع للشوكاني: ١٤٢/١، ١٤٥، كشف الظنون لحاجي خليفة: ٦٩، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٣٦٠/١.

(٢) هذاالكتاب في أربعة أجزاء؛ كل جزء يناقش ربعا من الأرباع الأربعة الفقهية. والمصنف يفصل في شرحه لربع العبادات والمعاملات. أما الربعان الأخيران فلا يفصلهما أكثر تفصيل ولكنه يكتفي بالحد الأدنى من البيان، والنسخة القلمية من هذا الكتاب موجودة في الجامع الكبير بفنان كما ذكر الدكتور حسين، انظر الباب التاسع من رسالته «مساهمة علماء مليبار في الأدب الفقهي».

(٣) وعليه ثلاث حواش بالإضافة إلى شرح «إرشاد الألباء»، وهي: (١) مسلك الأتقياء لابنه الشيخ عبد العزيز ـ سيأتي الحديث عنه (٢) كفاية الأتقياء لأبي بكر بن محمد شطا الدمياطي، طبعت بالقاهرة ١٣٠٢، ١٣٠٤ هـ (٣) سلالم الفضلاء لمحمد النواوي، طبعت بالقاهرة ١٣٠٢ هـ. انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٤٨/٧ والأعلام للزركلي: ٦٤/٣.

Scanned by CamScanner

١٨ ـ قصيدة «تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان»، وقد تصدينا لخدمته مع «تحفة المجاهدين» لحفيده الشيخ زين الدين الصغير (مطبوع في كاليكوت/ كيرالا/ الهند).

١٩ ـ قصيدة فيما يورث البركة وينفي الفقر مأخوذ من كتاب البركة للوصالي.

٢٠ ـ رسائل متعددة نظما ونثرا إلى الملوك والأمراء.

٢١ ـ أرجوزة في الفلسفة.

كل هذه المؤلفات هي ما نسبها إليه العلامة المؤرخ عبد الحي الحسني الهندي في «نزهة الخواطر»، ما عدا الأخير منها، فهو مما ذكره الأستاذ كي. كي. محمد عبد الكريم. وقد ورد عند بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٣٤٨/٧) ثلاثة كتب أخرى نذكرها ملحقة بهذه القائمة.

٢٢ ـ إرشاد الأولياء، وأشار بروكلمان إلى نسخته المخطوطة توجد في آصفية ٣/١٦/٣٥٨/١. ومعلوم لنا ـ مما سبق من قائمة الشيخ عبد الحي ـ أن للإمام «إرشاد القاصدين في اختصار منهاج العابدين» للإمام الغزالي، فالأمر يحتاج إلى مزيد توثيق.

٢٣ ـ إرشاد الألباء إلى مرآة (؟) الأذكياء، وأشار كذلك إلى أن نسخته المخطوطة توجد في آصفية ١٥٠٩/١٨٨/٣. ولسنا على يقين في أن هذا هو نفس ما ذكره عبد الحي ـ في القائمة المارة برقم ٥ ـ باسم «تحفة الأحباء وحرفة الألباء في الأدعية المأثورة» أم هو غيره.

٢٤ ـ مؤلف في التذكير بيوم القيامة والتجهيز له، بدون عنوان، وطبع على هامش الروض الفائق للحريفيش بالقاهرة ١٣١٥ هـ.

Scanned by CamScanner

المبحث السابع

وفاته

وبعد أن ملأ أرجاء المعمورة نورا وعلما، وقام بنصرة دين المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير قيام في آخر نقطة تقع بالقارة الهندية، لبى الإمام الهمام الحبر البحر الشيخ زين الدين آل مخدوم الأول نداء ربه راضيا مرضيا، وقد ترك بفراقه فراغا كبيرا هيئات أن يملأه أحد سواه، وأبقى وراءه آثارا خالدة وأمجادا عظيمة، تفتخر بها الأمة المسلمة المليبارية؛ بل الهند كلها، ويسعد بها أهل الإسلام شرقا وغربا.

وكان وفاة الشيخ زين الدين الكبير بفنان؛ التربة التي تشرفت بكد يمينه وعرق جبينه، وكانت بعد نصف ليلة الجمعة السادس عشرة من شهر شعبان سنة ثمان وعشرين وتسعمائة الهجرية (٩٢٨هـ/١٥٢٢م)[١].

ودفن جثمانه الشريف بفناء مسجده الجامع بـ«فنان» عند مدخله الشرقي، ولا يزال ضريحه ظاهرا ومعروفا، وصدق الدكتور محي الدين الألوائي إذ قال: «يفد إليه الزوار من شتى أنحاء البلاد»[٢].

رحم الله الشيخ المجاهد كان بقية السلف الصالح، وسيرته تذكرنا بمناقب

---

(١) انظر المرجع السابق، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٤٧/٧ ومقدمة الأستاذ ك. ك. محمد عبد الكريم لتحفة المجاهدين.

(٢) انظر رسالة،الدكتوراه له بعنوان «الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية» بكلية أصول الدين جامعة الأزهر: صـ ٢٠٩.

Scanned by CamScanner

كبار الزهاد ومآثر أولياء الأمة، فقد قال في مناقبه مؤرخ الهند الكبير العلامة عبد الحي: «قام لنشر العلم والمعرفة، وكان كثير الأذكار والأشغال، موزعا أوقاته في الخير، ناصحا للخلق، ناشرا للعلوم، قائما بدفع البدعة والمنكر، ونصر المظلوم، كم من منكرات أزالها، وسنن أظهرها، انتفع به خلق كثير، وأسلم على يده خلائق لا يحصون كثرة»[1].

** ** **

(١) انظر ترجمته في مقدمة العلامة محمد كتي الكيْفَتَاوِي المليباري لشرحه على مرشد الطلاب: ١٥ ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي الحسني: ٣٤١/١، شجرة «الوصول إلى الرسول بالسند المقبول»، تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية: الإصدار الثاني، عبد النصير المليباري: ٧٩ ـ ٩١، والمراجع الأخرى التي أشرت إليها بين الحين والآخر.

Scanned by CamScanner

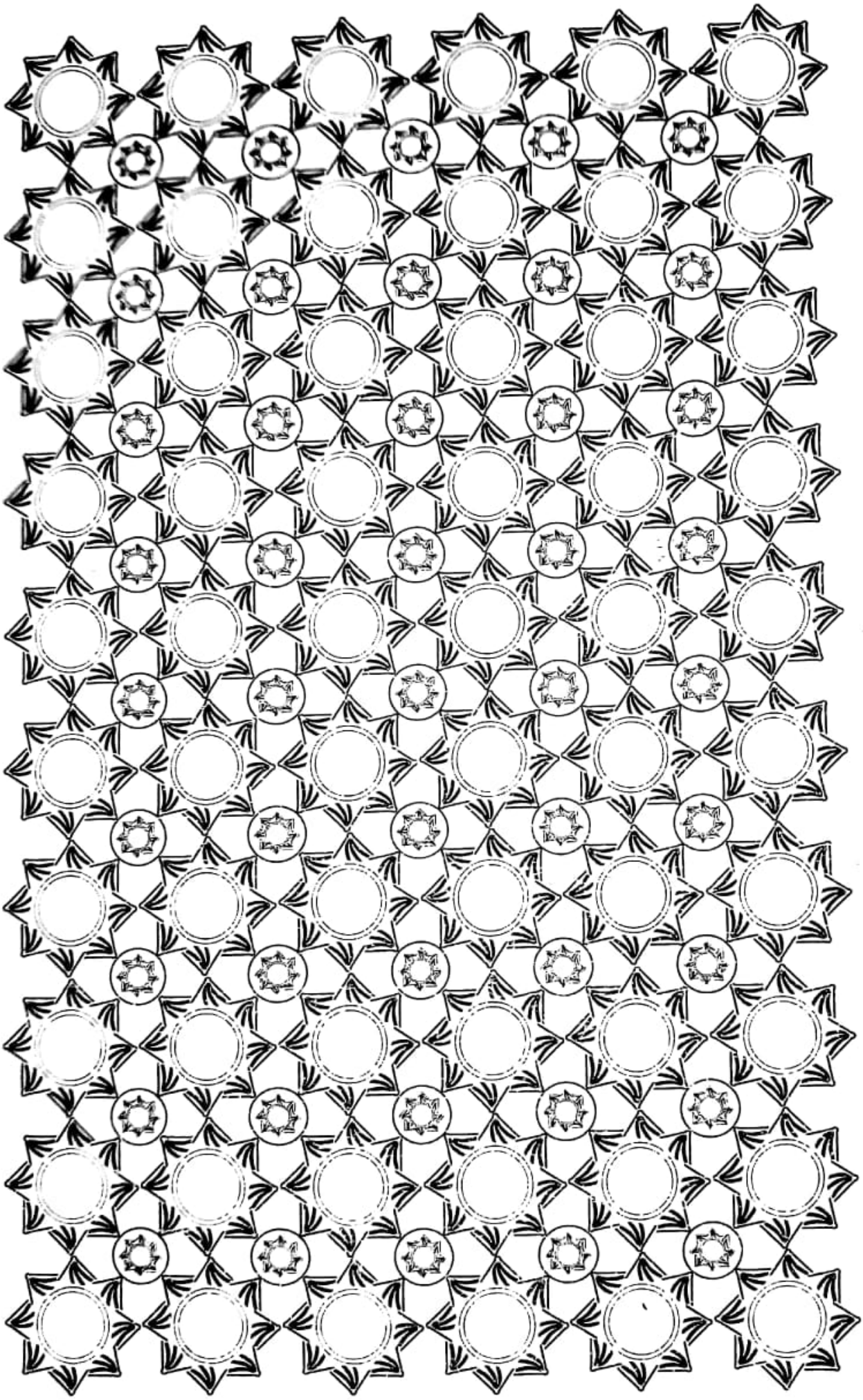

Scanned by CamScanner

ترجمة الشارح

- المبحث الأول: اسمه ونسبه.
- المبحث الثاني: مولده ونشأته.
- المبحث الثالث: مؤلفاته.
- المبحث الرابع: وفاته.

Scanned by CamScanner

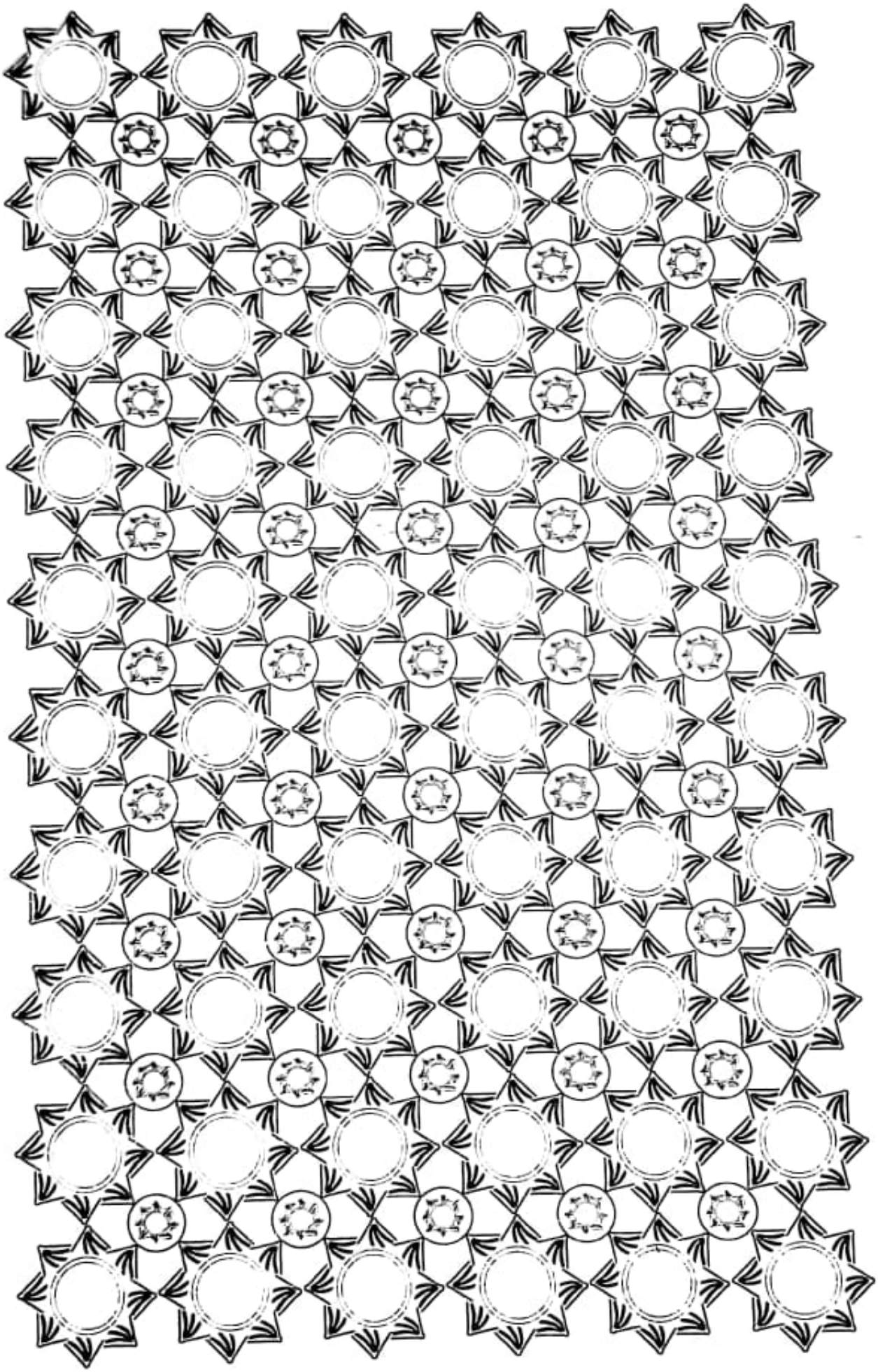

Scanned by CamScanner

المبحث الأول

اسمه ونسبه

هو: الشيخ الإمام، عبد العزيز بن العلامة الشيخ الإمام زين الدين بن على بن أحمد الشافعي الأشعري المليباري، الفقيه الأصولي، القاضي المفتي، المفسر المحدث، الصوفي المربي، الأديب المؤرخ، عمدة العلماء المحققين، وقدوة السادة المتقين، مرجع الخاص والعام على الإطلاق، ناشر لواء المذهب في الآفاق.

المبحث الثاني

مولده ونشأته

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ عام ٩١١هـ/١٥٠٥م، وليس عندي تفاصيل أكثر عن نشأته ومراحل دراسته، ولم أجد في كلام المؤرخين معلومات تتعلق بمشايخه وتلاميذه، غير تلمذته على والده الماجد، وتعليمه لابن أخيه زين الدين بن محمد الغزالي.

المبحث الثالث

مؤلفاته

ترك الشيخ عبد العزيز عددا من المؤلفات القيمة في فنون مختلفة، لا يزال بعضها مخطوطا لم تمتد إليها عناية المحققين لإخراجه إلى عالم النور.

Scanned by CamScanner

وقد طبع منه البعض في الهند وخارجها، واستفاد منه أهل العلم، وعرفوا من خلاله قدرَه ومنزلتَه. وفيما يلي عرض لمؤلفاته:

١ - «**إرشاد الألباء في شرح هداية الأذكياء**»، وهذا كتاب شرَحَ فيه قصيدة والده المعروفة في علم التصوف بـ«هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء»، وهو شرح مختصر.

٢ - «**مسلك الأتقياء في شرح هداية الأذكياء**»، وهو شرح على القصيدة المذكورة، أطول من الشرح السابق، وقد طبع غير مرة في المطابع الهندية والمصرية، وتوجد مخطوطاته بالقاهرة أول ١٣٥/٢، ٢٥٨/٣، ثان ٣٥٨/١، آصفية ٤/١٧/٣٨٨/١، كما ذكره بروكلمان[1].

٣ - ويقال إن الشرح الذي كتبَه والده على ألفية ابن مالك لم يكتمل في حياته فأكمله نجله الشيخ عبد العزيز. والألفية بشرحه مطبوع في «مليبار» طبعات كثيرة، وعليه اعتماد طلبة العلم في هذه الديار منذ أمد بعيد، وعلى هذين الشرحين حواش وتقريرات لعلماء هذا القطر، مطبوعات وغير مطبوعات، فمن المطبوعات: تقريرات العلامة الشيخ سيد علي الوَلِيَامْفُرَمِي، وحاشية العلامة الشيخ أبو محمد الويلتوري - حفظه الله - في أربع مجلدات، وحاشية شيخنا الأستاذ كي. آس. محمد مسليار التَّوَنُوري، وغيرهما.

٤ - له أيضا كتاب «**المتفرد**» في الفقه الشافعي؛ وهو مطبوع ومشهور بين أهل «مليبار»، يقرأه صغار الطلبة قبل «عمدة السالك» و«فتح المعين».

٥ - «**الأجوبة الفنانية على الأسئلة الكوشية**». «فنان» بلدة في «مليبار»

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٤٨/٧

Scanned by CamScanner

مشهورة، و«كُوشِنْ» cochin مدينة في خارج «مليبار» قريبة منها، وبها حاليا مطار دولي كبير وميناء بحري دائم النشاط.

٦ ـ «فتاوى»، وتوجد نسخة مخطوطة من هذه الفتاوى في المكتبة الأزهرية بـ«شاليم».

المبحث الرابع

وفاته

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٥م، ودفن بجوار أبيه رَحِمَهُ اللَّهُ بفناء جامع «فنان»، وقبره معروف، يزوره الناس من أنحاء البلاد[١].

** ** **

(١) انظر هدية العارفين للبغدادي: ٥٨٤/١، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق لكارل شتولز: ٣٧٥/٣٠ (نقلا عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٦٠/٢)، أسماء المؤلفين في ديار مليبار للعلامة الشالياتي رَحِمَهُ اللَّهُ، ترجمة رقم ١٥ بتحقيق العبد الضعيف، «الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية» للدكتور محي الدين الألواني: ٢٠٩، ٢١٠، شجرة «الوصول إلى الرسول بالسند المقبول» للأستاذ ياسين بن عبد العزيز الكانوري، تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية: الإصدار الثاني، عبد النصير المليباري: ٩١ - ٩٣.

Scanned by CamScanner

وصف المخطوطة

تتألف المخطوطة من ١٠٤ ورقة مكتوبة بخط نسخ معتاد جيد واضح إجمالا ، وقد كتب المتن بلون والشرح بلون مختلف ، عدد أسطر ورقاتها حوالي ١٧ سطرا ، وعدد الكلمات في كل سطر تتراوح بين ٨ كلمات و١٢ كلمة.

وكتب في آخرها: تمت هذه القصيدة مع شرحها بعون الملك المنان سنة ١٢٩٨ ثمان وتسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين.

أي أنها كتبت بعد حوالى ثلاثمائة سنة من وفاة الشارح رحمه الله تعالى. وهذا هو الأصل الوحيد الذي كان بين أيدينا حال التحقيق. وهو الذي اعتمدنا عليه. وقد تفضل علينا الأستاذ الفاضل صديقنا الشيخ أبو بكر الثقافي الجزري حفظه الله ـ المدرس بكلية الشريعة بجامعة معدن الثقافة الإسلامية ، بـ«مالافرم» ـ بهذه النسخة العتيقة ، فجزاه الله عن الإسلام خيرا.

Scanned by CamScanner

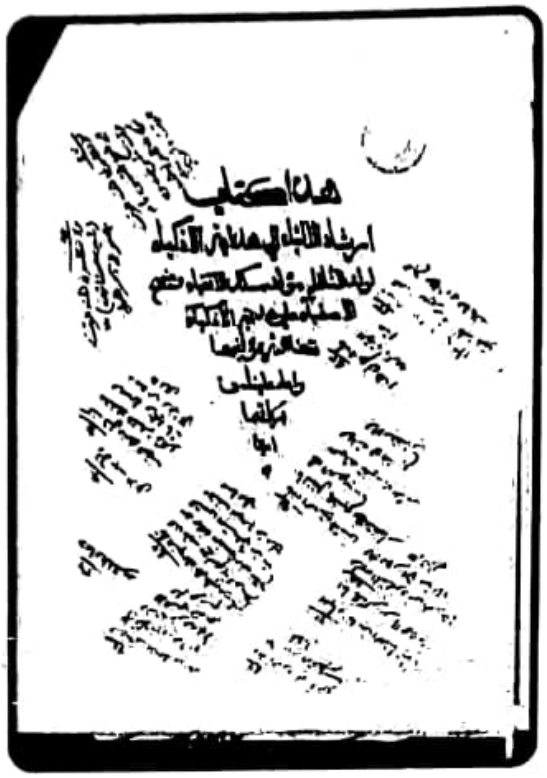

صفحة العنوان

الصفحة الأخيرة

الصفحة الأولى والثانية

Scanned by CamScanner

عملنا في الكتاب

قمنا بتحقيق النص ودراسته على النحو التالي:

● **ترجمة الناظم والشارح:** حيث قدمنا بين يدي الكتاب دراسة عن أسرة المخدوم وكيف خدمت العلوم الشريفة في ماليبار، ثم ثنَّينا بترجمة تفصيلية للناظم والشارح نذكر فيها طرفا من أخبار مولد كل منهما ووفاته، ونشأته وأساتذته، وعائلته، وخدماته الدعوية، وتلامذته، ومصنفاته، وآثاره لتكون مدخلا لتكوين صورة علمية عن ماليبار باعتبارها أحد حواضر الإسلام في الهند وأحد مراكز المنهج الصوفي الأشعري الشافعي.

● **تحقيق النص:** على وفق المخطوطة الأصل مع التعليق على المواضع المشكلة في الهامش والاعتناء بعلامات الترقيم ما أمكن. وقد قدرنا بعض الزيادات اللازمة لفهم النص فجعلناها بين معقوفتين وأشرنا لها في الهامش. ثم جعلنا المتن مشكولا.

● **تراجم الرجال والكتب:** حاولنا وضع تراجم مختصرة للأئمة الفحول الذين ورد ذكرهم في الشرح ما استطعنا، كما وضعنا نبذة مختصرة عن الكتب التي تمت الإشارة إليها حتى نرغِّب طلاب العلم في قرائتها ودراستها.

● **إعراب الأبيات كاملة:** وقد نقلناها عن شارح الكتاب السيد البكري رحمه الله تعالى مع تصرف فيها بالاختصار ما أمكن ذلك. وقد وضعنا إعراب كل بيت في الهامش عند انتهاء ذكره في الشرح

Scanned by CamScanner

- **ذكر مصادر الأحاديث ومواضع الآيات**

- **الفوائد**: حاولنا إثبات بعض الفوائد والتنبيهات في الهامش. فما كان منها منقولا أو مستفادا من شرح السيد البكري المكي بن السيد محمد شطا الدمياطي رحمه الله تعالى والمسمَّى: (كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء على المنظومة المسماة بهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) أردفناه بحرف الكاف (ك)، كان منها منقولا أو مستفادا من شرح الشيخ نووي الجاوي رحمه الله تعالى والمسمَّى (سلالم الفضلاء على هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء) أردفناه بحرف النون (ن)، وما كان مما استفدناه من غير الشرحين أو من تعليق المحقق نفسه أردفناه بحرف القاف (ق).

- **الملحقات**: ألحقنا الكتاب بملحقين: أحدهما أثبتنا فيه النظم من غير شرح، والآخر جمعنا فيه ما في الكتاب من التعريفات.

- **الفهارس**: ختمنا الكتاب بفهرس تفصيلي لأبواب الكتاب وما اندرج تحت كل باب من المسائل والتنبيهات.

- **المصادر**: وفيه بيان للمصادر التي اعتمدنا عليها في التحقيق.

** ** **

Scanned by CamScanner

إسنادنا إلى الناظم والشارح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

تبركا بذكر الأئمة الأعلام، وحفاظا على خاصية الإسناد التي اختص الله بها الأمة المحمدية، فإننا نروي سندنا في العلم إلى الإمام زين الدين الكبير الماليباري فنقول:

يقول الشيخ عبد النصير بن أحمد الماليباري الشافعي ـ أحد مُحَقِقَي الكتاب وأستاذ الثاني منهما: درست على شيخنا الحاج عبد الله كتي الفيضي بن الحاج محمد الشِّيرُورِي الماليباري، المكي وفاة ومدفنا (ت: ١٤٢٥هـ). درست عليه، ولازمت حلقته في جامع «ككَّادْ» بالقرب من منطقة «تِرُورَنْغَّادِي» طوال خمس سنين ونصف سنة، وهو عمدتي وسندي إلى الله تعالى وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1]، وهو عن الشيخ محمد بشير مسليار الشِّيرُورِي (ت: ١٩٨٧م)، عن الشيخ أبي بكر الكُوتُّمَلَاوِي الماليباري (ت: ١٤٠٧هـ)، عن الشيخ الشيخ عبد العلي الشهير بـ«كُومُو مسليار» الكُوتِلَنْغَّادِي الماليباري (ت: ١٣٦٣هـ)، عن

(١) كان رَحِمَهُ اللَّهُ كثير الزيارة للمشاهد المعظمة، وقد زار الأئمة المدفونين في القرافة في مصر، وزار الإمام النووي وغيره من الصحابة والتابعين وأئمة الدين في بلاد الشام، وكنت مرافقا له في تلك الزيارات. وله زيارت كثيرة في بلاد الإسلام المختلفة، وأما شوقه للحرمين الشريفين فحدث عنه، حج خمسا وعشرين حجة، وزار الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى توفاه الله عز وجل حاجا ملبيا، وسوف يبعث ملبيا إن شاء الله، رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلى، وألحقنا به على خير. ولو لا إلحاح أخي الكريم أحمد فتح الباب لَمَا ذكرتُ هذه الأسناد؛ لأني لست بشيء يذكر في جنب هؤلاء، وبعد ما بيني وبينهم من المسافة بحيث تنقطع دونه أعناق، إلا أن «التشبه بالرجال فلاح»، هذا أولا، وثانيا إني لا أحب التظاهر والتفاخر بتكثير الأسناد والإجازات، كما يفعله كثيرون ممن لا تحصيل عندهم من أبناء الزمان.

Scanned by CamScanner

الشيخ الشيخ أحمد كتي مسليار بن حسن الكُلُّولِي الفُلِكَّلِي المليباري (ت: ١٣٤٢هـ)، عن الشيخ زين الدين بن محيي الدين الجَمَنكَّادِي المليباري (ت: ١٣٥٢هـ)، عن الشيخ العارف بالله هشام بن سعيد الأَرَمَنْغَلَمِي الميباري (ت: ١٣٣١هـ)، عن الشيخ زين الدين بن محيي الدين الرملي الفَرُمْفَدَفِّي المليباري (ت: ١٣٠٩هـ)، عن الشيخ القاضي عمر[١] بن على البِلَنْكُوتِي المليباري (ت: ١٢٧٣هـ)، عن الشيخ محمد بن صوفي الشهير بـ«مَمَّكُتِّي القاضي» (ت: ١٢١٧هـ)، عن الشيخ على حسن المخدوم الأول الفناني المليباري (ت: ١٢٠٠هـ)، الشيخ أحمد المخدوم الأول الفناني المليباري (ت: ١١٧٩هـ)، عن الخواجه أحمد المخدوم الفناني المليباري (ت: ١١٦٠هـ)، عن الشيخ نور الدين المخدوم الفناني المليباري (ت: ١١٥٣هـ)، عن الشيخ عبد العزيز المخدوم الفناني المليباري (ت: ١١٣٠هـ)، عن الشيخ عبد الرحمن المخدوم الثاني الفناني المليباري (١١١٠هـ)، عن الشيخ عثمان بن عبد الرحمن الفناني المليباري (ت: ١٠٧٧هـ)، عن الشيخ عبد الرحمن بن عثمان الفناني المليباري (ت: ١٠٢٩هـ)، عن الشيخ زين الدين[٢] بن محمد الغزالي المليباري الصغير، عن الشيخ عبد العزيز بن الشيخ زين الدين المليباري الكبير[٣] صاحب الكتاب رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ونفعنا ببركاتهم وأنوارهم.

وأخذت كذلك عن الشيخ الشيخ قمر العلماء أبي بكر أحمد المليباري

---

(١) هو صاحب كتاب «نفائس الدرر»، من مطبوعات دار البصائر بالقاهرة، ضمن مجموعة «رزق الأصفياء»، وله أيضا ألفية في مسائل النكاح، كتاب رائع فريد في بابه، طبع في مليبار قديما، بعض إخوتنا الآن يعمل على إخراجه محققا بشكل عصري جيد.

(٢) من مشايخ الشيخ زين الدين الصغير الشيخُ الإمام ابن حجر الهيتمي.

(٣) الشيخ عبد العزيز أخذ عن والده الإمام زين الدين الكبير.

Scanned by CamScanner

الشهير، حفظه الله. قرأت عليه قطعة من صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو عن الشيخ أستاذ الأساتيذ زين الدين بن على حسن الأُودكَّلِي المليباري (ت: ١٤٢٣هـ)[1]، عن الشيخ تاج العلماء محمد عبد الرحمن بن فوكر الشهير بـ«صدقة الله الوندوري» المليباري (ت: ١٤٠٥هـ)، الشيخ شمس العلماء محمد بن أحمد القطبي المليباري (ت: ١٣٨٥هـ)، عن الشيخ الحاج كنج أحمد بن محيي الدين الشَّالِلَكَتِّي (ت: ١٣٣٨هـ)، عن الشيخ عبد العزيز سليار الوَلَفِّلِي الفناني المليباري (ت: ١٣٢٢هـ)، عن الشيخ على حسن المخدومي بن باوا مسليار الكبير، الشهير بـ«كويا كتي مسليار» (ت: ١٢٩٧هـ)، عن الشيخ زين الدين المخدوم الأخير الفناني المليباري (ت: ١٣٠٥هـ)، عن الشيخ القاضي عمر بن على البِلَنْكُوتِي المليباري (ت: ١٢٧٣هـ) كذلك بإسناده المتقدم.

وعن الشيخ كنج أحمد مسليار الشَّرْشُولاثِي المليباري (ت: ٢٠٠٠م). درست عليه قطعة من صحيح مسلم، وكذا شرح العقائد النسفية مع حاشية الخيالي وعبد الحكيم غالبا، عن الشيخ رئيس المحققين أحمد مسليار الكَنِّيَتِّي الوايَكَّادِي المليباري (ت: ١٤١٤هـ)[2]، عن الشيخ شمس العلماء محمد بن أحمد القطبي المليباري (ت: ١٣٨٥هـ) كذلك بإسناده المتقدم.

---

(١) أنا وإن لم أدرس عنده، إلا أني وفقت للجلوس إليه والتبرك به، ودعا لي بالخير والبركة، وشهدت جنازته، وكانت مشهدا عظيما، يذكرنا بأيام الأئمة السلف، وقد صلي عليه حوالي عشر مرات لشدة الازدحام.

(٢) حضرت في مجالس دعائه في أخريات حياته، وإن لم أدرس عليه، وكان مهابا، مستجاب الدعوة، شديد الورع، يقول من يعرفونه إنهم لم يروه يرتكب مكروها، وكانت نصوص المذهب الشافعي نصب عينه، وكانت جنازته مشهدا عظيما جدا، لا يقل من صلى عليه عن نصف مليون، وصلي عليه حوالي عشر مرات على الأقل، لضيق الميدان وكثرة الازدحام، وكنت ممن حضرت جنازته رَحِمَهُ اللَّهُ.

Scanned by CamScanner

هِدَايَةُ الأَذْكِيَاءِ

تَأْلِيفُ

الشَّيْخ زَيْنِ الدِّيْن المَلَيْبَارِيّ الكَبِيْرِ

Scanned by CamScanner

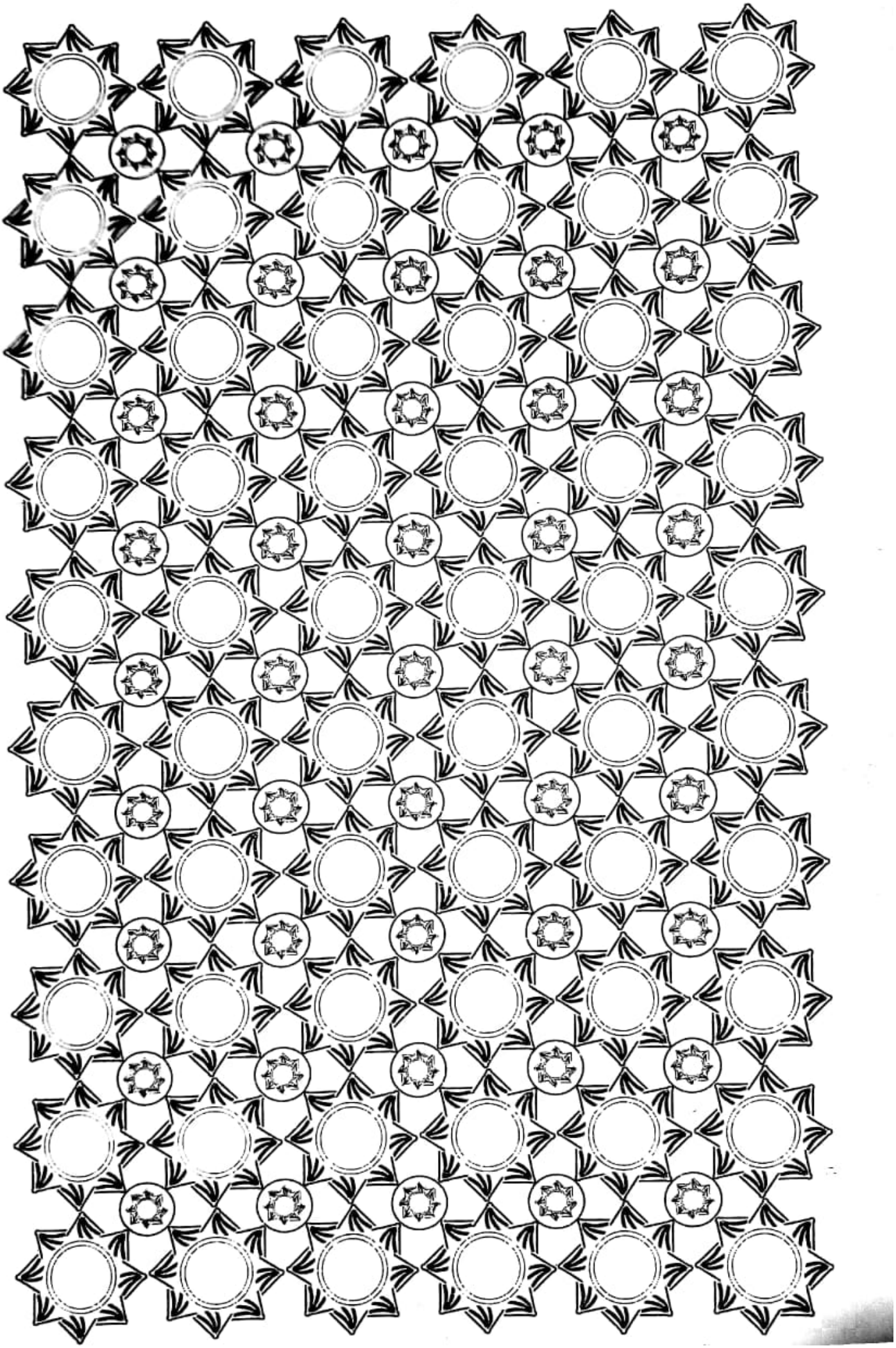

Scanned by CamScanner

هِدَايَةِ الأَذْكِيَاءِ

١. الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُوَفِّقِ لِلْعُلَا ... حَمْدًا يُوَافِي بِرَّهُ الْمُتَكَامِلَا

٢. ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى ... وَالآلِ مَعْ صَحْبٍ وَتُبَّاعٍ وِلَا

٣. تَقْوَى الْإِلَهِ مَدَارُ كُلِّ سَعَادَةٍ ... وَتِبَاعُ أَهْوَى رَأْسُ شَرِّ حَبَائِلَا

٤. إِنَّ الطَّرِيقَ شَرِيعَةٌ وَطَرِيقَةٌ ... وَحَقِيقَةٌ فَاسْمَعْ لَهَا مَا مُثِّلَا

٥. فَشَرِيعَةٌ كَسَفِينَةٍ وَطَرِيقَةٌ ... كَالْبَحْرِ، ثُمَّ حَقِيقَةٌ دُرٌّ غَلَا

٦. فَشَرِيعَةٌ أَخْذٌ بِدِينِ الْخَالِقِ ... وَقِيَامُهُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ انْجِلَا

٧. وَطَرِيقَةٌ أَخْذٌ بِأَحْوَطَ كَالْوَرَعِ ... وَعَزِيمَةٍ كَرِيَاضَةٍ مُتَبَتِّلَا

٨. وَحَقِيقَةٌ لِوُصُولِهِ لِلْمَقْصِدِ ... وَمُشَاهَدٌ نُورَ التَّجَلِّي بِانْجِلَا

٩. مَنْ رَامَ دُرًّا لِلسَّفِينَةِ يَرْكَبُ ... وَيَغُوصُ بَحْرًا ثُمَّ دُرًّا حَصَّلَا

١٠. فَكَذَا الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ يَا أَخِي ... مِنْ غَيْرِ فِعْلِ شَرِيعَةٍ لَنْ تَحْصُلَا

١١. فَعَلَيْهِ تَزْيِينٌ لِظَاهِرِهِ الْجَلِي ... بِشَرِيعَةٍ لِيَنُورَ قَلْبٌ مُجْتَلَا

١٢. وَتَزُولُ عَنْهُ ظُلْمَةٌ كَيْ يُمْكِنَا ... لِطَرِيقَةٍ فِي قَلْبِهِ أَنْ تَنْزِلَا

١٣. وَلِكُلِّ وَاحِدِهِم طَرِيقٌ مِنْ طُرُق ... يَخْتَارُهُ فَيَكُونُ مَنْ ذَا وَاصِلَا

١٤. كَجُلُوسِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ مُرَبِّيًا ... وَكَكَثْرَةِ الْأَوْرَادِ وَالصَّوْمِ الصَّلَاةِ

١٥. وَكَخِدْمَةٍ لِلنَّاسِ وَالْحَمْلِ الْحَطَبْ ... لِتَصَدُّقٍ بِمُحَصَّلٍ مُتَمَوِّلَا

١٦. مَنْ رَامَ أَنْ يَسْلُكْ طَرِيقَ الْأَوْلِيَاء ... فَلْيَحْفَظَنْ هَذِي الْوَصَايَا عَامِلَا

١٧. اطْلُبْ مَتَابًا بِالنَّدَامَةِ مُقْلِعًا ... وَبِعَزْمِ تَرْكِ الذَّنْبِ فِيمَا اسْتَقْبَلَا

Scanned by CamScanner

١٨. وَبَـرَاءَةٍ مِـنْ كُـلِّ حَـقِّ الْآدَمِـي ... وَلِهَـذِهِ الْأَرْكَـانِ فَـارْعَ وَكَمِّـلَا

١٩. وَقِـهِ دَوَامًـا بِالْمُحَاسَـبَةِ الَّتِـي ... تَنْهَـاكَ تَقْصِـيرًا جَـرَى وتَسَـاهُلا

٢٠. وبحِفْـظِ عَـيْنٍ واللِّسَـانِ وسـائر ... الأعضا جَميعاً فاجْهَدَنْ لا تَكْسِـلا

٢١. فَـالتوبُ مِفتـاحٌ لكـلِ إطَاعَـةٍ ... وأساسُ كلِّ الخيرِ أجمعَ أشملا

٢٢. فـإن ابتُليـتَ بغَفْلَـةٍ أو صـحبةٍ ... فـي مَجْلِـسٍ فَتَـدَاركَنَّ مُهَـرْوِلا

٢٣. واقْنَـع بِتَـرْكِ المُشْـتَهي والفـاخِرِ ... مـن مَطْعَـمٍ وملابـسٍ ومَنَـازِلا

٢٤. مَـن يَطلُبَنْ مـا لـيسَ يَعْنِيـهِ فَقَـدْ ... فَـات الـذي يَعْنِيـهِ مِـن غيـر ائتِلا

٢٥. وازْهَـد وذا فقـدٌ عَلاقـةُ قلبِـكَ ... بالمـالِ لا فقـدٌ لـهُ تـكُ أعقـلا

٢٦. والزُّهْدُ أحسنُ مَنْصِبٍ بَعْدَ التُّقَي ... وبِـهِ يُنَـالُ مَقَـامُ أرْبَـابِ العُـلا

٢٧. ومُحِـبُّ دُنْيَـا قَائِـلٌ أَيْـنَ الطَرِيـقْ ... أَيْنَ الخَلَاصُ كَمُسْكَرٍ شَرِبَ الطِّلا

٢٨. واتْرُكْ مِنَ الأزواجِ مَن ما ساعدت ... فـي طاعـةٍ واخْتَـر عُزُوبـاً فَاضِـلاً

٢٩. لِسَـلامةِ الـدُنيا خِصـالٌ أربَـعٌ ... غَفـرٌ لجهـلِ القـومِ مَنْعُـكَ تَجْهَـلا

٣٠. وتكـونَ مِـن سَـيْبِ الأناسـي آيِسـاً ... ولِسَـيْبِ نفسِـكَ للأنَاسِـي بـاذِلا

٣١. وتَعَلَّمـنْ عِلمـاً يُصـحِّحُ طاعَـةً ... وعَقِيـدةً ومُزَكِّـيَ القَلـبَ اصـقُلا

٣٢. هَذِي الثلاثـةُ فرضُ عـينٍ فاعرِفَنْ ... واعمَـلْ بِهَـا يَحصُـل نَجَـاةٌ واعْـتِلا

٣٣. حـافِظ علـى سـننٍ وآدابٍ أَتَـت ... مـأثورةً عَـن خَيْـرِ مَـنْ جَـا مُرسَـلا

٣٤. إنَّ التصـوُّفَ كُلَّـهُ لهـو الأدبْ ... ومِـنَ العـوَارِفِ فاطْلبْنَـهُ وعَـوِّلا

٣٥. إِذْ لا دليلَ على الطريـقِ إلى الإلـهْ ... إلا متابعـةَ الرسـول المُكْمَـلا

Scanned by CamScanner

٣٦. فـــي حَالِـــهِ وفَعَالِـــهِ ومَقالِـــهِ فتَتَـــبَّعنَّ وتَـــابعنَّ لا تَعـــدِلا

٣٧. وطَريـقُ كـلِ مشـائخٍ قَـد قُيِّـدت بكتـابِ ربِّـي والحـديثِ فاصِـلا

٣٨. طَالِعْ رياضَ الصالحينَ وأحْكِمن مـا فيـه تَظفـرُ بالسَـعادَةِ واعْمَـلا

٣٩. واهْـتَمَّ بـالفَرْضِ الـذي لا يقـرب مِنْ ذي العَطاءِ بمثلِ ذَلك اكْمَلا

٤٠. مـازالَ عَبْـدِي بالنَوافِـلِ يَقْـرُبُ حتَّـى أكـون لـهُ يَـدَاً والأَرْجُـلا

٤١. والسَـمْعَ مِنْـهُ ثُـمَّ عَيْنـاً بَاصِـرَة أي مثلَ ذَلك في المّطالـبِ هَرْوَلا

٤٢. وتَـوَكَّلن مُتَجَـرِّداً فِـي رِزْقِـكَ ثِقَـةً بِوَعْـدِ الـرَبِّ أَكْـرَمَ مُفْضِـلا

٤٣. أمّـا المُعيـلُ فَـلا يَجـوزُ قُعُـودُه عَـن مَكْسَـبٍ لِعِيَالِـهِ مُتَـوَكِّلا

٤٤. لا تَبْـذِلَنْ للنَـاسِ عرضَـك طَامِعَـاً فِـي مَـالِهِم أو جـاهِهِم مُتَـذَلِّلا

٤٥. أَخْلِـصْ وذا أنْ لا تُريـدَ بِطَاعـةٍ إلّا التَقَـرُّبَ مِـنْ إلَهِـك ذي الكَـلا

٤٦. لا تَقْصِدَن مَعَهُ إلى اغْـرَاضِ الدُّنا كثنـائِهِم أو نَحْـوِ ذاكَ تَوَصُّـلا

٤٧. واحْـذَر رِيَـاءاً مُحْبِطـاً لِعِبَـادَةٍ وانْظُـر إلـى نَظَـرِ العَلِـيمِ فَـتَكْمُلا

٤٨. لا تُظْهِـرنَّ فَضِـيلةً كَـي تُعْتَقَـد لا تُبْـرِزَنَّ لِيُنكِـروكَ رَذَائِـلا

٤٩. إيمـانُ مـرءٍ لا يَكـونُ تَكَـامَلا حَتّـى يـري ناسـاً بإبْـلٍ مُـثّلا

٥٠. فَيَكُـونُ مَـدحُهُمُ وذمُّهُـمُ سـوي لَمْ يَخْشَ لومةَ لائمٍ في ذِي العُلا

٥١. عَمَـلٌ لأَجْـلِ النَـاسِ شِـرْكٌ تَركُـهُ للنَـاسِ ذاكَ هـو الرِيَـاءُ سَـبَهْلَلا

٥٢. لا تَطْلُـبَنْ عِنْـدَ المُهَـيمِنِ مَنْزِلـة إن كُنْـتَ تَطْلُـبُ عِنْـدَ نَـاسٍ مَنْـزِلا

٥٣. لا تَصْـحَبَنْ مَـنْ كـانَ أهـلَ بَطَالـةٍ وتَسَاهُلٍ في الـدِينِ ذاكَ هو البِلا

Scanned by CamScanner

٥٤. والعُزْلَةُ الأوْلَى إذا فَسَدَ الزَمَن ... أو خَافَ مِن فِتَنٍ بِدِينٍ مُبْتَلي

٥٥. وكَذَا إذا خَافَ الوُقُوعَ بِشُبْهَةٍ ... أو في حرامٍ أو لِذاكَ مُماثِلا

٥٦. والاخْتِلَاطُ بِنَاسِنَا في جُمْعِهِم ... وجَمَاعَةٍ أو نَحوِ ذَلِك فُضِّلا

٥٧. هذا لمَن بالعُرْفِ يَقْدِرُ يأمُرُ ... وعَنِ المَنَاكِرِ قَد نَهَى مُتَحَمِّلا

٥٨. صَبراً على كُل الأذَى لا يغلِبُ ... في ظَنِّهِ عِصْيَانَهُ بِمَحَافِلا

٥٩. لَكِن يَقُولُ البعضُ مِن مُتَأَخِّري الـ ... ـفُضَلاءِ عُزْلَةُ ذا الزَمَانِ مُفَضَّلا

٦٠. إذ نَادِرٌ حَقّاً خُلُوٌّ مَحَافِلِ ... عَن حَوْبَةٍ فانظُرْ لِنَفْسِكَ عَاقِلا

٦١. كُلُّ المَعَاصي كالرِبَا وكَغَيْبَةٍ ... أو نَحْوِ ذَلِك بِاخْتِلاطِكَ حَصَّلا

٦٢. واصْرِفْ إلى الطَاعَاتِ وَقْتَكَ كُلَّهُ ... لا تَتْرُكَنْ وَقْتاً سُدي مُتَسَاهِلا

٦٣. وَتَصِيرُ أوْقَاتُ المُبَاحِ بنيةٍ ... مَصْرُوفَةً في الخَيْرِ فاصْحَ بِلا ائتِلا

٦٤. وَزِّع بِعَوْنِ اللهِ وَقْتَكَ واصْرِفَنْ ... كُلًّا بما هُوَ لائِقٌ مُتَبَتِّلا

٦٥. فإذا بَدَا فَجْر فَصَلّ تَخَشُّعاً ... مُتَدَبِّراً لِقِراءَةٍ ومُكَمِّلا

٦٦. واجْهَد لِتُحْضِرَ في صَلاتِكَ قلبَكَ ... جُهْداً بَليغاً كَي تَنَالَ فَضَائلا

٦٧. لا تَنْسَ أنَّ اللهَ نَاظِرُ قَلْبِكَ ... وحُضُورَهُ وشُهُودَهُ لَك فاوْجَلَا

٦٨. لا تَتْرُكَنّ جَمَاعَةً قَدْ فُضِّلَت ... بالسَبْعِ والعِشرينِ من فضلٍ عَلا

٦٩. ولِمَ التَعَلُّم إن تَكُن تَتَساهَلُ ... في مِثْلِ هذا الرِبْحِ أخْسَرَ أجْهَلا

٧٠. ثُمَّ اشْتَغِل بالوِرْدِ لا تَتَكَلَّمَنْ ... مُسْتَقْبِلا ومُراقِبا ومُهَلِّلا

٧١. بطَرِيقَةٍ مَعْهُودةٍ لمَشَائخٍ ... لتَري بِهِ نَاراً ونُوراً حَاصِلا

Scanned by CamScanner

٧٢. فَيُضِيءُ وَجْهُ القَلْبِ بالنُورِ الجَلِي ... ويَصِيرُ مَذمُومُ الطَّبَائِعِ زائِلا

٧٣. فَيَصِيرَ أَهْلاً للمُشَاهَدَةِ التي ... هي نِعْمَةٌ عُظْمَى فَصِرْ مُتَأَهِّلا

٧٤. حتى إذا الشَّمْسُ بَدَت كرُمَيحِنا ... صَلِّي لإشْراقٍ وقُرآناً تَلَى

٧٥. حِزْباً فأكْثَرَ باتِّعاظٍ مع أَدَب ... وحُضُورُ قَلْبٍ خَاشِعاً ومُرَتِّلا

٧٦. ودَوَاءُ قَلْبٍ خَمْسَةٌ فَتِلاوَةٌ ... بِتَدَبُّرِ المَعْنَي وللبَطْنِ الخَلا

٧٧. وقِيَامُ لَيْلٍ والتَضَرُّعُ بالسَحَر ... ومُجَالَسَاتُ الصَالِحينَ الفُضَّلا

٧٨. ولِقَارِئٍ ولحافِظٍ يَتَخَلَّقُ ... بِمَحَاسِنِ الشِيَمِ الرَضِيَّةِ مُكْمِلا

٧٩. كَزَهَادَةِ الدُنيا كذا تَرْكٌ مُبا ... لاةٍ به وبأهْلِها مُتَقَلِّلا

٨٠. وكَذَا السَخَا والجُودُ ثمَّ مَكَارِمُ الـ ... ـأخْلاقِ ثُمَّ طَلاقَةٌ لا خاتِلا

٨١. والحِلْمُ ثُمَّ الصَبرُ ثُمَّ تَنَزُّهٌ ... عَمَّا دَنَا مِن مَكْسَبٍ مُتَجمِّلا

٨٢. ومُلازَماتٌ لِلسَكينَةِ والوَرَع ... وخُشُوعِهِ وتَوَاضُعٍ مُتَكَمِّلا

٨٣. و لِقَصِّ شارِبِه وتَسْرِيحِ اللِّحى ... وإزَالةِ ظفراً وإبطاً فافْعَلا

٨٤. وإزالةِ الرِيحِ الكَرِيهةِ والوَسَخ ... ومَلابِسٍ مَكْروهَةٍ فَتَكَمَّلا

٨٥. وكَذَا اجْتِنَاباً للمَضَاحِكِ لازِمن ... وكَذاكَ إكْثَاراً مِزَاحاً زَيِّلا

٨٦. ولْيَحْذَرَنْ عُجْباً رياءاً والحَسَد ... والإحْتِقَارَ لِغَيْرِهِ بِالإعْتِلَا

٨٧. واسْتَعْمِلِ المَأْثُورَ مِن ذِكْرِ دُعَاء ... وكَذَاكَ تَسْبِيحٌ وتَهْلِيلٌ جَلا

٨٨. ويُرَاقِبُ المَوْلَي بِسِرٍ والعَلَن ... وعلى الإلَهِ بِكُلِ أمْرٍ عَوَّلا

٨٩. ذا بَعْضُ آدَابٍ لِقَاري واطْلُبَنْ ... بَاقٍ من «التِبْيانِ» وانْحَ مُكَمَّلا

Scanned by CamScanner

٩٠. ثُمَّ الضحى صَلِّ ولا تَدَعِ الفِكَر ... بِهُجُومِ مَوتٍ والتَحَسُّرِ والبِلا

٩١. عَمَلٌ بِلا ذِكْرِ المَنِيَّةِ لا أَثَر ... و بِذِكْرِها حَقًّا كَضَرْبٍ مَعَاوِلا

٩٢. ثُمَّ اشْتَغِل بِالعِلْمِ أو بِعِبَادَةٍ ... أو بِالمَعِيشَةِ واخْتَرَنَّ الأَفْضَلا

٩٣. فلِعَالِمٍ فَضْلٌ على مَن يَعبُد ... فَضْلَ البُدُورِ على الكَوَاكِبِ في الجَلا

٩٤. إنَّ الإِلَهَ وأَهْلَ كُلِّ سَمَائِهِ ... والأَرْضِ حَتَّى الحُوتِ مَعْ نَمْلِ الفَلا

٩٥. كُلٌّ يُصَلِّي يا حَبِيبُ على الذي ... قَدْ عَلَّمَ الخَيْرَ الأُنَاسَ مُحَصِّلا

٩٦. مَنْ في طَرِيقٍ للتَعَلُّمِ يَسْلُكْ ... فإلى الجِنَانِ لهُ طَرِيقٌ سُهِّلا

٩٧. ومَلائِكٌ تَضَعُ الجَنَاحَ لَهُ إذا ... يَسعى رضاً بِمَرَامِهِ مُتَقَبَّلا

٩٨. وتَعَلُّمٌ للبَابِ مِنْ عِلْمٍ لَهُ ... فَضْلٌ على مائَةِ الرُّكَيْعَةِ نَافِلا

٩٩. هَذَا إذا تُصِدَ الإِلَهُ وآخِرة ... بِالعِلْمِ إلا فالهَلاكُ تَحَصَّلا

١٠٠. ولْيُحْرَمَن عَرْفَ الجِنَانِ الفَاخِرة ... ولْيَسْقُطَنْ في دَرْكِ نارٍ نازِلاً

١٠١. رَجُلٌ بِهِ يُؤتَى غَدَاً يُلقَى بِه ... فِي النَّار تَخْرُجُ مِنْهُ أَمْعَاءٍ جَلا

١٠٢. فِيهَا يَدُورُ كَما يَدُورُ حِمَارُنَا ... بِرَحَاهُ تُطْحَنُ كالحَصِيدِ تَذَلُّلا

١٠٣. فَيَجِيء مَن في النَارِ يَسْأَلُهُ أَمَا ... قَدْ كُنْتَ تَأمُرُنَا وتَنْهَي مُقْبِلا

١٠٤. فَيَقُولُ يا قَوْمِي بَلَى لَكِنَّني ... ما كُنْتُ بالعِلْمِ المُكَرَّمِ عامِلا

١٠٥. يَعْصِي امرُؤٌ قَد رامَ غَيْرَ إلَهِهِ ... وثَوَابَ أُخري بالتَعَلُّمِ غَافِلا

١٠٦. حِرْمٌ عَلَيهِ جِرايَةُ المُتَفَقِّهة ... إلّا بِعِلْمٍ نَافِعٍ مُتَشَاغِلا

١٠٧. وكذاكَ يَعْصِي مَنْ يُعَلِّمُ ذَلِكَ ... إلّا لِعِلْمٍ نَافِعٍ لا جَاهِلا

Scanned by CamScanner

١٠٨. فَإذا رَأَي مُتَعَلِّمَاً يَكْبُو على الشَّـ ـهَواتِ مُتَّبِعَاً هَوَاهُ مُعَامَلا

١٠٩. مُتَكَالِباً أَيْضَاً على رَوْمِ الدُّنَا مِن غَيْرِ مِنْهَاجٍ مُبَاحٍ فَائلا

١١٠. أو قَدْ تَعَاطَي عِلْمَ فَرْضِ كِفَايَةٍ مِن قَبْل فَرْضِ العَيْنِ عِلْماً وابْتِلا

١١١. فَلَقَد تَبَيَّنَ مِنْ قَرَائِنِ حَالِهِ قَصْدٌ لِغَيْرِ الله فِيهِ تَغَلْغَلا

١١٢. وكَذا إذا تَرَكَ الصَلاةَ جَمَاعَةً مِن غَيْرِ عُذْرٍ بَلْ بِأن يَتَكَاسَلا

١١٣. وكَذَاكَ تَرْكٌ للرَوَاتِبِ والسُنَنْ إنْ أُكِّدَت فاعْلَمْهُ واضِحُ تَبَتَّلا

١١٤. ولِعَالِمِ الأُخْرِي عَلامَاتٌ تُرَي لا يَطْلُبَ الدُنيا بِعِلْمٍ مَسَائِلا

١١٥. ولِذَاكَ آيَاتٌ تَكُونُ كَثِيرَةٌ أَنْ لَا يُخَالِفَ قَوْلُهُ ما يَفْعَلا

١١٦. ويَكُونَ بِالمَأمُورِ أَوَّلَ عَامِلٍ و عَنِ الذي يَنْهَي تَجَنَّبَ أولا

١١٧. ويَكُونَ مُعْتَنِيَاً بِعِلْمٍ رَغَّبَا فِي طَاعَةٍ ناهٍ عَنِ الدُنْيَا اجْتلا

١١٨. مُتَوَقِّيا علما يَكُونُ مُكَثِّرَاً قِيلاً وقَالاً والجِدالَ مُسَوِّلا

١١٩. ويَكُونَ مُجْتَنِباً تَرَفُّهَ مَطْعَمٍ وبِمَسْكَنٍ وأَثَاثِ ذَاكَ تَجَمُّلا

١٢٠. وتَنَعُّماً وتَزَيُّناً بِلِبَاسِهِ و إلى القَنَاعَةِ والتَقَلُّلِ مائِلا

١٢١. و يَكُونَ مُنْقَبِضاً عن السُلْطَان ذا أَن لا يَكُونَ عَلَيهِ يَوْمَاً دَاخِلا

١٢٢. إلا لِنُصْحٍ أو لِرَد مَظَالِم أو لِلشَفَاعَةِ في المَرَاضِي فادْخُلا

١٢٣. وإلى الفَتَاوِي لا يَكُونَ مُسَارِعَاً ويَقُولَ اسْأل مَن يَكُونُ تَأَهَّلا

١٢٤. وأَبَي اجْتِهاداً لا يَكُونُ تَعَيَّنَا ويَقُولُ لا أَدْرِي إذا لَمْ يَسْهُلا

١٢٥. ويَكُونَ يَقْصِدُ بالعُلُومِ وُجُودَهُ لِسَعَادَةِ العُقْبَي العَظِيمَةِ نَائِلا

Scanned by CamScanner

١٢٦. فَيَكُونَ مُهْتَمّاً بِعِلمِ البَاطِنِ ... ورِقَابُ قَلْبٍ لِلسِيَاسَةِ فَاعلا

١٢٧. مُتَوَقِّعاً لِطَرِيقِ عِلْمِ الآخِرة ... مِمَّا يَكُونُ مِنَ المُجَاهَدَةِ انْجَلا

١٢٨. ويَكُونَ مُعتَمِداً على تَقْلِيدِهِ ... لِشَرِيعَةٍ وعلى بَصِيرَته الجلا

١٢٩. وأئِمَّةٌ كالشَافِعِيِّ ونَحْوِهِ ... كَانُوا على سِتٍ خِصَالٍ كُمِّلا

١٣٠. زُهْدٌ صَلاحٌ والعِبَادَةُ عِلْمُهُم ... بِعُلُومِ عُقْبَي نَافِعَاتٍ لِلمَلا

١٣١. وكَذَا الفَقَاهَةُ فِي مَصَالِحِ دِينِنَا ... وإرَادَةٌ بِتَفَقُّهٍ رَبَّ العُلا

١٣٢. فُقَهَاؤنا قَدْ تَابَعُوا في فِقْهِهِم ... لا غَيْرَ فاتْبَع فِي الجَمِيعِ لتَفْضُلا

١٣٣. فَتَعَلَّمن لِلَّهِ عِلْماً نَافِعاً ... إنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مُلْكَ دارَيْنِ اعْتِلا

١٣٤. تَعْلِيمُهُ لِلَّهِ خَيْرُ عِبَادَةٍ ... وخِلَافَةٍ وِوِرَاثَةٍ فتَوَسَّلا

١٣٥. وَجِّه كَلامَ القَوْمِ غَيْرَ مُخَطِّئٍ ... ومُعَلِّماً وَقِّرْ وَلَسْتَ مُجَادِلا

١٣٦. واسْتَفْسِرْ الأُسْتَاذَ تَتْرُكُ مَا بَدَا ... لَبْدِيهِ فَهْمِكَ مِنْ كِتَابٍ واسْأَلا

١٣٧. قَابِلِ كِتَابَكَ قَبْلَ وَقْتِ مُطَالَعَةْ ... بِصَحِيحِ كُتْبٍ وَاضِحٍ قَدْ عُوِّلا

١٣٨. طَالِعْ مِرَاراً مَتْنَهُ قَبْلَ الشُرُو ... ح فإنَّهُ أَوْلَي وأحْسَنَ مَوئِلا

١٣٩. ولِفَهْمُ سَطْرٍ مِنْ مُتُونٍ أحْسَنُ ... مِنْ عَشْرِ أَسْطُرْ مِنْ شُرُوحٍ فَاقْبَلا

١٤٠. وابْدَأْ بِفَرْضِ العَيْنِ ثُمَّ اعْمَلْ بِهِ ... ثُمَّ الكِتَابِ فَسُنَّةٍ مُتَرَتِّلا

١٤١. واتْبِعْ بِعِلْمِ الفِقْهِ ثُمَّ أُصُولِهِ ... ثُمَّ البَوَاقِي رَاعِ تَدْرِيجاً بلا

١٤٢. وعُلُومُ آدابٍ ثَمَانِيَةٌ لغَةْ ... صَرْفٌ ونَحْوٌ والمَعَانِي المفضَلا

١٤٣. وكَذَا بَيَانٌ والبَدِيعُ وقَافِيَةْ ... وكَذَا عَرُوضٌ فَاطْلُبَنْهَا مُجْمَلا

Scanned by CamScanner

١٤٤. وفُرُوعُهَا انْشَاءُ نثرٍ والنِظَامْ ... ومُحَاضَراتٍ والخُطُوطُ فأجْمِلا

١٤٥. لا تَغْتَرِر بِوُقُوعِ أَهْلِ زَمَانِنَا ... فِي مَنْطِقٍ ثُمَّ الكَلامُ تَوَغَّلا

١٤٦. طَالِعْ أخي إحياء غَزَّال تَنَلْ ... فِيهِ الشِفَا مِن كُلّ دَاءٍ أَعْضَلَا

١٤٧. كُلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِن حَلَالٍ لا شُبَهْ ... ما لَمْ يَذُمَّ الشرعُ ذَلِكَ حَلِّلَا

١٤٨. لا شَيءَ أَنْفَعُ مِن تَقَلُّلِ أَكْلِهِ ... وشَرَابِهِ للجِسْمِ والدِينِ اغْتِلَا

١٤٩. آفَاتُ شَبعٍ ثُقْلُ جِسْمٍ قَسْوَةُ الـ ... ـقَلْبِ الإزَالَةُ فِطْنَةً مُتَمَلْمِلَا

١٥٠. تَضْعِيفُ جِسْمٍ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ... جَلْبٌ لِنَوْمٍ فاحْذَرَنْهُ وعَبْهِلَا

١٥١. قِلْ بَعدَ ذَلِكَ للسُهَادِ لطَاعَةٍ ... ثُمَّ انْتَبِه قَبْلَ الزَوَالِ تَسَلُّلَا

١٥٢. والظُهْرَ صَلِّ جَمَاعَةً مع سُنَّةٍ ... ثُمَّ اشْتَغِلْ بالخَيْرِ مِمَّا قَد خَلَا

١٥٣. فلِطَالِبٍ عِلْمَاً بِعِلْمٍ يَشْتَغِلْ ... ولِعَابِدٍ صَلِّي تَلَا أو هَلَّلَا

١٥٤. وكَذَا إلى وقتِ الرُّقَادِ فواظِبَن ... جِدَّاً على هَذَا ولا تَكُ ذَاهِلَا

١٥٥. وكِتَابُ أَذْكَارِ النَوَاوِي طَالِعَن ... واعْمَلْ بِمَا فِيهِ تَنَلْ خَيْرَاً جَلا

١٥٦. لا تَجْلِبَنْ نَوْمَاً ولا تَكُ نَائِمَا ... إلا على ذِكْرٍ وطُهْرٍ كَامِلا

١٥٧. لا بَأسَ إن ضَاجَعْتَ زَوْجَكَ لَمْ تَصِرْ ... فِي غَفْلَةٍ وتَلَامُسٍ مُسْتَرْسِلا

١٥٨. فإذا انْتَبَهْتَ بِلَيْلَةٍ فَتَهَجَّدَا ... واسْتَغْفِرَنْ للمُؤمِنِينَ وأعْوِلَا

١٥٩. فَلَرَكْعَتَانِ مِنَ الصَّلاةِ بِلَيْلَةٍ ... كَنْزٌ بِدَارِ الخُلْدِ أدوَمَ أنْبَلا

١٦٠. فاسْتَكْثِرَنّ مِنَ الكُنُوزِ لِفَاقَةٍ ... تَأتِي عَلَيكَ ولا نَسِيبَ وَلَا وِلَا

١٦١. ويَفُوتُ هَذَا بِالكَثِيرِ مِنَ اهْتِمَا ... مِكَ واشْتِغَالِكَ بِالدُنَا مُتَغَافِلاً

Scanned by CamScanner

١٦٢. وحَديثِ دُنْيَا ثُمَّ لَغْوٍ واللَغَط ... وكَذَا باثْعَابِ الجَوَارِحِ وانْتِلَا

١٦٣. ويُعِينُ تَجْدِيدُ الوُضُوءِ وذِكْرُكَا ... قَبْلَ الغُرُوبِ مُسَبِّحَا مُسْتَقْبِلَا

١٦٤. وعِبَادَةٌ بَيْنَ العِشَاءِ ومَغْرِبٍ ... تركٌ كَلَاماً بَعْدَ ذَلِكَ غَافِلَا

١٦٥. واظِبْ على هَذَا بَقِيَّةَ عُمْرِكَ ... واقْصُرْ لآمَالٍ وجَاهِد تُقْبَلَا

١٦٦. مَنْ لا لَهُ شُغْلٌ بِدُنيا تَارِكا ... دُنْيَا لَهُم ما بَالُ ذَلِكَ يَبْطُلَا

١٦٧. فبِخِدْمَةِ اللهِ العلى تَنَعُّماً ... بِصَلاتِهِ وعِبَادةٍ مُتَشَاغِلاً

١٦٨. وإذا السَآمَةُ في الصَلاةِ تَعَرَّضَتْ ... فاتْلُ القُرانَ بِرَهبَةٍ مُتَأمِّلا

١٦٩. وإذا سَئِمْتَ تِلَاوَةً فانزِلْ إلى ... ذِكْرٍ بِقَلْبٍ واللِسَانِ مُكَمِّلا

١٧٠. ثم اذكُرَنْ بالقَلْبِ وهو مُراقَبة ... لا تَشْتَغِل بِحَدِيثِ نَفْسٍ مُهْمَلا

١٧١. فحَدِيثُ نَفْسٍ كَالكَلَامِ بألسُنٍ ... يَقْسُو بِهِ قَلْبٌ فَلا تَكُ غَافِلا

١٧٢. قد أجْمَعَ العُرَّافُ جُلُّهُمُ على ... أن افْضَلَ الطَاعَاتِ للهِ العَلا

١٧٣. حِفْظٌ لأنْفَاسٍ يَكُونُ خُرُوجُهَا ... ودُخُولُهَا باللهِ في المَلأ الخَلا

١٧٤. بالشَدِّ ثُمَّ المَدِّ تَحْتٌ ثُمَّ فَوْق ... صِفَةٌ لَهُ مَع بَرْزَخٍ فاستَكْمِلَا

١٧٥. أوْ ذِكْرَ تَهلِيلٍ وذا الذِكرُ الخَفِي ... مِن غَيْرِ تَحْرِيكِ الشِفَاهِ تَدَاوَلا

١٧٦. مَن لَمْ يَكُن فِي بِدءِ أمرٍ جَاهِدَاً ... لَمْ يَلْقَ مِن هَذِي الطَرِيقَةِ خَردَلا

١٧٧. وكَذَاكَ مَعرِفَةٌ تَخُصُّ عَلِيَّةٌ ... فِي غَالِبٍ مِن غَيْرِهَا لن تَحْصُلا

١٧٨. وجِهَادُ نَفْسٍ أن تُزَكِّي مِن رذَا ... ئِلِهَا وتَحْلِيَةٌ بِنُورِ فَضَائِلا

١٧٩. فَلَرَكْعَةٌ مِنْ عَارِفٍ هِيَ أفْضَلُ ... مِنْ أَلْفِهَا مِنْ عَالِمٍ فَتَقَبَّلا

Scanned by CamScanner

١٨٠. والعَـارِفُونَ بِـربِّهِم هُـمْ أفْضَـلُ ... مِـنْ أهْـلِ نَـزْعٍ والأُصُـولِ تَكَمُّـلا

١٨١. قَـالَ الإمَـامُ السُـهْرَوَرْدِي قُدِّسَـا ... والمَقْصِدُ الأقْصَى المُشَـاهَدَةُ العَـلا

١٨٢. فلْيُكْثِـرِ العَبْـدُ الـتِلاوَةَ مُكْثِـرَاً ... ذِكْـرَاً بِطيِّـبِ كِلْمَـةٍ مُتَبَتِّـلا

١٨٣. ولْيَجْتَهِـدْ بِوِطَـاءِ قلـبٍ نُطْقَـهُ ... حَتَّـى يَصِـيرَ بِقَلْبِـهِ مُتَأصِّـلا

١٨٤. ومُزِيلـةً لحَـدِيثِ نَفْـسٍ كَـي ينـوَ ... ر القلـبُ للحَـالِ العَلِيَّـةِ نَـائِلا

١٨٥. ويَفِـيضُ نُـورُ القَلْـبِ للقَالِـب فَـذَا ... بِمَحَاسِـنِ الأعْمَـالِ مِنْـهُ تَسَـوَّلا

١٨٦. ويَصِـيرُ حقًّـا ذِكْـرُ ذَاتٍ ذِكْـرُهُ ... هَـذِي المُشَـاهَدَةُ الشَـرِيفَةُ حَصِّـلا

١٨٧. هَذَا الَـذِي أوصَـى الشُـيُوخُ الكُمَّـلُ ... اللهُ وَفَّقَنَـا لَـهُ مُتَفَضِّـلا

١٨٨. والحَمْـدُ للبَـاقِي الـرؤوفِ مُصَـلِّيَاً ... أعْلَى الصَلاةِ عَلَى الرَسُولِ مُحَوْقِلا

** ** **

Scanned by CamScanner

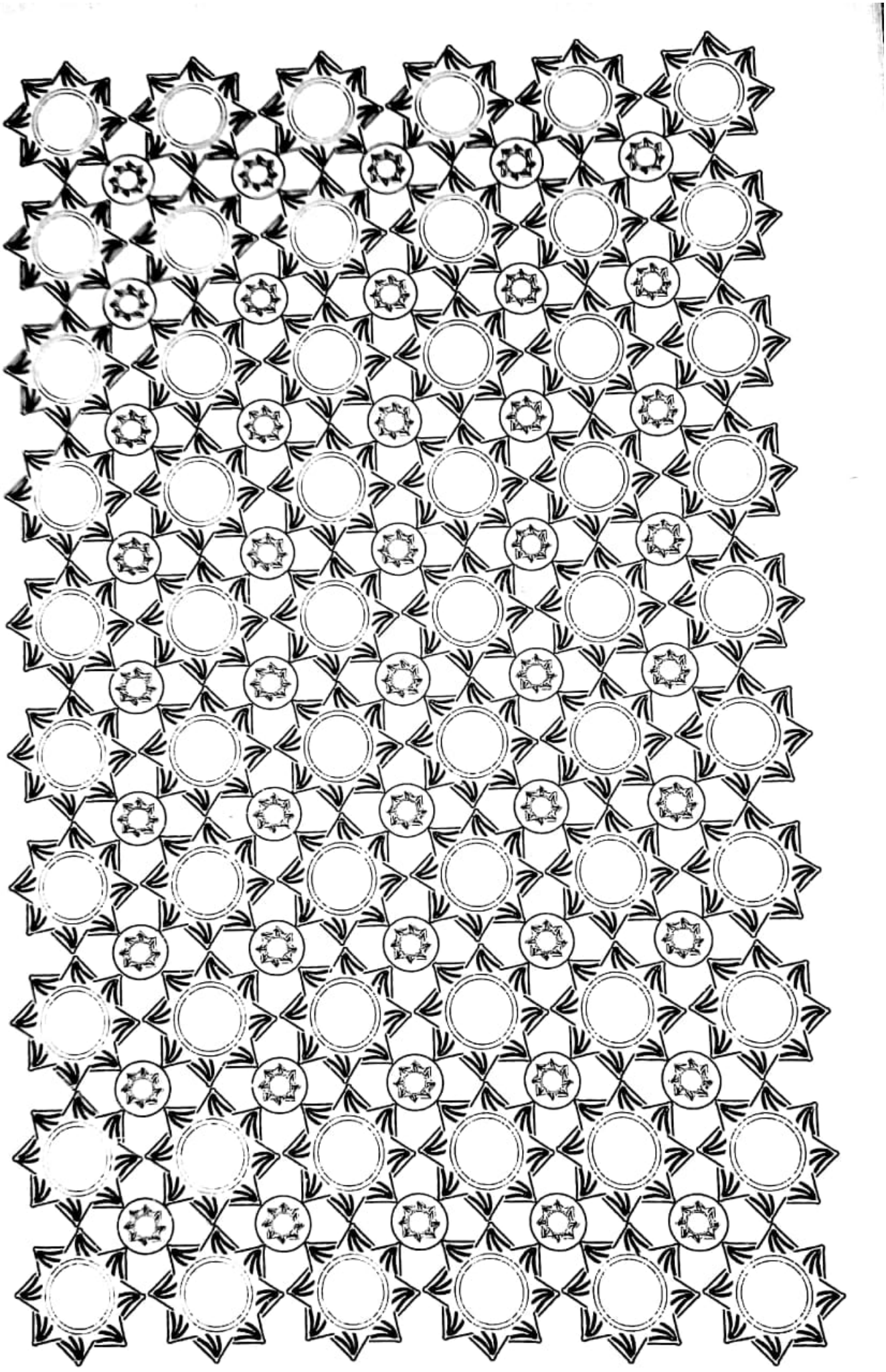

Scanned by CamScanner

إِرْشَادُ الْأَبَّاءِ

إِلَى

هِدَايَةِ الْأَذْكِيَاءِ

(الشرح الصغير على منظومة «هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء»
للشيخ زين الدين الملَيْبَاري الكبير)

تأليف الإمام العلامة

الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ الإمام

زين الدين الكبير، الفُنَّاني الملَيْبَاري الهندي الشافعي رحمه الله

(٩١١ - ٩٩٤هـ)

تحقيق ودراسة

أحمد فتح الباب

راجعه وقدم له

د. عبد النصير أحمد الشافعي الملَيْبَاري

Scanned by CamScanner

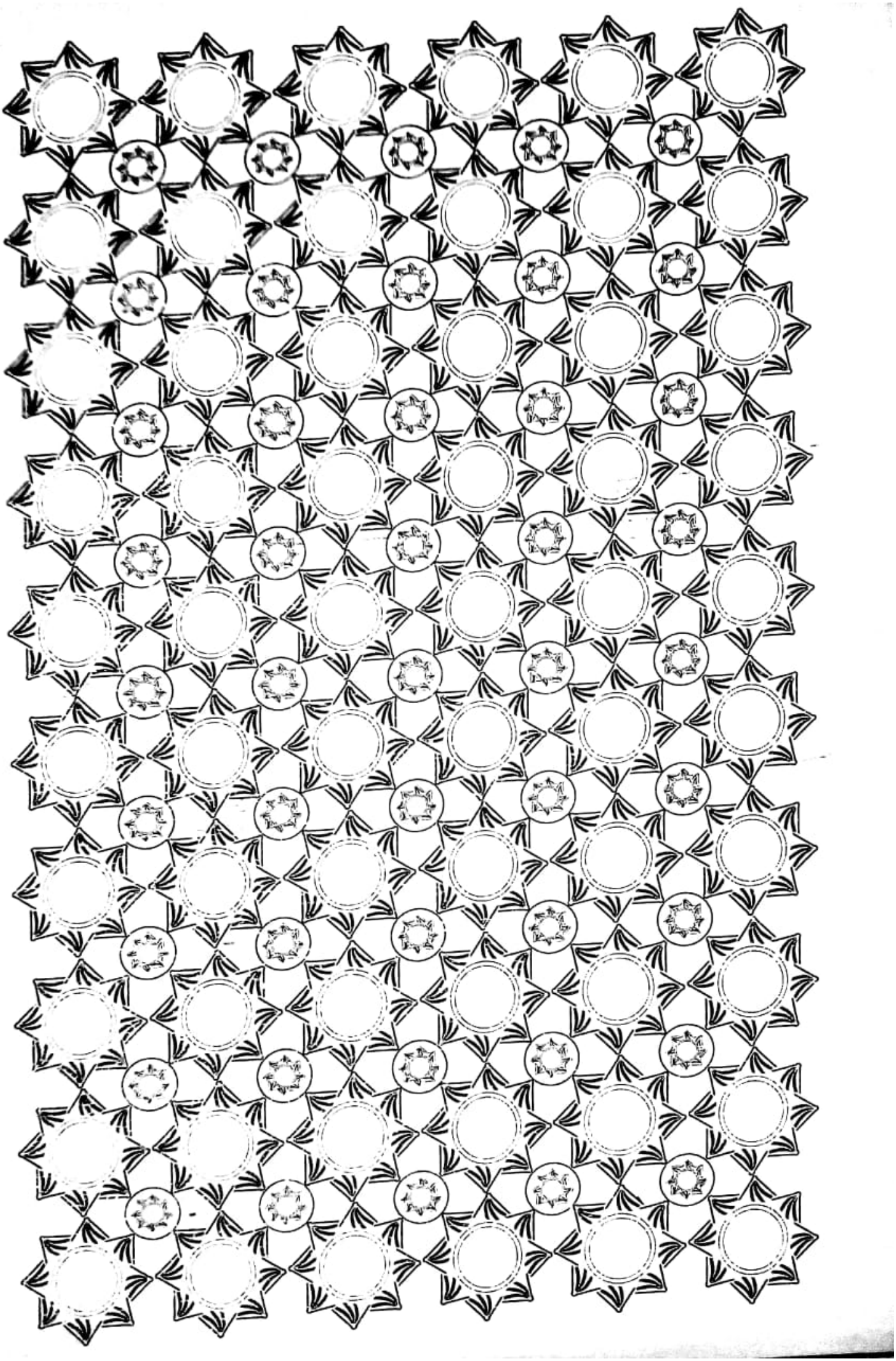

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدى الأذكياء إلى سلوك طريقة الأولياء، ووفقهم للزهد في الدنيا، والإعراض عنها في السراء والضراء، وزينهم بلباس التقوى في جميع الحالات، وألهمهم صرفَ أوقات عمرهم في الطاعات[1]. أحمده على نعمه المتواترة، وتوفيقه الذي هو المنة المتظاهرة، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الكبير المتعال، الكريم المفضال، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى، وحبيبه المقتفى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وذرياته وأزواجه وأصحابه، صلاة متتابعةً دوام الليالي والأيام، وفائضا خيرُها مدى الدهور والأعوام، أما بعد،،،

فإن شرف الإنسان بالتقوى، وعمارة الأوقات بالطاعات، وتوزيعها فيما يليق بها من أصناف الخيرات، فمن وفق لذلك فهو السعيد عند الله وعند رسوله، والفائز برضا الله، والمحب بنعمة المشاهدة والمحبة، والممنوح بأعلى درجات المعرفة، فيجب على الموفق الشكر على ذلك في جميع حالاته، مع ملازمة الخوف من التغير في لحظاته؛ فإنه لا محل مع ذلك للأمن من سوء الخاتمة، ولو بلغ السالك الدرجة العلية، والمقامات السنية، وعلى هذا درج السلف الصالحون، والعلماء الراسخون، فمن كان ملازما للخوف والوجل، مع الاستقامة

(١) وهذا من باب (براعة الاستهلال) وهو أن يأتي في مقدمة الكلام بما يشير إلى مقصوده (ق).

Scanned by CamScanner

على صرف أوقاته/ كلها في العمل فهو جدير بأن يحفظ إيمانه، ويختم بالصلاح أعماله، فيكون من الفائزين بدرجات النعيم، والسالمين من دركات الجحيم.

السبب الباعث على تأليف الكتاب

وكانت القصيدة المباركة، المسماة بـ«هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء»، لشيخي وسيدي ووالدي، الشيخ زين الدين بن على بن أحمد المعبري الشافعي[1]، رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا به، من أنفع كتب للسالكين؛ لجمعها ـ مع اختصارها ـ لما هو الأهم للطالبين المسترشدين، من قطع المنازل والعقبات، وتوزيع الأوقات في الطاعات[2]. وقد كنت شرعت في جميع[3] شرح لها، لما رأيت من كثرة رغبة أصحابنا الطلاب في الاشتغال بها، والاستفادة منها، ولكنه خرج عن حد الاختصار، قاضيا للملال والازورار، مع قصور همم أهل الديار في هذه الأعصار، فكتبت هذا التعليق اللطيف، جامعا لما لا بد منه من الفوائد، غير جانح إلى الإطناب الممل، والإيجاز المخل[4]؛ ليكثر اشتغال الطلاب،

---

(١) سبقت ترجمته في مقدمة الكتاب فلتراجع هناك (ق)

(٢) وسبب نظم هذه الأبيات كما حكى الناظم أنه كان مترددا فيما يشتغل به من العلوم أيشتغل بالفقه ونحوه أم بالتصوف كالعوارف وغيرها فرأى في المنام ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة أربع عشرة وتسعمائة من الهجرة قائلا يقول أن التصوف أولى بالاشتغال. (ن)

(٣) كذا في الأصل، ولعل الأصوب «جمع» بدل «جميع». (ق)

(٤) والاختصار من أهم أسباب التصنيف، التي هي: الاختراع والإبداع، والإتمام، والبيان والتوضيح، والاختصار، وجمع الشتات، والترتيب، وإصلاح الخطأ. وقد جمعها بعضهم في قوله:

أبدع تمام بيان في اختصارك في ... جمع ورتب وأصلح يا أخي الخللا

والاختصار في تراثنا الإسلامي لم يكن يعني مجرد تقليص اللفظ، وإنما تهذيب المحتوي، واختيار الراجح من الأقوال والاقتصار عليه، وإعادة المستغلق من المعاني بلفظ أوضح، وغير ذلك من سائر أنواع الخدمة. ولذا أكثروا من الاختصار للكتب المهمة، فتنبه (ق)

Scanned by CamScanner

ويسهل على الراغب.

فأخذت من الكتب التي أخذها منها، وهي:

المصادر التي اعتمد عليها واستمد منها

١ - «إحياء علوم الدين»[١].

٢ - ومختصره.

٣ - و«بداية الهداية»[٢].

---

(١) هو كتاب الإمام الغزالي الأعظم، ومصنفه الأفخم، كتبه في أثناء خلوته التي طاف فيها البلدان، وقصد أثنائها إلي تهذيب نفسه ومعرفة ربه. والكتاب علي أربعة أقسام: في العبادات، والمعاملات، والمهلكات، والمنجيات. جمع فيه مصنفه ما يحتاجه طالب الآخرة من أمور الدين وأحوال النفوس وأساسيات السلوك إلى الله. قال فيه الحافظ العراقي: (إنه من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل، ولم يتبحر في اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن، ومزج معانيها في أحسن المواطن، وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه، وسلك فيه من النمط أوسطه، مقتدياً بقول علي كرم الله وجهه: خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي). وقال فيه النووي: (كاد الإحياء أن يكون قرآناً). وقال عبد الله العيدروس: (من أراد طريق الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء بالله أهل الظاهر والباطن، فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً «إحياء علوم الدين» فهو البحر المحيط). والحديث عن هذا السِفر يطول، ومنافعه لا تنفد. جعل الله لنا من بركاته وبركات مصنفه. (ق)

(٢) وهو كتاب للغزالي كذلك، يعتبر مقدمة للإحياء، جمع فيها فصولا في الأدب واجتناب المعاصي. جعل قسمه الأول في الطاعات وفيه آداب النوم والاستيقاظ منه، ودخول الخلاء، والوضوء، والغسل، والتيمم، والخروج من المسجد، ودخوله، وآداب ما بعد طلوع الشمس إلي الزوال، وآداب الاستعداد لسائر الصلوات، وآداب النوم، والصلاة، والإمامة والقدوة، والجمعة والصيام. وجعل قسمه الثاني في اجتناب المعاصي، وختمه بفصل في آداب الصحبة والمعاشرة. (ق)

Scanned by CamScanner

٤ ـ و«فاتحة العلوم»[(١)]، للشيخ الإمام حجة الإسلام الغزالي[(٢)].

٥ ـ و«العوارف»[(٣)]، لشيخ الشيوخ السهروردي[(٤)].

---

(١) وهو لحجة الإسلام أيضا. قال في مقدمته: (نذكر فيه شرائط العلم وفضائله ولوازمه ولواحقه وآفاته وغوائله وآدابه وفرائضه وسيرة علماء السلف وعلامات علماء الدنيا وعلامات الآخرة. وينكشف ذلك في سبعة أبواب (الباب الأول) في فضيلة العلم (الباب الثاني) في تصحيح النية في طلب العلم (الباب الثالث) في العلامات الفاصلة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة (الباب الرابع) في العلوم المهمة وأقسامها (الباب الخامس) في شروط المناظرة وآفاتها (الباب السادس) في آداب العالم والمتعلم (الباب السابع) فيما يحل أخذه من أموال السلاطين للعلماء. (ق)

(٢) هو: الشيخ الإمام أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي [٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ]، من أنجب تلامذة إمام الحرمين، ومن أقطاب الأشعرية وأئمة الشافعية، وله قدم راسخ في علوم الباطن، وترك آثارا كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، منها: الاقتصاد في الاعتقاد، المستصفى، الوسيط، الإحياء، التهافت وغيرها. انظر طبقات الشافعية الكبري: ١٩١/٦ ـ ٣٨٩. (ق)

(٣) هو أحد أمهات كتب التصوف، اشتمل على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم، وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم، وحقائق معرفتهم وتوحيدهم، ودقيق إشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم. (ق)

(٤) هو: الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله: عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السهروردي، الصوفي [٥٣٩ ـ ٦٣٢هـ] صحب عمه، وسلك طريق الرياضات والمجاهدات، وقرأ الفقه والخلاف والعربية، ثم لازم الخلوة والذكر والصوم إلى أن خطر له عند علو سنه أن يظهر للناس ويتكلم، فظهر له القبول واشتهر، وظهرت بركاته وأنفاسه على قوم من العصاة، ووصل به خلق إلى الله، وصار أصحابه كالنجوم، ورتب برباط الناصريّ، وبرباط المأمونية، ورباط البسطامي. وكان تام المروءة، كبير النفس، ليس للمال عنده قدر، وقد حصر له ألوف كثيرة فلم يدخر شيئا، ومات ولم يخلِّف كفنا، وكان مليح الخَلقِ والخُلُق، متواضعا، كامل الأوصاف الجميلة. انظر سير أعلام النبلاء (٣٧٦/٢٢) (ق)

Scanned by CamScanner

٦ ـ و«التبيان في آداب حملة القرآن»[١]، للشيخ محيي الدين النووي[٢].

٧ ـ و«الرسالة القدسية[٣]»[٤]، للشيخ زين الدين الخوافي[٥].

---

(١) هو كتاب للإمام النووي جمع فيه ما يجب لحامل القرآن وحافظه من صفات. يتحدث الكتاب عن فضيلة تلاوة القُرآن وحملته، وترجيح القراءة والقاري، وإكرام أهل القُرآن، وآداب مُعلِّمه ومُتَعَلمه، وآدابِ حامله، وآداب القِراءة ـ وهو معظم الكتاب ومقصوده ـ، وآداب جميع النَّاس مع القُرآن، والآيات والسور المستحبة في أوقات مخصوصة، وختم بفصل في كتابة القُرآن، وإكرام المصحف. (ق)

(٢) هو: الشيخ الإمام العلامة الفقيه أبو زكريا: يحيى بن شرف النووي الشافعي، [٦٣١ ـ ٦٧٦هـ] أخذ عن شيوخ كثر، وهو أحد محققي مذهب الإمام الشافعي، يقول التاج السبكي في الطبقات: (شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السالفين. كان يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ سيدا وحصورا، وليثا على النفس هصورا، وزاهدا لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعا معمورا، له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وتصوفا وغير ذلك). من مصنفاته: (رياض الصالحين) و(الأربعون النووية) و(منهاج الطالبين) و(روضة الطالبين) و(المجموع شرح المهذب) و(التقريب) و(شرح صحيح مسلم) و(الأذكار) و(التبيان في آداب حملة القرآن) و(تهذيب الأسماء واللغات) وغيرها من المصنفات النافعة التي عم نورها الآفاق. انظر طبقات الشافعية الكبرى للتاج السبكي ٣/٣٥٩ (ق)

(٣) في الأصل «القدسي».

(٤) قال في أولها: (وصية لأصحابي ولأولادي الذين تابوا إلى الله وقصدوا سلوك طريق أولياء الله تعالى بلّغهم الله وإيَّاي إلى منتهى هِمَم الصّديقين، وسلك بنا طريق أحباب المقربين، صدرت عن محض الشفقة عليهم وإجابة لالتماساتهم) (ق)

(٥) محمد بن محمد بن علي الخرساني، الخوافي، البرابادي، فقيه حنفي من أهل هراة. رحل كثيرا إلى مصر والشام والحجاز وخراسان. وتصوف وحج وتتلمذ له كثيرون ومات بهراة. (ق).

Scanned by CamScanner

٨ ـ و«الكبريت/ الأحمر»[١]، للشريف عبد الله العيدروس[٢].

٩ ـ و«معارج الهداية»، لأخيه الشريف علي بن أبي بكر.

رحمهم الله تعالى، ونفعنا ببركاتهم، ولا حرمنا جزيل كراماتهم، وسميته بـ«إرشاد الألباء إلى هداية الأذكياء»

والله الكريم نسأل أن ينفع به الطالبين، وأن يوجه إليه رغبة الراغب[٣]، ويجعل سعيي فيه مما يخلصني من الجحيم، ويدخلني في دار النعيم؛ إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

---

(١) هو كتاب (الكبريت الأحمر، والإكسير الأكبر، في معرفة أسرار السلوك إلى ملك الملوك) بدأه بمقدمة عن تعريف التصوف، ثم تحدث عن المقامات وهي التوبة، والورع، والزهد، والصبر، والفقر، والشكر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرضا، ثم فصّل في الأحوال ومنها: القبض والبسط، والهيبة والأنس، والتواجد والوجد، والوجود، والجمع والفرق وجمع الجمع، والفناء والبقاء، والغيبة والحضور، والسكر والصحو (ق).

(٢) هو: الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس [٨١١ ـ ٨٦٥ هـ]. ولد في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمانمائة وأحد عشر للهجرة. تعلم القرآن على يد السيد محمد بن عمر باعلوي، وتفقه على الفقيه علي بن محمد أبي عمار قرأ (التنبيه)، و(المنهاج)، و(الخلاصة). وقد أخذ التصوف على عمه الشيخ عمر المحضار. وكان يكثر مدح إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي. من تصانيفه: الكبريت الأحمر، وله وصايا في الطريقة، وشرح على قصيدة عمه الشيخ عمر المحضار. توفي سنة ٨٦٥ هجرية. انظر: غرر البهاء الضوي، في تراجم السادة آل باعلوي للإمام المحدث محمد بن علي خرد باعلوي. (ق)

(٣) كذا في الأصل، ولعل الأصوب «الراغبين». (ق)

Scanned by CamScanner

١. الْحَمْـــدُ لِلّٰهِ الْمُوَفِّـــقِ لِلْعُـــلَا حَمْـــدًا يُـــوَافِي بِـــرَّهُ الْمُـــتَكَامِلَا

٢. ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى وَالآلِ مَـــعْ صَـــحْبٍ وَتُبَّـــاعٍ وِلَا

الكلام على البسملة والحمدلة

(بسم الله)[1]، أي باسم مسمى هذا الاسم أؤلف أو أبتدأ. و«الله» علم للذات الواجب الوجود، الجامع لجميع صفات الكمال، (الرحمن)، أي مريد الإنعام على الخلق: بَرِّهم وفاجرِهم، وهو خاص بالله تعالى، لا يطلق على غيره. (الرحيم)، أي مريد الإنعام على[2] المؤمنين، ويطلق على غيره، وإن كان معناه خاصا بالله تعالى[3][4].

---

(١) الباء للمصاحبة، ومتعلق الجار والمجرور على الصحيح فعل مؤخر مناسب للمقام، والتقدير: بسم الله الرحمن الرحيم أؤلف أو أكتب. (ق)

(٢) في الأصل تكرر لفظ «على». (ق)

(٣) اعلم رحمك الله أنه ينبغي لكل شارع في فن أن يتكلم على البسملة بما يناسب الفن المشروع فيه وفاء بحق البسملة وبحق الفن المشروع فيه. والشروع الآن في فن التصوف فينبغي أولا أن نبين حده وموضوعه وبقية المبادئ ثم نلحق ذلك بالتكلم على البسملة فنقول: أما حده فهو علم يعرف به أحوال النفس وصفاتها الذميمة والحميدة. وأما موضوعه فهو النفس من حيث ما يعرض لها من الأحوال والصفات. وأما ثمرته فهي التوصل به إلى تخلية القلب من الأغيار وتحليته بمشاهدة الملك الغفار. وأما حكمه فهو الوجوب العيني على كل مكلف وذلك لأنه كما يجب تعلم ما يصلح الظاهر كذلك يجب تعلم ما يصلح الباطن. وأما فضله فهو فوقانه على سائر العلوم من جهة أنه يوصل إلى ما ذكر. وأما نسبته للعلوم فهو أنه أصل كل علم وما سواه فرع ونسبته للباطن كنسبة الفقه إلى الظاهر. وأما واضعوه فهم الأئمة الأعيان العارفون بربهم المنان. وأما استمداده فهو من كلام الله وكلام رسوله سيد ولد العدنان ﷺ وذوي اليقين والعرفان. وأما مسائله فهي قضاياه. (ك)

(٤) ومما يتعلق بالبسملة من المعاني الدقيقة ما قيل من أن الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله. وقيل الباء بكاء التائبين، والسين سهو الغافلين، والميم مغفرته للمذنبين. وقال بعض الصوفية: الله لأهل الصفا، الرحمن لأهل الوفا، الرحيم لأهل الجفا.=

Scanned by CamScanner

(الْحَمْدُ)، هو الثناء باللسان على الجميل[1] الاختياري، سواء كان في مقابلة نعمة أو غيرها[2]. (لِلَّهِ الْمُوَفِّقِ لِلْعُلَا)، أي لاكتساب أسباب الدرجات الرفيعة، وهي إطاعة الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و«التوفيق» خلق قدرة الطاعة. (حَمْدًا يُوَافِي بِرَّهُ الْمُتَكَامِلَا)[3][4]، أي يفي بإحسانه الكامل، ويقوم بحقه. و«حمدا» مفعول مطلق لفعل محذوف، دل عليه «الحمد»، لا الحمد المذكور؛ للفصل بين المصدر ومعموله بالأجنبي.

الكلام على الصلاة على النبي وآله وصحبه

(ثُمَّ الصَّلَاةُ)، هي من الله رحمة مقرونة بتعظيم، ومن الملائكة استغفار،

= وقالوا: أودع الله جميع العلوم في الباء أي بي كان ما كان وبي يكون ما يكون، فوجود العالم بي، وليس لغيري وجود حقيقي إلا بالاسم. وهو معنى قولهم: ما نظرت في شيء إلا ورأيت الله فيه أو قبله. والحكمة أن الله جعل افتتاح البسملة بالباء لا غيرها من الحروف وأسقط الألف من (اسم) وجعل في مكانها الباء أنها حرف شفوي تنفتح به الشفة ما لا تنفتح بغيره [...] وأنها مكسورة أبدا فلما كانت فيها الكسرة والانكسار في الصورة والمعنى وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال: أنا عند المنكسرة قلوبهم، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: من تواضع لله رفعه. بخلاف الألف فإن فيها ترفعا وتكبرا وتطاولا فلهذا أسقطت.

(١) في الأصل: «جميل»، بدون الألف واللام. (ق).

(٢) هذا في اللغة. واصطلاحا فالحمد هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد وغيره، والشكر اللغوي هو الحمد الاصطلاحي، وأما الشكر الاصطلاحي هو صرف العبد جميع ما نعم الله به عليه في طاعته. (ق).

(٣) إعراب البيت: (الحمد) مبتدأ و(لله) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ (الموفق) صفة للفظ الجلالة و(للعلا) متعلق بالموفق. (حمدا) مفعول مطلق للحمد (يوافي) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (بره) مفعوله و(المتكاملا) صفته وألفه للإطلاق. [من (ك) بتصرف].

(٤) القصيدة على بحر الكامل. وأجزاؤه (متفاعلن) ست مرات. وتقطيع البيت الأول من القصيدة كالتالي: الحمدُ لِلّـ(مُتَفَاعِلن) لَهِ المُوَفْـ (مُتَفَاعِلُن) فِقِ لِلْعُلا (مُتَفَاعِلُن) حَمْدَا يُوَا (مُتَفَاعِلُن) في بِرّهْ الـ(مُتَفَاعِلُن) مُتَكَامِلا (مُتَفَاعِلُن). (ق).

Scanned by CamScanner

ومن الآدمي تضرع ودعاء، (عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى)، أي المجتبى/ من جميع الخلق: إنسهم وجنهم وملكهم، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و«الرسول» إنسان جاءه الملك بالوحي، وأمر بتبليغه، و«النبي» يعمه وغيرَه، فهو أعم من الرسول على المشهور[1].

(وَالآلِ)، أي وعلى آله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم المؤمنون من بني هاشم وبني مطلب، وقيل: أمته، واختاره النووي[2] في «شرح مسلم»[3]. (مَعْ صَحْبٍ) له، وهو اسم جمع لصاحب، بمعنى صحابي، وقيل: جمع صاحب. و«الصحابي» من اجتمع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا ومات على الإيمان. (وَتُبَّاعٍ) له إلى يوم القيامة، وهو جمع تابع، (وِلاَ)[4]، بالقصر؛ للوقف، صفة مصدر محذوف، أي

---

(١) وبالجملة ففوائد الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تحصى منها: أنها تجلو القلب عن الظلمة، وتغني عن الشيخ، وتكون سببا للوصول، وتكثر الرزق، وأن من أكثر منها حرم الله جسده على النار. (ك)

(٢) سبقت ترجمته. (ق)

(٣) والذي اختاره بعض المتأخرين أنه لا يطلق القول فيه، بل يفسر في كل مقام بما يناسبه. ففي قوله (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا) يفسر بأهل بيته. وفي قوله: (اللهم صل على سيدنا محمد وآله الفائزين برضاك) يفسر بالمتقين. وفي قوله: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد) يفسر بأمة الإجابة. وعلى هذا المراد بهم هنا جميع أهل الإجابة لكن عليه يكون قوله بعد (مع صحب) من ذكر الخاص بعد العام، ولا مانع منه.

(٤) إعراب البيت: (ثم الصلاة) ثم حرف عطف و(الصلاة) مبتدأ و(على الرسول) متعلق بمحذوف خبره و(المصطفى) صفة للرسول وصفة المجرور مجرور (والآل) الواو عاطفه والآل معطوف على الرسول (مع) بسكون العين ظرف متعلق بمحذوف حال من الآل وهي مضاف و(صحب) بفتح الصاد وسكون الحاء مضاف إليه و(تباع) معطوف على صحب (ولا) بكسر الواو يحتمل أنه صفة مصدر محذوف أي: صلاة ولاء أي متوالية، ويحتمل=

Scanned by CamScanner

صلاة متوالية[1].

٣. تَقْـــوَى الْإِلَهِ مَـــدَارُ كُلِّ سَـــعَادَةٍ وَتِبَـــاعُ أَهْـــوَى رَأْسُ شَرِّ حَبَـــائِلَا

التقوى هي الأصل الجامع لخير الدنيا والآخرة

ولما فرغ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من البسملة والحمدلة والتسمية شرع في بيان الأصل الجامع خير الدنيا والآخرة، وهو التقوى، فقال: (تَقْوَى الْإِلَهِ مَدَارُ كُلِّ سَعَادَةٍ)، أي دنيوية وأخروية، فلا ينهدم ما بني عليها على تعاقب الدهور، وهي العروة الوثقى والبغية العظمى؛ إذ هو سبب محبة الله تعالى، ومدحه ونصره، وقبول الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[4]، وكل السعادة محلها العاقبة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5]، ولذا أوصانا الله تعالى ومن قبلنا بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[6]/.

وقال أبو الحسين الزنجاني[7]: (من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه).

= أنه حال من المبتدأ على رأي سيبويه، أومن الضمير المستتر في الخبر على تأويله باسم الفاعل أي حال كونها متوالية.

(١) وقد تكون (ولا) صفة للتباع. أي متوالين أي متتابعين إلى قرب يوم القيامة [من (ن) بتصرف].

(٢) التوبة: ٤، والتوبة: ٧

(٣) النحل: ١٢٨

(٤) المائدة: ٢٧

(٥) الأعراف: ١٢٨، والقصص: ٨٣

(٦) النساء: ١٣١

(٧) لم أعثر علي ترجمة له

Scanned by CamScanner

والتقوى: اتقاء الشرك، ثم المعاصي، ثم الشبهات، ثم الفضول. والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على سبيل الخيرات[1].

اتباع الهوى رأس الشر

(وَتِبَاعُ أَهْوَا)، بالقصر؛ للضرورة، أي أهواء النفس، جمع هوى، وهو: ميل النفس إلى خلاف ما يقتضيه الشرع، (رَأْسُ شَرٍّ حَبَائِلا)[2]، أي حبائل الشيطان، المراد بها وساوسه ومكائده، جمع حِبالة ـ بالكسر ـ وهي في الأصل شرك الصائد؛ لأن نفس الإنسان مجبولة على اتباع الهوى، الذي هو مرعى الشيطان، فإذا اتبع الإنسان هواه ظهر عليه تسلط الشيطان وتصرُّفُه، حتى يصير قلبه عشه ومعدنه، فلا يتأتى منه ما يقصده من الإقبال على العبادة[3].

---

(١) وكم رتب الله على التقوى من خيرات عظيمة وفوائد جسيمة فمن ذلك: معيته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ومن ذلك العلم اللدني، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، ومن ذلك النجاة من النار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، ومن ذلك المخرج من الشدائد، والرزق من حيث لا يحتسب، واليسر، وعظم الأجر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾، ومن ذلك الزعد بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾، ومن ذلك الكرامة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فجعل الكرامة عنده بالتقوى لا بالأنساب، ولا بالأموال، ولا بشيء آخر. وكم وعد الله ورسوله على التقوى من خيرات، وسعادات، ودرجات، وحسنات يطول ذكرها. (ك)

(٢) إعراب البيت: (تقوى) مبتدأ وهو مضاف، و(الإله) مضاف إليه، و(مدار) خبر المبتدأ وهو مضاف، و(كل) مضاف إليه وهو مضاف، و(سعادة) مضاف إليه، و(تباع) مبتدأ، و(أهوا) مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، و(رأس) خبر المبتدأ، و(شر) مضاف إليه وهو مضاف، و(حبائلا) مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له الصرف صيغة منتهى الجموع، والألف للإطلاق.

(٣) وذلك لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة» رواه البيهقي في شعب الإيمان. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

قال الجنيد[1] قدس الله روحه: (من أعان نفسه على هواها فقد اشترك في قتل نفسه، فلذا لا يوجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة ولا معصية إلا وأصلها النفس وهواها).

٤. إِنَّ الطَّرِيـــقَ شَرِيعَـــةٌ وَطَرِيقَـــةٌ ... وَحَقِيقَـــةٌ فَاسْـمَعْ لَهَـا مَـا مُـثِّلَا

٥. فَشَـــرِيعَةٌ كَسَـــفِينَةٍ وَطَرِيقَـــةٌ ... كَالْبَحْـرِ، ثُـمَّ حَقِيقَـــةٌ دُرٌّ غَـــلَا

٦. فَشَـــرِيعَةٌ أَخْـذٌ بِـدِينِ الْخَـالِقِ ... وَقِيَامُـهُ بِـالْأَمْرِ وَالنَّـهْيِ انْجَـلَا

٧. وَطَرِيقَـــةٌ أَخْـذٌ بِـأَحْوَطَ كَالْـوَرَعِ ... وَعَزِيمَـــةٍ كَرِيَاضَـــةٍ مُتَبَـــتِّلَا

٨. وَحَقِيقَـــةٌ لِوُصُـــولِهِ لِلْمَقْصِـــدِ ... وَمُشَـــاهَدُ نُـورَ التَّجَـلِّي بِـانْجِلَا

الشريعة والطريقة والحقيقة

ولما صرَّح بمدار السعادة ورأس الشر ناسب أن يذكر ما به يتيسر رعاية التقوى، واجتناب الهوى، وهو ملازمة طريق السلوك، فقال:

(إِنَّ الطَّرِيقَ)، أي إلى الله تعالى ثلاثة: (شَرِيعَةٌ وَطَرِيقَةٌ.. وَحَقِيقَةٌ فَاسْمَعْ لَهَا مَا مُثِّلَا)[2]، أي فاسمع تمثيل القوم لها. وقوله «لها» متعلق بفعل محذوف

(١) هو: الشيخ الإمام أبو القاسم، الجنيد بن محمد الخزاز القواريري البغدادي [مائتين ونيف وعشرين - ٢٩٧هـ]، شيخ الصوفية، وسيد الطائفتين، أصله من همدان، وميلاده ومنشؤه ببغداد، تفقه على أبي ثور، وصحب خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، كان يفتي وهو ابن عشرين سنة، وهو أحد أكابر أئمة السلوك، له رسائل ومقولات مأثورة. انظر سير أعلام النبلاء: الطبقة السادسة عشرة

(٢) إعراب البيت: (إن) حرف توكيد ونصب، و(الطريق) اسمها، و(شريعة) خبر إن، و(طريقة) و(حقيقة) معطوفان على (شريعة)، (فاسمع) الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعه في جواب شرط مقدر، و(اسمع) فعل أمر وفاعله مستتر، و(لها) نائب فاعل (مُثِّلا) قدم عليه للضرورة، و(ما) مصدرية، (مُثِّلا) فعل ماضي مبني للمجهول، و(ما) وما بعدها في تأويل مصدرٍ مفعول (اسمع). [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

دل عليه «مثل»، لا به؛ لأنه صلة ما المصدرية، والصلة لا تعمل فيما قبل الموصول.

(فَشَـــرِيعَةٌ كَسَـــفِينَةٍ/ وَطَرِيقَـــةٌ كَـالْبَحْرِ، ثُـمَّ حَقِيقَـةٌ دُرٌّ غَـلَا)[1]

أي كالدر الغالي، بحذف حرف التشبيه.

ثم شرع في بيان معانيها عند القوم، فقال: (فَشَرِيعَةٌ أَخْذٌ بِدِينِ الْخَالِقِ.. وَقِيَامُهُ)، أي السالكِ (بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ)، أي التشمُّرُ لهما بالجد في امتثال أمره، والتجلُّد في اجتناب نهيه، (انْجَلَا)[2]، أي انكشف وظهر كل منهما، وهذه الجملة حال عنهما[3].

(وَطَرِيقَةٌ أَخْذٌ بِأَحْوَطَ كَالْوَرَعِ)، وهو ترك الشبهات؛ خوفا لله تعالى[4]،

---

(١) إعراب البيت: (فشريعة) الفاء فاء الفصيحة أي إذا أردت معرفة مثل الثلاثة فأقول لك شريعة الخ، و(شريعة) مبتدأ ومسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه في مقام التفصيل، و(كسفينة) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و(طريقة) مبتدأ، و(كالبحر) متعلق بمحذوف خبره، والجملة معطوفه على الجملة قبله، (ثم) حرف عطف وهي للتراخي في الرتبة، و(حقيقة) مبتدأ و(در) خبر المبتدأ و(غلا) فعل ماض وفاعله ضمير يعود على (در) وألفه للإطلاق والجملة صفة لدر أي در غال. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (فشريعة) الفاء فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أيضاً، و(شريعة) مبتدأ، و(أخذ) خبره، و(بدين) متعلق به وهو مضاف و(الخالق) مضاف إليه، و(قيامه) معطوف على (أخذ) وهو من عطف التفسير إذ معنى الأخذ بدين الخالق القيام بالأمر واجتناب النهي، و(النهي) معطوف على الامر، (انجلا) أي انكشف فعل ماض والجملة حال من كل منهما أوصفه لأن المراد بهما العموم فهما نكرتان معنى. [من (ك) بتصرف]

(٣) الشريعة في الأصل مورد الناس لطلب الشرب، وفي اصطلاح القوم: فعل المأمورات، وترك المنهيات. (ن)

(٤) قال الغزالي: (الورع أربع درجات: أدناها ورع العدل وهو ترك ما يحرمه فتوى الفقهاء كالربا والمعاملات الفاسدة، الثانية: ورع الصالحين وهو ترك الشبهة، الثالثة: ورع المتقين=

Scanned by CamScanner

(وَعَزِيمَةٍ كَرِيَاضَةٍ)، من سهر وجوع وعزلة وزهد. والرياضة تمرين النفس على الخير، ونقلها إلى ما كان شاقا[1] باللطف؛ ليصير سهلا[2]، (مُتَبَتِّلاً[3])[4]، أي منقطعا إلى الله تعالى، بترك ما يشغله عنه.

(وَحَقِيقَةٌ لِوُصُولِهِ)، أي السالك (لِلْمَقْصِدِ.. وَمُشَاهَدٌ)، أي مشاهدة، بحذف التاء للضرورة (نُورَ التَّجَلِّي بِانْجِلا)[5]، أي بالانكشاف.....

= وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس قال سيدنا عمر: (كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام)، الرابعة: ورع الصديقين، وهو ترك ما هو منفك عن الآفات.

(١) في الأصل: «شاق»، ولو عبر «إلى ما هو شاق» كان أصوب.

(٢) قال الحسن القزاز: بني هذا الأمر على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة. (ك). وأقول: ما أكثر كلامنا وأسهله، وأقل فعلنا وصبرنا، وصدق من قال من المشايخ ردا على من طلب منه أن يشرح له تائية ابن الفارض: يا بني دع عنك هذا؛ فإن من جاع جوع القوم رأى ما رأوا! (ق).

(٣) التبتل هو الانقطاع إلى الله بالكلية. قال في القاموس: بتله يبتله ويبتله قطعه كبتله فانبتل وتبتل اهـ (ك).

(٤) إعراب البيت: (وطريقة) الواو عاطفة، و(طريقة) مبتدأ، و(أخذ) خبره، (بأحوط) الباء جارة، و(أحوط) مجرور بالباء وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية ووزن الفعل، (كالورع) خبر لمبتدأ محذوف وذلك كائن كالورع، (وعزيمة) الواو عاطفة و(عزيمة) معطوف على (أحوط) والمعطوف على المجرور مجرور، (كرياضة) خبر لمبتدأ محذوف، و(متبتلا) حال من مقدر هو فاعل رياضة أي كرياضته حال كونه متبتلا أي منقطعا الى الله تعالى بترك ما يشغله عنه. [من (ك) بتصرف]

(٥) إعراب البيت: (وحقيقة) خبر مقدم، و(لوصوله) اللام لام الابتداء، و(وصوله) مبتدأ مؤخر، وهذا الاعراب هو المتعين عند الجمهور لأنهم يقولون لا يخبر عن النكرة بالمعرفة وإن تخصصت مطلقا، واكتفى ابن هشام في الإخبار بالمعرفة عن المبتدأ النكرة بتخصيصه وعليه يجوز جعل (حقيقة) مبتدأ و(لوصوله) اللام زائده و(وصوله) خبر المبتدأ، وهذا أنسب من جهة أن حقيقة هي المحدث عنها ووافق ابن مالك الجهور واستثنى مسائل يجوز فيها ذلك نحو كم مالك وخير منك زيد وحسبك الله، و(للمقصد) متعلق بوصوله=

Scanned by CamScanner

التام[1]، وإنما سُوِّغَ الابتداءُ بالنكرة «فشريعة» وما بعدها لحصول الفائدة بالتفصيل، ولكن يلزم من جعل «الوصوله» خبرا عن «حقيقة» الإخبارُ عن النكرة بالمعرفة، وهو جائز على ما ذهب إليه سيبويه، من جعل المبتدأ نكرةً والخبر معرفةً، في نحو «كم مالُك»، و«خير منك زيد». وأما عند الجمهور فغير جائز. فعلى هذا «لوصوله» مبتدأ و«حقيقة» خبر مقدم.

٩. مَنْ رَامَ دُرًّا لِلسَّفِينَةِ يَرْكَبُ وَيَغُوصُ بَحْرًا ثُمَّ دُرًّا حَصَّلَا

١٠. فَكَذَا الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ يَا أَخِي مِنْ غَيْرِ فِعْلِ شَرِيعَةٍ لَنْ تَحْصُلَا

وبين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مقصود التشبيه بقوله: (مَنْ رَامَ دُرًّا لِلسَّفِينَةِ يَرْكَبُ)، أي يركب في السفينة، (وَيَغُوصُ) بعد ركوبها (بَحْرًا/ ثُمَّ دُرًّا حَصَّلَا)[2]، أي ثم

= وهو بكسر الصاد مصدر ميمي أريد منه اسم المفعول، و(مشاهد) بالتنوين معطوف على وصول وهو بفتح الهاء مصدر يشاهد حذف منه التاء للضرورة، ويحتمل أن يكون بصيغة اسم المفعول مرادا منها المصدر، و(نور) بالنصب مفعول المصدر وهو مضاف، و(التجلي) مضاف اليه وهي للبيان على تفسير الغزالي السابق، و(بانجلا) الباء للتصوير متعلقة بمحذوف حال من مشاهد أي حال كون المشاهدة مصورة بالانجلاء اي الانكشاف التام. [من (ك) بتصرف].

(١) فقوله تعالى تعليما لعباده: (إياك نعبد) مراع فيه ظاهر الشريعة لأنه منظور فيه إلى الكسب الظاهري الذي هو فعل العبد. وقوله: (وإياك نستعين) مراع فيه الحقيقة لأن فيه تبري العبد من حوله وقوته وشهود أن الفعل لا يتم إلا بمعونة الله وقوته. (ك).

(٢) إعراب البيت: (من) اسم شرط جازم، و(رام) فعل ماض فعل الشرط فهو في محل جزم وفاعله ضمير يعود على (من)، و(درا) مفعوله، (للسفينة) اللام زائدة للتقوية و(السفينة) معمول (يركب) مقدم عليه، و(يركب) فعل مضارع مرفوع وهو جواب الشرط ورفعه بعد الماضي وفاعله ضمير يعود على (من)، و(يغوص) فعل مضارع معطوف على (يركب)، و(بحرا) منصوب بإسقاط الخافض أي يغوص في البحر، (ثم) عاطفة، و(درا) مفعول مقدم لـ(حصل)، و(حصل) فعل ماض وهو بمعنى المضارع وفاعله يعود على (من) وألفه للإطلاق. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

يحصل الدر، فمن ترك هذا الترتيبَ لم يصل إلى الدر.

(فَكَذَا الطَّرِيقَةُ وَالْحَقِيقَةُ يَا أَخِي مِنْ غَيْرِ فِعْلِ شَرِيعَةٍ لَنْ تَحْصُلا)[1]

لأنهما من بركات الشريعة، فهي أول واجب، فلا طريقة ولا حقيقة ولا كشف إلا من بركات ثمرات المعاملات الشرعية، فمن رسخ في الشريعة قدمُه سَهُل عليه أبواب الطريقة، ومن عمل بالطريقة ظهر عليه نور الحقيقة.

فالحقيقة بلا شريعة ضائعة، بل قاطعة لطريق المرء، قال القشيري[2] قدس الله سره: (كل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول). وقال الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس[3] قدس الله سره: (ما عندنا طريق إلى الله إلا

---

(١) إعراب البيت: (وكذا) الواو عاطفة أو للاستئناف والجار والمجرور متعلق بـ(تحصل)، و(الطريقة) مبتدأ، و(الحقيقة) معطوف عليه، (يا أخي) (يا) حرف نداء و(أخي) منادي منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، و(من غير) متعلق بـ(تحصل)، و(فعل) مضاف إليه وهو مضاف، و(شريعة) مضاف إليه، و(لن) حرف نفي ونصب واستقبال، و(تحصلا) فعل مضارع منصوب بـ(لن) وعلامة نصبه حذف النون، والالف للتثنية فاعله، والجملة خبر المبتدأ، والتقدير: والطريقة والحقيقة لا تحصلان من غير الشريعة كذا أي كما تقدم في ان كلا من الثلاثة لا يحصل بدون الآخر. [من (ك) بتصرف].

(٢) هو: الشيخ الإمام الصوفي زين الإسلام أبو القاسم، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري، [٣٧٦ ـ ـ ٤٦٥هـ] أخذ الحديث عن أبي الْحُسَيْن الْخفاف وَأبي نعيم الإسفراييني وَأبي بكر بن عَبدُوس الْمُزَكي وَأبي نعيم أَحْمد بن مُحَمَّد المهرجاني وَعلي بن أَحْمد الْأَهْوَازِي وَأبي عبد الرَّحْمَن السّلمِيّ وَابْن باكوية الشِّيرَازِيّ وَالْحَاكِم وَابْن فورك وَأبي الْحُسَيْن بن بَشرَان وَغَيرهم، وَأخذ الْفِقْه عَن أبي بكر مُحَمَّد بن بكر الطوسي وَعلم الْكَلَام عَن الْأُسْتَاذ أبي بكر بن فورك وَاخْتلف أَيْضا يَسِيرا إِلَى الْأُسْتَاذ أبي إِسْحَاق، وَأخذ التصوف عَن أستاذه أبي عَليّ الدقاق، قال التاج السبكي في الطبقات: (أجمع أهل عصره على أَنه سيد زَمَانه وقدوة وقته وبركة الْمُسلمين فِي ذَلِك الْعَصْر). انظر طبقات الشافعية الكبرى (٥/١٥٣).

(٣) سبقت ترجمته.

Scanned by CamScanner

الشريعة، وهي الأصل والفرع، فمن رأيته يدعي مقاما من مقامات الطريقة أو الحقيقة، من غير استحكام الشريعة فإنه مقلد، يحكي ما سمعه من غير تحقيق).

١١. فَعَلَيْهِ تَزْيِينٌ لِظَاهِرِهِ الْجَلِي ... بِشَرِيعَةٍ لِيَنُورَ قَلْبٌ مُجْتَلَا

١٢. وَتَزُولُ عَنْهُ ظُلْمَةٌ كَيْ يُمْكِنَا ... لِطَرِيقَةٍ فِي قَلْبِهِ أَنْ تَنْزِلَا

وإذا كانت الطريقة والحقيقة لا تحصلان إلا بعد فعل الشريعة (فَعَلَيْهِ)، أي فعلى السالك (تَزْيِينٌ لِظَاهِرِهِ الْجَلِي.. بِشَرِيعَةٍ لِيَنُورَ قَلْبٌ مُجْتَلَا)[1]، أي لينور بنور الشريعة القلبُ المنظورُ إليه من الله تعالى؛ فإن القلب هو محل نظر الله، فللطاعة نور يرتفع إلى[2] القلب، ويمحو ظلمة المعصية عنه.

(وَتَزُولُ عَنْهُ)، أي عن قلبه (ظُلْمَةٌ) إنسانية؛ (كَيْ يُمْكِنَا.. لِطَرِيقَةٍ فِي قَلْبِهِ أَنْ تَنْزِلَا)[3]، أي ليمكن نزول الطريقة في قلبه، فحينئذ يظهر عليه محاسن

---

(١) إعراب البيت: (فعليه) الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر، والجار والمجرور خبر مقدم، و(تزيين) مبتدأ مؤخر، و(لظاهره) متعلق بتزيين، و(الجلي) صفة لظاهره، (بشريعة) متعلق بـ(تزيين)، (لينور) اللام لام كي، و(ينور) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا، و(قلب) فاعله، و(مجتلا) حال من (قلب) على قول أي حال كون القلب مجتلى أي منظورا إليه من الله تعالى، ويصح أن يكون صفة لـ(قلب) أي قلب موصوف بكونه مجتلى أي منظور إليه من الله تعالى. [من (ك) بتصرف]

(٢) في الأصل تكرر لفظ: «إلى».

(٣) إعراب البيت: (وتزول) الواو عاطفة، و(تزول) معطوف على (ينور) فهو منصوب أيضاً كالمعطوف عليه، و(عنه) متعلق بـ(تزول)، و(ظلمة) فاعله، (كي) حرف تعليل وجر والمعلل وجوب التزيين، و(يمكنا) فعل مضارع وألفه للإطلاق، و(لطريقة) متعلق به، و(في قلبه) متعلق بـ(تنزلا)، و(أن) مصدرية، و(تنزل) فعل مضارع منصوب بأن وهي وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يمكن. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

الأخلاق، فالشريعة لا تسقط، فمن/ ارتفعت درجته وصار من جملة الأولياء لا[1] تسقط عنه العبادات المفروضة، ومن زعم ذلك فهو ملحد.

١٣. وَلِكُلِّ وَاحِدِهِم طَرِيقٌ مِنْ طُرُق ... يَخْتَارُهُ فَيَكُونُ مَنْ ذَا وَاصِلَا

١٤. كَجُلُوسِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ مُرَبِّيًا ... وَكَكَثْرَةِ الْأَوْرَادِ وَالصَّوْمِ الصَّلَاةِ

١٥. وَكَخِدْمَةٍ لِلنَّاسِ وَالْحَمْلِ الْحَطَب ... لِتَصَدُّقٍ بِمُحَصَّلٍ مُتَمَوَّلَا

تعدد طرق المشايخ في السلوك إلى الله

(وَلِكُلِّ وَاحِدِهِمْ)، أي لكل واحد من المشايخ (طَرِيقٌ مِنْ طُرُق) كثيرة، (يَخْتَارُهُ فَيَكُونُ مَنْ ذَا وَاصِلا)[2] إلى الله سبحانه، (كَجُلُوسِهِ)، أي الشيخ، وهو مفهوم من قوله «ولكل واحدهم» (بَيْنَ الْأَنَامِ مُرَبِّيًا) لهم، بإرشادهم إلى العبادات والأخلاق الحسنات، وهذا طريق بعضهم[3]، (وَكَكَثْرَةِ الْأَوْرَادِ)، أي الوظائف الدينية، (وَالصَّوْمِ الصَّلا)[4]، أي والصلاة، بحذف حرف العطف،

(١) في الأصل (ولا تسقط) ولعل الصواب ما أثبتناه من حذفها.

(٢) إعراب البيت: (ولكل) الواو للاستئناف، والجار ولمجرور خبر مقدم وهو مضاف، و(واحد) مضاف إليه وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، والميم علامة الجمع، و(طريق) مبتدأ مؤخر، و(من طرق) متعلق بـ(يختاره) وهو بسكون القاف لأجل الوزن، و(يختار) فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على كل واحد، والهاء مفعوله عائدة على (طريق)، والجملة صفه لطريق، (فيكون) الفاء عاطفة، و(يكون) فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على كل واحد، و(من ذا) متعلق بـ(واصلا) وهو خبر يكون، أي فيكون كل واحد واصلا إلى الله تعالى من الطريق الذي اختاره. [من (ك) بتصرف]

(٣) قال الإمام الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من عَلِمَ وعَمِلَ وعلَّمَ فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماوات؛ فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة، وكالمسك الذي يطيِّب غيره وهو طيب. ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما جسيما فليحفظ آدابه. اهـ (ك)

(٤) إعراب البيت: (كجلوسه) خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك الطريق كجلوسه، أي الشيخ، (بين) ظرف متعلق بـ(جلوسه) وهو مضاف، و(الأنام) مضاف إليه، (مربيا) حال من الهاء في جلوسه، (وككثرة) الواو عاطفة والجار والمجرور معطوف على (كجلوسه)،=

Scanned by CamScanner

وبحذف التاء منها للوقف، وهذا طريق بعضهم.

(وَكَخِدْمَةٍ لِلنَّاسِ وَالْحَمْلِ الْحَطَبِ) والحشيش على ظهره؛ (لِتَصَدُّقٍ بِمُحَصَّلٍ) من بيعه في السوق (مُتَمَوَّلاَ)[1]، بفتح الواو، صفة «بمحصل» على المحل؛ لأن محله نصب، على أنه مفعول «لتصدق»، وهذا طريق بعضهم[2].

١٦. مَنْ رَامَ أَنْ يَسْلُكْ طَرِيقَ الْأَوْلِيَاء فَلْيَحْفَظَنْ هَذِي الْوَصَايَا عَامِلَا

ولما فرغ الشيخ من بيان طرق السلوك أراد أن يشرع في ذكر المقصود الأعظم للسالك، وهو قطع العقبات، فقال: (مَنْ رَامَ أَنْ يَسْلُكْ)، بجزم الكاف؛ بناء على ما ذهب إليه بعضهم، من أن (أنْ) تجزم[3] (طَرِيقَ الْأَوْلِيَاء)، وهم:

= و(الأوراد) مضاف إليه، (كالصوم) خبر لمبتدأ محذوف أي وتلك الأوراد (كالصوم) و(الصلا) معطوف على الصوم بحذف حرف العطف وحذف التاء لأجل الوزن. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (وكخدمة) معطوف على (كجلوسه)، و(الحمل) معطوف على (خدمة) أي: وكالحمل، و(الحطب) مفعول الحمل لأنه مصدر وهو يعمل ولو كان محلى بالألف واللام أي وكأن يحمل الحطب، وباؤه ساكنة لأجل الوزن، (لتصدق) اللام تعليليه، و(تصدق) بفتح الصاد وتشديد الدال المضمومة مجرور باللام، و(بمحصل) الباء جاره، و(محصل) بفتح الصاد اسم مفعول متعلق بتصدق، أي يحمل الحطب لأجل أن يبيعه ويتصدق بمحصوله وهو الثمن، و(متمولا) بفتح الواو حال من (محصل) أي حال كون المحصل متمولا أي مقابلا بمال. [من (ك) بتصرف]

(٢) قال سيدي عبد القادر الجيلاني: ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار، ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر. اهـ (ك)

(٣) قال الشيخ نووي الجاوي: (أن يسلك) بسكون الكاف للضرورة لا للجزم بـ(أن) كقول الشاعر من بحر الطويل:

أحاذرُ أن تَعلَمْ بها فتردَها فتتركَها ثقلا علي كما هيا

ونصب (فتتركها) وكذا (فتردها) وهو معطوف على (تعلم) دليل على أن (تعلم) سُكِّن=

Scanned by CamScanner

العارفون بالله وصفاته حسب الإمكان، المواظبون على الطاعات، المجتنبون عن المعاصي، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات.

(فَلْيَحْفَظَنْ هَذِي الْوَصَايَا) الآتي ذكرها[1] (عَامِلا)[2] بها، فمن حفظها وعمِل بها يرجَى من فضل الله أن يفتح على قلبه أبواب الفهم، وينشرح صدره بنور العلم.

(مِنْهَا) أي من الوصايا (التَّوْبَةُ)

أركان التوبة

/وهي أولها وأهمها، وهي الرجوع عن المعصية، نبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على الاهتمام بها وعلى أركانها بقوله:

= للضرورة لا أنه مجزوم. والضمير المستتر في (تعلم) يعود على بثينة محبوبة الشاعر الذي هو: جميل. والضمير البارز في (بها) يرجع إلى الحاجة. ويجوز أن يحكم على قوله: (يسلك) بأنه مجزوم بـ(أن) بناء على أن بعض الكوفيين وأبا عبيدة أجاز الجزم بها، ونقله اللحياني عن بعض بني صباح من ضبة، وشاهده قول الشاعر من بحر الطويل:

إذا مـا غـدونا قـال ولـدان أهلنـا .... (ن)

(١) وهي تسع وصايا سيأتي تفصيلها وهي: التوبة، والقناعة، والزهد، وتعلم العلم الشرعي، والمحافظة على السنن، والتوكل، والإخلاص، والعزلة، وحفظ الأوقات.

(٢) **إعراب البيت:** (من) اسم شرط جازم، و(رام) فعل الشرط وفاعله يعود على (من)، (أن يسلك) أن والفعل منصوب بها وسُكِّن لأجل الوزن وفاعله يعود على (من) أيضا، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول (رام)، و(طريق) مفعول (يسلك) وهو مضاف، و(الأوليا) مضاف إليه وهو مقصور للوزن، (فليحفظن) الفاء واقعة في جواب الشرط، واللام لام الأمر، و(يحفظن) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة في محل جر، و(هذي) اسم إشارة مبني على السكون، و(الوصايا) بدل أو عطف بيان من اسم الإشارة، و(عاملا) حال من فاعل (يحفظن) ومتعلقه محذوف، أي بها. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

١٧. اطْلُبْ مَتَابًا بِالنَّدَامَةِ مُقْلِعًا وَبِعَزْمِ تَرْكِ الذَّنْبِ فِيمَا اسْتَقْبَلَا

١٨. وَبَرَاءَةٍ مِنْ كُلِّ حَقِّ الْآدَمِي وَلِهَذِهِ الْأَرْكَانِ فَارْعَ وَكَمِّلَا

(اطْلُبْ) أيها الطالب سلوك طريق أولياء[1] الله تعالى (مَتَابًا) عن ذنبك، كبيرا كان أو صغيرا، وجوبا (بِالنَّدَامَةِ)، أي نادما عن الذنب الماضي (مُقْلِعًا)، أي كافا عنه في الحال، إن كنت متلبسا به. (وَبِعَزْمِ تَرْكِ الذَّنْبِ فِيمَا اسْتُقْبِلَا)[2]، أي فيما استقبل من الزمان إلى آخر عمرك.

البراءة من حقوق الآدميين ركن من أركان التوبة

(وَبَرَاءَةٍ مِنْ كُلِّ حَقِّ الْآدَمِي)، أي جميع حقوق الآدميين، فإن كان حد قذف ونحوه فمكنه من مستحقه، أو اطلب عفوه، وإن كان غيبة ولم تبلغ المغتاب كفى الندم والاستغفار، وإلا فاستحله منها، فإن تعذر ذلك بموته أو غيبته البعيدة فاستغفر الله، ولا اعتبار حينئذ بتحليل الورثة، وإن كان حسدا فاستغفر الله منه، واسأله أن يزيل عنك هذه الخصلة، وإن كان مالا فرُدَّه إلى صاحبه، فإن مات فإلى وارثه، فإن لم يكن له وارث، أو انقطع خبره فادفعه إلى قاض متدين، فإن تعذر فتصدقْ به عنه بنية الغرم له إذا وجدته أو وارثه، فإن كنت معسرا فانو الغرم إذا قدرت عليه، أو على شيء منه.

ويجب مع ذلك قضاء ما فات من حقوق الله تعالى، كصلاة وصوم وزكاة

---

(١) في الأصل: «الأولياء».

(٢) إعراب البيت: (اطلب) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، و(متابا) مفعوله، و(بالندامة) متعلق بـ(اطلب)، و(مقلعاً) حال من فاعل (اطلب)، (وبعزم) معطوف على بـ(الندامة) وهو مضاف، و(ترك) مضاف إليه وهو مضاف، و(الذنب) مضاف إليه، (فيما) (في) جارة، و(ما) موصولة واقعة على زمان مجرور بـ(في) والجار والمجرور متعلق بـ(ترك)، و(استقبلا) فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على (ما)، والألف للإطلاق، والجملة صلة (ما) أي في الزمان المستقبَل. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

بقدر الإمكان، وإذا لم يحصل منك قضاء الفوائت، وإرضاء الخصوم فالتبعات لازمة، وسائر الذنوب مغفورة، فيجب عليك أن تأتي بما أمكنك، من تبرئة حق الآدمي/، وما لا يمكنك راجعت إلى الله سبحانه بالتضرع إليه؛ ليرضيه عنك، فيكون ذلك في مشيئته يوم القيامة، والرجاء منه بفضله العظيم، وإحسانه العميم أنه يرضي خصمائه من خزانة فضله، إذا علم الصدق من قلبه، ذكره الغزالي[1].

(وَلِهَذِهِ الْأَرْكَانِ) المذكورة (فَارْعَ)، أي تنبه فارعها (وَكَمِّلَا)[2]، أي وكملنها برعاية أركانها، ولا تتساهل فيها؛ لتصح توبتك، ولتقبل منك عبادتك؛ فإن التوبة فرض، وعامة العبادة نفل، ولتفَّق للطاعة؛ فإن شؤم الذنب يوجب الحرمان؛ لأن قيده يمنع من النشاط في العبادات، ولا يمنعك من التوبة خوفُ العود إلى الذنب؛ فإنه من غرور الشيطان، ومن أين لك هذا العلم، فعسى أن تموت قبل العود إليه، وعليك بالعزم والصدق في ذلك، وعليه الإتمام، فإن أتم فذلك، وإلا فقد غُفِرَتْ ذنوبُك الماضية كلُّها، وليس عليك إلا ما تُحدِثه بعدها.

١٩. وَقِـــهِ دَوَامًـــا بِالْمُحَاسَـــبَةِ الَّـــتِي ... تَنْهَـاكَ تَقْصِـيرًا جَـرَى وتَسَـاهُلا

٢٠. وبِحِفْـظِ عَـيْنٍ واللِّسَـانِ وسَـائِر ... الأعضا جَمِيعاً فاجْهَدَنْ لا تَكْسِلا

وقاية التوبة وحفظها

(وَقِهِ)، أي المتابَ عما يناقضه من الذنوب (دَوَامًا)، أي في جميع

(١) سبقت ترجمته

(٢) إعراب البيت: (وبراءة) معطوف على (متابا)، و(من كل) متعلق بـ(براءة) وهو مضاف، و(حق) مضاف إليه وهو مضاف، و(الآدمي) مضاف إليه، (ولهذه) الواو عاطفة، واللام زائده للتقوية، واسم الإشارة مفعول مقدم لـ(ارع)، و(ارع) فعل أمر مبني على حذف الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاء الداخلة عليها زائدة، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(كمِّلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً، وفاعله مستتر فيه. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

أوقاتك (بِالْمُحَاسَبَةِ الَّتِي تَنْهَاكَ تَقْصِيرًا جَرَى)، أي عن تقصير جرى منك مثله، (وتَسَاهُلا)[1]، أي وعن تساهل في أمر دينك بأن تحاسب نفسك كل يوم بل كل لحظة محاسبة بليغة على سبيل المناقشة دون المساهلة حتى تعرف تقصيرك فتدّاركه[2].

(و) قه أيضا (بحِفْظِ عَيْنٍ) عن النظر إلى محرم، بل إلى ما لا تحتاج إليه، فإن الله تعالى يسأل عبده يوم القيامة عن فضول النظر كما يسأله/ عن فضول الكلام[3]، (و) بحفظ (اللِّسَانِ) عن الحرامِ كالغيبة والنميمة، بل عما لا ينفعك من ذمّ الأطعمة والمراء ونحو ذلك، (وسائر الأعضا)، ـ بالقصر

---

(١) إعراب البيت: (وقه) الواو عاطفة، (قِ) فعل أمر مبني على حذف الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، وفاعله مستتر تقديره أنت، والهاء مفعوله مبنية على الكسرة في محل نصب، و(دواما) ظرف زمان منصوب على الظرفية متعلق بـ(قِ) وكذلك بالمحاسبة، و(التي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر، و(تنهاك) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر، وفاعله مستتر يعود على المحاسبة، والكاف مفعوله مبني على الفتح في محل نصب، و(تقصيرا) منصوب بإسقاط الخافض أي: عن تقصير، و(جري) فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على (تقصيرا)، والجملة صفة له، و(تساهلا) معطوف على تقصيرا. [من (ك) بتصرف].

(٢) قال سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتأهبوا للعرض الأكبر على الله (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية). وفي الإحياء: فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته. (ك).

(٣) لأنها تدعو إلى الفكر، والفكر يدعو إلى الزنا. وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (العين تزني والقلب يصدق ذلك أو يكذبه)، وقال عليه السلا: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء). وقال بعضهم: إياك والنظر فإنه ينقش في القلب صورة المنظور. وإنما الدنيا عيوبها بادية، كم فتحت باب بلية، ولا حيلة كحيلة عين كحيلة. (ك).

Scanned by CamScanner

للضرورة ـ، (جَميعاً)، كالأذن فاحفظها إلى الإصغاء إلى ما نُهي عَنْهُ وما لا ينفعك، وكالأنف فاحفظها من شم المحرمات وما لا ينفعك، وكالبطن فاحفظها عن الحرام والشُبهة ومن الشبع[1]، (فاجْهَدَنْ) في حفظ أعضائك عما تقدم ذكره، (لا تَكْسِلا)[2]، أي ولا تكسلن فيه حتى تستقيم توبتك فإن استقامة التوبة إنما تكون بحفظ أعضائك ثم استعمالها فيما خلقت له مما فيه رضا الله تعالى. فالعين للنظر إلى عجائب صنع الله للاعتبار، والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء، والنظر في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة والتعلم. واللسان للذكر والتذكير والتعليم وإصلاح ذات البين وسائر خيراتها وعلى هذا القياس غيرهما.

٢١. فـالتوبُ مِفتـاحٌ لـكلِ إطَاعَـةٍ وأسـاسُ كلِّ الخـيرِ أجمـعَ أشـملا

(فالتوبُ مِفتاحٌ لكلِ إطَاعَةٍ)، لله تعالى، (وأساسُ كلِّ الخيرِ)، أي جميع الخيرات، (أجمعَ أشملا)[3] إذ به ينفتح أبواب الأحوال فعليه تُبني المقامات،

---

(١) وبقي من الأعضاء السبعة التي أوصى المشايخ بحفظها: اليدان فيجب على الإنسان حفظهما كذلك من تناول الحرام وكتابة ما لا يجوز التكلم به وضرب المسلم بغير حق، والرجلا فيحفظهما من السعي إلى الحرام، أو إلى سلطان ظالم. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (ويحفظ) الواو عاطفة، والجار والمجرور معطوف على بـ(المحاسبة)، و(حفظ) مضاف، و(عين) مضاف إليه، و(السان) الواو عاطفة، و(اللسان) معطوف على (عين)، ومثله (وسائر) وهو مضاف، و(الأعضاء) مضاف إليه وهو مقصور للضرورة، و(جميعاً) حال من (سائر)، (فاجهدن) الفاء فاء الفصيحة أي إذا عرفت ذلك فاجهدن، وهو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، (لا) ناهية، و(تكسلا) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله مستتر فيه، والجملة معطوفة على جملة (اجهدن) بحذف حرف العطف، وهو عطف لازم على ملزوم. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (فالتوب) الفاء للتعليل، و(التوب) مبتدأ، و(مفتاح) خبره، (لكل) متعلق=

Scanned by CamScanner

وهو بمثابة الأرض للبناءِ، فمن لا توبة له لا حال له ولا مقام له. وإذا كان كذلك فلابد من الاهتمام البليغ في رعايتها.

٢٢. فـإن ابتُليـتَ بغَفْلَـةٍ أو صـحبةٍ في مَجْلِـسٍ فَتَـدَاركَنَّ مُهَـرْوِلا

تدارك النفس بالتوبة بعد مجالس الغفلة

(فإن ابتُليتَ بغَفْلَةٍ)، صدرت منك، (أو صحبةٍ) أي صحبة غير جنس[1]، (في مَجْلِسٍ)، ولم يتيسَّر لك فيه رعاية أحوالك، (فَتَدَاركَنَّ)، تقصيرك فيه/، (مُهَرْوِلا)[2]، أي مسارعا في مجلسٍ آخر بالمحاسبة البليغة والاستغفار عن تقصيرك لأن الاستقامة على التوبة من اكسير الرجال، ومناط حصول المقامات والأحوال. فلابد لكل واحد من المبتدي والمتوسط والمنتهي من المحاسبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة من شر النفس والشياطين، والاستعاذة بعفوه من عقابه، وبرضاه من سخطه، وبه منه، وأن يقول: رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك.

* * *

= بـ(مفتاح) وهو مضاف، و(إطاعة) مضاف إليه، (وأساس) معطوف على (مفتاح) وهو مضاف، و(كل) مضاف إليه وهو مضاف، و(الخير) مضاف إليه، و(أجمع) توكيد لـ(كل) مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف العلمية ووزن الفعل، و(أشمل) توكيد ثان، ويصح جعلهما ـ أي أجمع وأشملا ـ حالين من كل. [من (ك) بتصرف]

(١) كصحبة الرجل للمرأة، وصحبة المرأة للرجل

(٢) إعراب البيت: (فإن) الفاء فاء الفصيحة، و(إن) شرطية، و(ابتليت) فعل ماض فعل الشرط وهو مبني للمجهول، والتاء نائب فاعله، و(بغفلة) متعلق بالفعل قبله، (أو صحبة) معطوف على (غفلة)، (في مجلس) متعلق بـ(ابتليت)، (فتداركن) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(تداركن) فعل أمر مؤكد بالنون الثقيلة، و(مهرولا) أي مسرعاً حال من فاعل الفعل المستتر. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

و(مِنْهَا) أي من الوصايا (القَنَاعَةُ)

تعريف القناعة وما تحصل به

وهي الخروج عن الشهوات النفسانية والتمتعات الحيوانية إلا ما اضطر إليه من الحاجة الإنسانية[1].

٢٣. واقْنَعْ بِتَرْكِ المُشْتَهي والفاخِرِ ... من مَطْعَمٍ وملابسٍ ومَنَازِلا

٢٤. مَن يَطلُبَنْ ما لَيسَ يَعْنِيهِ فَقَدْ ... فَاتَ الذي يَعْنِيهِ مِن غير ائتِلا

ونبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على ما به تحصل القناعة بقوله: (واقْنَعْ بِتَرْكِ المُشْتَهي والفاخِرِ من مَطْعَمٍ وملابسٍ) ـ بالصرف للضرورة ـ (ومَنَازِلا)[2]، فاكتف من الطعام بما يسد جوعك، ومن الملبس بما يستر عورتك، ومن المنزل بما يدفع الحر والبرد عنك، واترك آمال العوام البطّالين الأكّالين كالبهائم، وقَصِّر أملك إلى النَفَس الذي أنت فيه، واصرفه في أهم مهماتك في جميع أحوالك. فمن أراد أن يأكل الطعام اللذيذ، ويلبس اللباس الفاخر، ويجلس في المجالس العالية على الفرش الناعمة، لا يزهد في الدنيا بل يزداد حرصه عليها يوما فيوما

---

(١) يقول الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بحر الوافر.:

ورزقك لا يفوتك بالتواني ... وليس يزيد في الرزق العناء

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواء (ن)

(٢) إعراب البيت: (واقنع) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(بترك) متعلق بـ(اقنع) وهو مضاف، و(المشتهى) مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف، و(الفاخر) معطوف على (المشتهى)، (من مطعم) متعلق بمحذوف حال من كل من (المشتهى) و(الفاخر)، و(ملابس) معطوف عليه وصرف للضرورة، و(منازلا) جمع منزل معطوف عليه أيضاً مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف صيغة الجموع، وألفه للإطلاق. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

ولم يزهد في الدنيا فهو بمعزل عن طريقة الأولياء ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مَن يَطلُبَنْ ما ليسَ يَعْنِيهِ)، أي ما لا يحتاج/ إليه ضرورة كالتنعم والتوسع في الدنيا والافتخار باللباس الفاخر وطلب المناصب، (فَقَدْ فَات)، أي فاته، (الذي يَعْنِيهِ)، من السعي في الكمالات العلمية[1] والفضائل العلمية التي هي وسيلة إلى نيل السعادة الأبدية، (مِن غير ائتِلا)[2]، أي من غير تقصير في فواته. وهذا عقد فيه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه). وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[3]. وقال الحسن[4]: (من علامة اعراض الله عن العبد أن

---

(١) كذا في الأصل. ولعلها: (الكمالات العلية والفضائل العلمية)

(٢) إعراب البيت: (من) اسم شرط جازم، و(يطلبن) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة في محل جزم، وفاعله مستتر يعود على (من)، و(ما) اسم موصول مفعوله، و(ليس) فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على (ما)، و(يعنيه) بفتح الياء وسكون العين فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، وفاعله مستتر يعود على (من)، والهاء مفعوله، والجملة خبر ليس، وجملة ليس واسمها وخبرها صلة (ما)، (فقد) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(قد) -حرف تحقيق، و(فات) فعل ماض، ومفعوله محذوف أي: فاته، و(الذي) اسم موصول فاعله، و(يعنيه) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، وفاعله يعود على الموصول، والهاء مفعوله، والجملة صلة الموصول، و(من غير) متعلق بمحذوف حال من الضمير المفعول أو متعلق بـ(فات)، و(غير) مضاف، و(ائتلا) مضاف إليه. [من (ك) بتصرف]

(٣) سنن الترمذي، ٣٢ ـ كتاب الزهد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١١ ـ باب، حديث ٢٤٨٧ ـ المكنز

(٤) هو التابعي الجليل، سيد أهل زمانه علما وعملا، أبو سعيد: الحسن بن أبي الحسن يسار [٢١ ـ ١١٠هـ] كان مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، وقيل غيره، رأى عثمان، وطلحة، والكبار، وأخذ عن جمع غفير من الصحابة منهم عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ، وَالمُغِيْرَةِ بنِ شُعْبَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَمُرَةَ، وَسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ، وَأَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ، وَالنُّعْمَانِ بنِ بَشِيْرٍ،

Scanned by CamScanner

يجعل شغله في ما لا يعنيه). وقال ذو النون[1]: (من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه). وقال الكتاني[2]: (من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة).

و(مِنْهَا الزُّهدُ)[3]

وأشار الشيخ إلى الاهتمام به وتعريفه بقوله:

٢٥. وازْهَـد وذا فقـدٌ عَلاقـةُ قلبِـكَ ... بالمـالِ لا فقـدٌ لهُ تـكُ أعقـلا

٢٦. والزُّهْدُ أحسنُ مَنْصِبٍ بَعْـدَ التُّـقَي ... وبِـهِ يُنَـالُ مَقَـامُ أَرْبَـابِ العُـلا

تعريف الزهد وما يحصل به

(وازْهَد)، أي في الدنيا، (وذا)، أي الزهد، (فقدٌ عَلاقةُ قلبِكَ بالمالِ لا

وَجَابِرٍ، وَجُنْدُبٍ البَجَلِيِّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَمْرِو بنِ تَغْلِبٍ، وَمَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ، وَالأَسْوَدِ بنِ سَرِيْعٍ، وَأَنَسٍ، كما أخذ عن خلق من التابعين. وله تلاميذ كثر. كان تام الصورة، كامل المروءة، سديد الرأي، غزير العلم، مستغنيا عن الناس، محتاجا إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. انظر سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٥).

(١) هو الإمام الزاهد، شيخ الديار المصرية، أبو الفيض، ذو النون: ثوبان بن إبراهيم، المصري، النوبيّ، الأخميميّ [٢٤٦هـ أو ٢٤٥هـ أو ٢٤٨هـ] رَوَى عَنْ: مَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ لَهِيْعَةَ، وَفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ، وَسَلْمٍ الخَوَّاصِ، وَسُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وَطَائِفَةٍ. كان أوحد وقته علما وورعا وحالا. وله كلمات من نور في الأحوال والمقامات. انظر الرسالة القشيرية (١/٣٨) وسير أعلام النبلاء (١١/٥٣٣).

(٢) هو: الإمام الزاهد، أبو بكر: محمد بن علي بن جعفر الكتاني [٣٢٢هـ]، بغدادي الأصل. صحب الجنيدَ والخراز والنوري، وجاور بمكة، وسُمِّي: سراج الحرم. له كلام جميل في الزهد وترك الدنيا. انظر الرسالة القشيرية: (١/١٢٣) وطبقات الصوفية (١/٢٨٢)

(٣) وهو في اللغة خلاف الرغبة يقال: زهد في الشيء وعنه أي لم يرغب فيه. وحقيقته: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. وشرط المرغوب عنه أن يكون أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك الحجر والتراب والحشرات لا يسمى زاهدا. (ك)

Scanned by CamScanner

فقدٌ لهُ تكُ أعقلا)[1]، أي أعقل الناس إذ الزاهد في الدنيا هو العاقل حقيقة لإيثاره الباقي على الفاني. ولذا قال الشافعي[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا أوصى الرجل بماله

(١) إعراب البيت: (وازهد) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(ذا) اسم اشارة عائد على الزهد المستفاد من (ازهد)، وهو مبتدأ خبره (فقد)، و(علاقة) أي تعلق مضاف إليه وهو مضاف، و(قلب) مضاف إليه وهو مضاف، والكاف مضاف إليه مبنية على الفتح، (بالمال) متعلق بـ(علاقة)، (لا فقد) (لا) حرف عطف، و(فقد) معطوف علي (فقد) الأول، و(له) متعلق بـ(فقد)، وضميره يعود على المال، و(تك) فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر وهو (ازهد) وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمها مستتر تقديره أنت، و(أعقلا) خبر (تك) منصوب بالفتحة الظاهرة، وألفه للإطلاق، و(هنا) مضاف إليه محذوف أي أعقل الناس. [من (ك) بتصرف]

(٢) هو: الشيخ الإمام، عالم العصر، فقيه الملة، ناصر الحديث، أبو عبد الله: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي [١٥٠ ـ ٢٠٤هـ]. نسيب رسول الله وابن عمه. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة يزار ويتبرّك به. قال المبرد: كان الشافعيّ أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراآت. وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منه. وكان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولا كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم ـ ط) في الفقه، سبع مجلدات، جمعه البويطي، وبوّبه الربيع بن سليمان؛ ومن كتبه (المسند ـ ط) في الحديث، و(أحكام القرآن ـ ط) و(السنن ـ ط) و(الرسالة ـ ط) في أصول الفقه، منها نسخة كتبت سنة ٢٦٥ هـ في دار الكتب، و(اختلاف الحديث ـ ط) و(السبق والرمي) و(فضائل قريش) و(أدب القاضي) و(المواريث). وقد صنفت مصنفات كثيرة في ترجمته منها: لابن حجر العسقلاني (توالي التأسيس، بمعالي بن إدريس ـ ـ ط) في سيرته، ولأحمد بن محمد الحسني الحموي المتوفى سنة ١٠٩٨ كتاب (الدر النفيس ـ خ) في نسبه، بدار الكتب (٥: ١٧٨) وللحافظ عبد الرؤوف المناوي، كتاب (مناقب الإمام الشافعيّ ـ خ) وغير ذلك. انظر الأعلام للزركلي (٦/٢٦) وطبقات الشافعية الكبرى: ٦/١٩١ ـ ٣٨٩

Scanned by CamScanner

لأعقل الناس يُصرَفُ إلى الزهاد). وما ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من تعريف الزهد هو ما ذكره الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العلم من الإحياء وغيره. وللقوم أقوال كثيرة في تعريفه وأحسنها أنه عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة. فلا يُتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه ولا ساعدته/ الدنيا. فعلم أن ترك المال على سبيل السخاوة واستمالة القلوب ليس من الزهد. بل إن الزهد ترك الدنيا لحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة.

الزهد المقدور للعبد وغير المقدور له

والزهد زهدان: زهد مقدور للعبد، وغير مقدور له. فالمقدور ثلاثة: ترك طلب المفقود من الدنيا، وتفريق المجموع منها، وترك إرادتها. وغير المقدور همته[1] عنها واستقذارها بحيث تكون عنده كالميتة. وإذا واظب العبد على الترك والتفريق فمأمول من فضل الله أن يوفقه لدفع الإرادة عن قلبه. وإذا أتي بالمقدورات أورثته انقطاع همته عنها. قال في الإحياء: (وأقل درجاته الزهد في كل محظور وشبهة). وقال إبراهيم بن أدهم: (الزهد في الحرام فرض وفي الحلال نفل وفي الشبهة سلامة). والزاهد المطلق من يزهد عن كل شيء حتى الجنة ونعيمها ولا يحب إلا الله. فمن زهد عن كل حظ في الدنيا إلا من حظوظ الآخرة من الجسور والفواكه والقصور فهو دون الأول في الزهد. ولما كان الزهد من أشرف المقامات نبّه على ذلك حيث قال:

شرف الزهد وبيان أنه سبيل تصفية القلب ونوال محبة الله

(والزُّهْدُ أحسنُ مَنْصِبٍ بَعْدَ التُّقَى) إذ هو سبب محبة الله تعالى. وأي منصب أعلى منها وأي مقام أشرف منها فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازهد في الدنيا يحبُّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[2]. (وبِهِ)، أي بالزهد،

(١) كذا في الأصل. ولعل هناك سقط قبل قوله (همته) كأن يقال: (صرف همته عنها). (ق)

(٢) في المستدرك: الجزء الرابع، حديث ٣١٣. وفي سنن ابن ماجه، ٣٨ ـ كتاب الزهد، ١ ـ باب الزهد في الدنيا، حديث ٤٢٤١ ـ المكنز: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك).

Scanned by CamScanner

(يُنَالُ مَقَامُ أَرْبَابِ العُلا)[1] من العلماءِ العاملين والصوفية/ الناسكين؛ فإنهم لمّا زهدوا في الدنيا ـ بعد أن أحكموا أساس التقوى ـ صفت قلوبهم، وانفتحت مسام بواطنهم، وسمعت آذان قلوبهم، وأعانت أعضائهم على العبادة، فكثرت قيمة أعمالهم. قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زهد عبدٌ في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيب الدنيا وداؤها ودوائها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام»[2]. وقال سلمان[3] الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن العبد إذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت أعضاؤه في العبادة). وقال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ركعتان من زاهد قلبه خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبّدين إلى آخر الدهر أبدا سرمدا).

٢٧. وَمُحِبُّ دُنْيَا قَائِلٌ أَيْنَ الطَرِيقْ أَيْنَ الخَلَاصُ كَمُسْكَرٍ شَرِبَ الطِّلا

تعلق القلب بالدنيا والكلف بطلبها مانع من التوجه الصادق إلى الله

وعُلم مما ذكرنا أن من لم يزهد في الدنيا يكون كلفا بطلبها وباشتغالها حتى بحيث لا يمكن التوجُّهُ إلى الله والاشتغال بالعبادة كما ينبغي. وإلى هذا أشار بقوله:

(ومُحِبُّ دُنْيَا قَائِلٌ أَيْنَ الطَرِيقْ)[4] إلى الله (أَيْنَ الخَلَاصُ) من علائق

---

(١) إعراب البيت: و(الزهد) مبتدأ، و(أحسن) خبره وهو مضاف، و(منصب) مضاف إليه، و(بعد) متعلق بمحذوف صفة لـ(منصب) وهو مضاف، و(التقى) مضاف إليه، و(به) متعلق بـ(ينال)، و(ينال) فعل مضارع مبني للمجهول، و(مقام) بفتح الميم نائب فاعله وهو مضاف، و(أرباب) مضاف إليه وهو مضاف، و(العلا) مضاف إليه. [من (ك) بتصرف]

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، ٣٤٠٣/٧

(٣) في الأصل: (سليمان الفارسي) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٤) قوله (أين الطريق) بسكون القاف هو عروض البيت ووزنه (متفاعلان) فدخله ما يسمّى عند العروضيين بالتذييل وهو زيادة ساكن على ما آخره وتد مجموع. وتصير به (متفاعلن) إلى (متفاعلان)

Scanned by CamScanner

الدنيا وعوائقها لكثرة تعلق قلبه بها ودوام اشتغاله بها (كَمُسْكَرٍ) ـ بفتح الكاف على أنها اسم مفعول من أسكر ـ (شَرِبَ الطِّلا)[1] بها، أي الخمر، فلا يهتدي إلى الطريق مع وضوحها لفرط تحيُّره باستغراقه في حب الدنيا واشغال ظاهره بطلبها وباطنه[2] بالإرادة وحديث النفس. وهذا عقد قول الشيخ محمد بن الحسن المعلم الحسيني باعلوي[3] رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا غرق ابن آدم في حب الدنيا قال: كيف أعمل؟ أين الخلاص/؟ يشبهه السكران أو الغريق في البحر وإلا فما بعد كلام الله وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريق).

درجات الزهد وبيان التفاوت بينها

واعلم أن الزهد بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات: الدرجة السفلي أن يزهد في الدنيا وهو لها مشيه، ويسمّي متزهد. الثانية أن يتركها طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كترك درهم لأجل درهمين. والثالثة ـ وهي أعلاها ـ أن يتركها طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده ولا أنه ترك شيئا؛ لمعرفته أن الدنيا لا شيء. فهو كمن ترك حصاة وأخذ جوهرة؛ إذ الدنيا بالإضافة إلى لقاء الله تعالى ونعيم الآخرة أخسُّ من حصاة بالإضافة إلى جوهرة.

---

(١) إعراب البيت: (ومحب) مبتدأ، و(دنيا) مضاف إليه، و(قائل) خبر المبتدأ، و(أين) اسم استفهام خبر مقدم، و(الطريق) مبتدأ مؤخر، ومثله إعراب (أين الخلاص)، (كمسكر) خبر لمبتدأ محذوف أي وهو كمسكر والظاهر أنه بفتح الكاف اسم مفعول لأن الذي يكسر الكاف وصف الخمر ولا معنى له مع قوله بعدُ (شرب الطلا) أي الخمر، و(شرب) فعل ماض، وفاعله يعود على مسكَر، و(الطلا) مفعوله. [من (ك) بتصرف]

(٢) في الأصل (وباطنها بالإرادة) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) بحثت عنه فلم أجد له أثرا ولم أصل إلى ترجمته. فسألت عنه بعض أكابر مشايخ حضرموت من آل باعلوي فلم يعرفوه. ولعله عرف باسم آخر، أو عاش خارج اليمن فقد انتشر الدعاة والمشايخ الحضارمة في البلاد. والله أعلم

Scanned by CamScanner

* **فائدة: إذا اقتصر الإنسان فيما يحتاج إليه في قوام بنيته على ما يدفع** الضر عن بدنه، وكان غرضه الاستعانة بالبدن على العبادة لا التلذذ، لم يكن مشتغلا بغير الله؛ فإن ما لا يتوصّل بالشيء إلا به فهو منه، كالاشتغال بعلف الدابة وسقيها في طريق الحج. ولا يضر التلذذ الذي يلحقه بذلك، كالتلذذ بالأكل عند الجوع إذا قصد به التقوّي على العبادة لا التلذذ.

الاقتصار على أقل المحتاج إليه من الدنيا ليس مانعا عن التوجه إلى الله

وأما المال فقليله ضروري في المعيشة. فإن كان كسوبا واكتسب كفاية يومه فينبغي أن يترك الكسب بعد كفاية يومه. فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد الزهد[1]. وإن كان له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل/ فأمسك منها قدر ما يكفي رمقه سنة واحدة فلا يخرج عن حد الزهد، بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد.

لا يسلك الزاهد ما يكفيه لأكثر من سنة وإلا خرج عن حد الزهد

٢٨. **واتْرُك مِنَ الأزواجِ مَن ما ساعدت ... في طاعةٍ واخْتَر عُزُوباً فَاضِلاً**

وأما النكاح، فإن علم أنه يشغله عن الله تعالى فتركه من الزهد؛ لأنه في مجاهدة نفسه لمنعه عن هواها. فإذا وجدت النفس المرأة الطالبة للآمال والشهوات فلابد من الميل إليها ونيل هواها فحينئذ ينقطع عن الطريق ولا ينفعه الندم. وإن علم أنه لا يشغله عن الله تعالى فتركه احترازا عن لذة النظر والمضاجعة والمواقعة ليس من الزهد أصلا؛ فإن النكاح مقصود لبناء النسل، وتكثير أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيختار امرأة مطيعة ديّنة[2] قانعة صابرة معينة له في طاعته وعن المرأة[3] خير من الصبر عليها. وأما إن دخل في طريق القوم بعد

النكاح إن شغل عن الله فتركه من الزهد وإلا فهو مقصود للنسل وتكثر أمة محمد

العزوب أفضل من زواج المرأة التي تحض على الدنيا ولا تساعد على الطاعة

(١) أما ادخار قوت سنة فلا ينافي التوكل فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخر قوت عياله سنة كما في الصحيحين وهو سيد المتوكلين. (ن)

(٢) في الأصل (دينية) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) الجملة غير مستقيمة. وفي هامش الأصل كلمة غير واضحة لعلها تصلح الجملة. وهي تشبه (وتمجداته).

Scanned by CamScanner

أن كان متزوجا، فإن وافقته امرأته على ما التزم وهي أيضا أنابت واشتغلت بالطاعة فلا يطلقها؛ فإن المرأة الصالحة عون على الطاعات. فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه)[1]. وإن لم توافقه على ذلك، طلقها لوجه الله تعالى ويكون من الزهد. وهذا هو المراد بقوله: (واتْرُك مِنَ الأزواجِ مَن ما ساعدت)، أي ما عاونتك، (في طاعةِ) الله تعالى وعيّرتك بتوهم ضيق المعيشة. واترك شهواتها، وأعطها حقها، وإن لم يكن/ عندك حقها بكماله فأعطها ما في يدك جميعا سوي ما تستر به عورتك، وليكن في نيتك إيفاء حقها إذا أيسرت[2]. (واخْتَر) في هذه الحالة (عُزُوباً فَاضِلاً)[3]؛ لكون المرأة شاغلا عن الله تعالى. وفي وصف العزوب بالفاضل إشارة إلى تفضيله على النكاح كما هو مذهب الإمام الشافعي[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه يفضل العزوب أي التخلي لنوافل العبادة على النكاح لكونه عنده من المباحات لا من العبادات والعبادات عارضة له بالقصد لصحته من الكافر. ومن مذهب الإمام أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عكسه؛ لأنه يري النكاح من العبادات لما فيه من تكثير

هل الزواج من العبادات أم من المباحات؟ مذهب أبي حنيفة والشافعي في ذلك

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٩٧٢).

(٢) وفهم من قوله (ما ساعدت) الخ أن أنها إن ساعدت على طاعة الرحمن فلا يطلب تركها وهو كذلك. لأن المرأة الصالحة الموافقة عون على الطاعة. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه) رواه الحاكم وصححه. وقال أبو سليمان الداراني: المرأة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة. (ك)

(٣) إعراب البيت: (واترك) فعل أمر، و(من الأزواج) بيان لـ(من) فهو متعلق بمحذوف حال منها أو ظرف متعلق بـ(اترك)، و(من) اسم موصول مفعول (اترك)، و(ما) نافية، وجملة (ساعدت) صلة الموصول، و(في طاعة) متعلق بـ(ساعدت)، وجملة (اختر) معطوفة على جملة (اترك)، و(عزوبا) بضم العين مفعول (اختر)، و(فاضلا) صفته.

(٤) سبقت ترجمته. وهو غني عن الترجمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

٢٩. لِسَـلامةِ الدُنيـا خِصـالٌ أربَـعٌ غَفـرٌ لجهـلِ القـومِ مَنْعُـكَ تَجْهَـلا

٣٠. وتكونَ مِن سَيْبِ الأنـاسي آيِسـاً ولِسَـيْبِ نفسِـكَ للأنَـاسِي بـاذِلا

قطع الطمع عما في أيدي الناس والبذل لهم من لوازم الزهد

ولما كان في قطع الطمع عما في أيدي الناس والبذل لهم السلامة من الدنيا وكان من لوازم الزهد، صرح بذلك وبسائر أسباب السلامة فقال: (لِسَلامةِ الدُنيا)، أي السلامة من شرور أهلها، (خِصالٌ أربَعٌ) ذكرها حاتم الأصم[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الأولي: (غَفِرٌ لجهلِ القومِ)، أي تجاوزك عن جهلهم، وسترك له، والثانية: (مَنْعُكَ تَجْهَلا)[3] ـ فهو منصوب بتقدير أن ـ (و) الثالثة (تكونَ)، أي

---

(١) قال في الإحياء: الحكم على شخص بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور. بل من انتفت في حقه آفات النكاح بأن كان له مال حلال، وهو تائق إلى النكاح، وليس بقاصر عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن، ولم يشغله عن الله. واجتمعت فيه فوائده من تحصيل الولد، وكسر الشهوات، وغض البصر، إلى غير ذلك مما ذكره فلا شك في استحبابه له. ومن انتفت فيه فوائد النكاح، واجتمعت فيه آفاته، فالعزوبة له أفضل. وإن اجتمع الأمران فإن غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به. انتهى. قال السبكي: وإن استويا فالسلامة في العزوبة. انتهى. وحكي عن الإمام أبي حنيفة وأحمد وداود وجوب النكاح فيما إذا خاف الزنا، وعليه جماعة من أصحاب الشافعي. (ك)

(٢) هو الزاهد، القدوة، الربّاني، أبو عبد الرحمن: حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي [٢٣٧هـ] الواعظ، الناطق بالحكمة، الأصم. لُقِّب بلقمان هذه الأمة. له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحِكَم. أخذ عن شَقيق البلخي، وسعيد بن عبد الله الماهياني، واجتمع بالإمام أحمد ببغداد. وأخذ عنه عبد الله بن سهل الرازي، وأحمد بن خضرويه، ومحمد بن فارس البلخي، وآخرون. انظر الرسالة القشيرية (٣٨/١) وسير أعلام النبلاء (٤٨٦/١١)

(٣) إعراب البيت: (لسلامة) خبر مقدم، و(خصال) مبتدأ مؤخر، و(غفر) بدل من (خصال) بدل بعض من كل، و(منعك) معطوف على غفر بحذف العاطف، (تجهلا) فعل مضارع منصوب بأن محذوفة وهو شاذ لأنه من غير المواضع جائز فيها ذلك قال ابن مالك: =

Scanned by CamScanner

أن تكـون، (مِـن سَـيْبِ الأناسـي)، أي عطـاؤهم، (آيِسـاً و) الرابعـة أن تكـون (لِسَيْبِ نفسِكَ للأنَاسِي باذِلا)[1]، أي باذلا لهم سيبك. فمن اجتمع فيه هذه[2] الخصال كان محبوبا عندهم ومشكورا، فلا يبغضونه/ ولا يؤذونه، ويكون سالما من شرورهم.

و(منها تعلم العلم الشرعي)

وهو أعظم أركان الدين. وأشار الشيخ رحمه الله تعالى إلى الترغيب فيه، وبيان فرض العين من العلوم بقوله:

٣١. وتَعَلَّمـنْ عِلمـاً يُصـحِّحُ طاعَـةً ... وعَقيـدةً ومُـزَكِّيَ القَلـبَ اصـقُلا

٣٢. هَذِي الثلاثةُ فرضُ عـينٍ فـاعرِفَنْ ... واعمَـلْ بِهَـا يَحصُـل نَجَـاةً واعْـتِلا

ما يجب على المسلم تعلمه من الفقه لتصحيح العبادة

(وتَعَلَّمنْ) وجوبا لله تعالى (عِلماً يُصحِّحُ طاعَةً)، أي طاعتك من وضوء وصلاة وصوم وغيرها على وفق الشريعة المطهرة. والمراد علم ظواهر أحكامها دون النوادر. واجتهد أن تجمع بين أقوال الأئمة فيما اختلفوا فيه للخروج من خلافهم حتى تكون عبادتك صحيحة على مذاهبهم؛ فإن مذهب المشائخ

= وشـد حـذف أن ونصـب فـي سـوى ... مـا مـر فاقبـل منـه مـا عـدل روى

وقوله (فاقبل) الخ أفاد به أنه سمعٌ يحفظ ولا يقاس عليه. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (وتكون) بالنصب عطف على (غفر) في البيت السابق من باب (ولبس عباءة وتقر عيني) قال ابن مالك:

وإن على اسم خالص فعل عطف ... تنصـــبه أن ثابتـــاً أو منحـــذف

و(من سيب الاناسي) متعلق بـ(آيسا) الواقع خبرا (لتكون)، و(لسيب نفسك) اللام زائدة للتقوية متعلق بـ(باذلا) المعطوف على (آيسا)، و(للأناسي) متعلق به أيضاً، وهو جمع إنسي أو إنسان. [من (ك) بتصرف]

(٢) في الأصل: (هذا الخصال) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

الصوفية الجمع بين أقوالهم وعدم التعصب وعدم اتباع الرخص[1].

ما يجب على المسلم تعلمه من العقيدة لدفع البدع والشبه الاعتقادية

(و) تعلمن علما يصحح (عَقيدةً)، أي اعتقادك على مذهب أهل السنة والجماعة، لتحترز به عن شبه المبتدعة؛ فإن القلب إذا كان[2] مكدرا بظلمة البدعة الاعتقادية لا ينوره نور الطاعات. وهل رأيت أو سمعت أن مبتدعا وصل إلى مقام من مقامات الرجال أرباب الكمال؟ كل المشائخ العارفين كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة موافقين للعلماء المجتهدين.

ما يجب على المسلم تعلمه من التزكية لتطهير القلب من الأخلاق المذمومة

(و) تعلّمن (مُزَكِّيَ القَلبَ)، أي علما يزكيه من الأخلاق المذمومة كالكبر والرياء والحسد والحرص وغيرها من أمراض القلوب؛ فإن كلها حرام يجب تطهير القلب عنها، وذلك لا يمكن إلا بعد معرفة حدودها وأسبابها فمعرفتها فرض عين. (اصقُلا)[3]/، أي واصقلن القلب بعلم يزكيه من هذه الخصال المذمومة حتى يتنور. فإذا فنيت عن هذه الخصال المذمومة بقيت بأضدادها من الخصال المحمودة. وهذه الخصال هي المراد من التصوف وهو نهاية مقصد

---

(١) قال ابن رسلان في الزبد:

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

(٢) في الأصل (كانت مكدرا) والصواب هو ما أثبتناه.

(٣) إعراب البيت: (وتعلمن) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة، وفاعله مستتر فيه، و(علماً) مفعوله، (يصحح) فعل مضارع، وفاعله مستتر يعود على (علماً)، والجملة صفته، و(طاعة) مفعول لـ(يصحح)، و(عقيدة) معطوف على (طاعة)، (ومزكي القلب) معطوف على (علماً) أي: وتعلمن مزكي القلب، أي ما يزكيه، ويحتمل أنه معطوف على محل جملة (يصحح) إذ هي في محل نصب نعت لـ(علماً)، وقوله (اصقلا) هو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله ضمير مستتر والجملة معطوفة على جملة (تعلمن) بحذف العاطف، وهو بضم القاف من باب (قتل) او بفتحها من باب (تعب) والمعنى اصقل القلب اي اجلُه ونظِّفه بهذا العلم. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

العارفين، وغاية بغية المحققين، ومطمح نظر الصديقين.

(هَذِي) العلوم (الثلاثةُ فرضُ عينٍ) يجب على كل أحد تعلمها، ولا يسع أحد جهلها، وهي العلوم الشرعية النافعة في الدنيا والآخرة (فاعرِفَنْ) هذه العلوم (واعمَلْ بِهَا يَحصُل نَجَاةٌ) في الدار الآخرة لموافقة العلم العمل (واعْتِلا)[1]، أي علو في الدنيا بانضياف علم الوراثة إلى علم الدراسة محبوبا عند الله مكرّما مقتدى للخلق، وفي الآخرة برفعة الدرجات والشفاعة عند الله؛ إذ درجة العلماء العاملين أقرب إلى درجة الأنبياء عليهم السلام. فمن حصّل هذه العلوم فالأولي أن يشتغل بطاعة الله تعالى وملازمة ذكره وتلاوة كتابه فإنه الأنفع وأكثر ثوابا وأرفع للحجاب. وفي الرسالة القدسية: والعجب ممن دخل في هذه الطريقة وأراد أن يصل إلى الحقيقة وقد حصّل من الاصطلاحات ما يستخرج به المعاني من كلام الله تعالى وأحاديث رسول الله ﷺ ثم لا يشتغل بذكر الله تعالى ومراقبته والاعراض عما سواه ليصب إلى قلبه مياه العلوم الدينية التي لو عاش ألف سنة في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة ولا يشاهد/ من آثارها وأنوارها لمعة[2].

---

(١) إعراب البيت: (هذي) (ها) حرف تبيه، و(ذي) اسم إشارة مبتدأ مبني على السكون في محل رفع، و(الثلاثة) بدل أو عطف بيان من اسم الإشارة، (فرض) خبر المبتدأ وهو مضاف، و(عين) مضاف إليه، (فاعرفن) الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعه في جواب شرط مقدر أي اذا عرفت ذلك فاعرفن، ومفعوله محذوف أي اعرفن هذه العلوم، وجملة (اعمل) معطوفة على جملة (اعرفن)، و(تحصل) مجزوم في جواب الأمر، و(نجاة) فاعله، و(اعتلا) معطوف على نجاة. [من (ك) بتصرف]

(٢) قال ابن رسلان في الزبد كذلك:

فاعمل ولو بالعشر كالزكاة ... تخرج بنور العلم من ظلمات

فعالم بعلمه لم يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

Scanned by CamScanner

ومنها المحافظة على السنن[1]

الحث على المحافظة على السنن النبوية

وقد حث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عليها بقوله:

٣٣. حـافِظ على سـننٍ وآدابٍ أَتَـت مأثورةً عَن خَـيْرِ مَـنْ جَـا مُرسَـلا

(حافِظ على سننٍ وآدابٍ أَتَت مأثورةً)، أي مروية، (عَن خَيْرِ مَنْ جَا) ـ بالقصر للضرورة ـ (مُرسَلا)[2] محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالِغ في رعاياتها في جميع عباداتك وعاداتك، وطالع كتب القوم في الآداب.

٣٤. إنَّ التصـوُّفَ كُلَّـهُ لهـو الأَدبْ ومِـنَ العـوَارِفِ فاطْلبنْـهُ وعَـوِّلا

بيان أن التصوف هو الأدب وحث العلماء على الالتزام بالآداب

ولما كانت الصوفية أوفر الناس حظا من المحافظة على السنن والأولى رزقوا ببركتها التخلق بأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرا وباطنا رأوها الركن الأعظم للتصوف فأطلقوا عليها التصوف كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الحج عرفة)[3]. فلذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) والسنن جمع سنة كغرف جمع غرفة وهي في اللغة الطريق القويمة، أو الأصل من كل شيء يقول الشاعر:

تريـك سـنة وجـه غيـر مقرفـة ملسـاء ليـس بهـا خـال ولا نـدب

أي أصل وجه. وأما في اصطلاح الفقهاء فهي ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، وفي اصطلاح المحدثين هي ما أثر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف

(٢) إعراب البيت: (حافظ) فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، و(على سنن) متعلق به، و(آداب) معطوف عليه، و(أتت) فعل ماض، وتاؤه للتأنيث، وفاعله يعود على المذكورات من السنن والآداب، و(مأثورة) حال من فاعل (أتت)، و(عن خير) متعلق بـ(أتت) وهو مضاف، و(من) اسم موصول مضاف إليه في محل جر، و(جاء) فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على (من)، والجملة صلة الموصول، و(مرسلا) حال من فاعل (جاء). [من (ك) بتصرف].

(٣) سنن أبي داود ١١ ـ كتاب المكنز ٧٠ ـ باب من لم يدرك عرفة. حديث: ١٩٥١ ـ المكنز.

Scanned by CamScanner

(إنَّ التصوُّفَ كُلَّهُ لهو الأَدبْ)، أي معظم أركانه الأدب. فلكل عمل أدب، ولكل حال ومقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول. قال أبو حفص الحداد[1]: (حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن)؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[2]. فالأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية. قال عبد الله بن المبارك[3]: (أدب الخدمة أعز من الخدمة). وقال أيضا: (نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم). وقال الأستاذ أبو علي[4]: (ترك الأدب موجب للطرد، فمن

---

(١) لم أعثر على ترجمة وافية له.

(٢) رواه ابن رجب في (الذل والانكسار) ٢٩١/١، والحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٢٠٥/١.

(٣) هو الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، الحافظ، الغازي، أبو عبد الرحمن: عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي [١١٨هـ - ١٨١هـ] طلب العلم على جمع من بقايا التابعين، وهو ثقة، وحديثه حجة بالإجماع. ومن شيوخه: سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، وَعَاصِمِ الأَحْوَلِ، وَحُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، وَهِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، وَالجُرَيْرِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بنِ أَبِي خَالِدٍ، وَالأَعْمَشِ، وَبُرَيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي بُرْدَةَ، وَخَالِدٍ الحَذَّاءِ، وَيَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ عَوْنٍ، وَمُوْسَى بنِ عُقْبَةَ، وَأَجْلَحَ الكِنْدِيِّ، وَحُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، وَحَنْظَلَةَ السَّدُوْسِيِّ، وَحَيْوَةَ بنِ شُرَيْحٍ المِصْرِيِّ، وَكَهْمَسٍ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَأَبِي حَنِيْفَةَ، وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَمَعْمَرٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَشُعْبَةَ، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَيُوْنُسَ الأَيْلِيِّ، وَالحَمَّادَيْنِ، وَمَالِكٍ، وَاللَّيْثِ، وَابْنِ لَهِيْعَةَ، وَهُشَيْمٍ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ عَيَّاشٍ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَبَقِيَّةَ بنِ الوَلِيْدِ، وخلق كثير. أكثر من الترحال والتطواف، وأبلى حياته في طلب العلم، والغزو، والتجارة، والإنفاق على الإخوان، وتجهيزهم معه إلى الحج. وصنف التصانيف الكثيرة النافعة. انظر سير أعلام النبلاء (٣٨٠/٨)

(٤) هو الأستاذ، لسان وقته، وإمام عصره، أبو علي: الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق=

Scanned by CamScanner

أساء الأدب على البساط، رد إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب/ رد إلى سياسة الدواب).

أدب الفقهاء وأدب الصوفية

اعلم أن الأدب هنا يشمل أدب[1] الفقهاء الذي هو الفعل المطلوب طلبا غير جازم من غير أن يعاقب تاركه. فهو كالمسنون والمستحب والمندوب والتطوع ولكنه أنزل درجة من غيره. وأدب[2] الصوفية الذي أرادوا به تكليف النفس ما تكرهه من المشاق، والأخذ بالأشد في كل شيء، والتوطين على المراقبة في الحركات والسكنات والله أعلم.

الحث على قراءة كتاب (عوارف المعارف) والاعتماد عليه

والتصوف تجريد القلب واحتقار ما سواه بالإضافة إلى عظمته سبحانه. ولما كان الأدب بهذا المحل من التصوف، ولم يكن النظم موضوعا لبيانه، أحال على كتاب (عوارف المعارف)[3] للشيخ شهاب الدين السهروردي[4] رحمه الله تعالى: (**وَمِنَ العَوَارِفِ فاطْلبْنهُ**)، أي الأدب، (**وعَوِّلا**)[5]، أي وعولن أي

= بن عبد الرحيم بن أحمد، الدقاق [٤٠٥هـ] تفقه على الخضري والقفال المروزي، وصحب في التصوف أبا القاسم النصراباذي، وسمع الحديث من أبي عمرو بن حمدان، وأبي الهيثم محمد بن مكي الكشميهني،، وغيرهم. وهو شيخ أبي القاسم القشيري. وله كلام أنور في الأدب والزهد. انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣٢٩/٤)

(١) في الأصل (آداب الفقهاء الذي هو.. الخ) ولعل الصواب هو ما أثبتناه من إفراد كلمة (أدب).

(٢) في الأصل (آداب الصوفية الذي أرادوا به.. الخ) ولعل الصواب هو ما أثبتناه من إفراد كلمة (أدب) كذلك.

(٣) سبق التعريف بالكتاب.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) إعراب البيت: (إن) حرف ناصب، و(التصوف) اسمها، و(كله) توكيد له، و(لهو الأدب) اللام لام المزحلقة، و(هو) ضمير فصل، والأدب خبر (إن)، و(من العوارف) متعلق بـ(اطلبنه)، وفاء فاطلبنه زائدة لأجل إصلاح النظم، ولا يصح ان تكون عاطفة لأن الواو=

Scanned by CamScanner

اعتمد عليها فإنه اعتني فيها بتفصيله.

٣٥. إِذْ لا دليــلَ على الطريــقِ إلى الإلهْ إلا متابعــةَ الرســول المُكْمَــلا

٣٦. في حَــالِهِ وفَعَــالِهِ ومَقــالِهِ فتَتَــبَّعَنَّ وتَــابعنَّ لا تَعــدِلا

متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله هي الدليل على الطريق

وإنما أكد على المحافظة على السنن والآداب (إِذْ لا دليلَ على الطريقِ إلى الإلهْ إلا متابعةَ الرسول المُكمَلا)[1] ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (في حَالِهِ وفَعَالِهِ) ـ بفتح الفاء اسم للفعل الحسن والمكرم ـ (ومَقَالِهِ). وهذا عقد قول أبي حمزة الخرساني[2]: (لا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحواله وأفعاله وأقواله). فمن متابعته المحافظة على السنن والآداب. (فَتَتَبَّعَنَّ) استقرين حاله وفعاله ومقاله، (وتَابعنْ)، أي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها،

= تغني عنها، و(اطلبنه) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، وفاعله مستتر فيه، والهاء مفعوله، و(عوِّلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله مستتر فيه، ومتعلقه محذوف أي عليها، والمعنى فاطلبن الادب من العوارف للسهروردي وعولن عليها في ذلك. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (إذ) تعليلية، و(لا) نافيه عاملة عمل إن، و(دليل) اسمها، و(على الطريق) متعلق بـ(دليل)، و(إلى الاله) متعلق بمحذوف صفة لـ(الطريق) أو حال منها أي الطريق الموصلة إلى الإله أو حال كونها موصلة اليه، و(إلا متابعة) (إلا) أداة ملغاة، و(متابعة) خبر (لا) و(الرسول) مضاف إليه، و(المكملا) بضم الميم وسكون الكاف وكسر الميم الثانية أو فتحها فهو على صيغة اسم الفاعل أو على صيغة اسم المفعول أي المكمل لغيره من الأمة أو المكمل هو بنفسه، وهو صفة للرسول باعتبار محله لأنه مفعول المصدر أعنى متابعة أو منصوب بفعل محذوف اي أعنى المكمل. [من (ك) بتصرف]

(٢) هو الشيخ، الصوفي، أبو حمزة الخرساني [٢٩٠هـ] أصله من محلّة ملقاباذ، صحب مشايخ بغداد، وهو من أقران الجنيد، والخراز، والنخشبي. وكان من أقتى المشايخ وأورعهم. انظر الرسالة القشيرية (١/١١٥) وطبقات الصوفية (١/٢٥٠)

Scanned by CamScanner

(لا تَعدِلا)[1]، أي ولا تعدلن أي لا تمل عن متابعته بألا تترك شيئا من سنته وآدابه من غير عذر؛ لأن متابعته أصل كل خير وسعادة.

٣٧. وطَريـقُ كلِ مشـائخٍ قَـد قُيِّـدت بكتـابِ ربِّي والحـديثِ فأصِّـلا

طريق المشايخ مقيدة بالكتاب والسنة

ولما كانت متابعته/ ﷺ أصلا لسعادة الإنسان وكماله ورفعة مقامه، نبه على أن طرق المشائخ وإن تعددت متفرعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فقال: (وطَريقُ كلِ مشائخٍ) من السادات المقربين (قَد قُيِّدت بكتابِ ربِّي والحديثِ تأصَّلا)[2]، أي على سبيل التأصل. فالقرآن والحديث أصل طرقهم وهذا عقد قول الجنيد[3]،[4] ـ قدس الله سره ـ: (مذهبنا هذا مقيَّد بالأصول الكتاب والسنة) وقال أيضا: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفي أثر الرسول ﷺ). وقال أبو القاسم النصراباذي[5]: (أصل

---

(١) إعراب البيت: و(في حاله) متعلق بـ(متابعة) التي في البيت السابق، و(فعاله) بفتح الفاء مصدر أي فعله وهو معطوف على حاله، و(مقاله) أي قوله فهو مصدر ميمي معطوف على (حاله) أيضا، (فتبعن) الفاء فاء الفصيحة و(تتبعن) فعل أمر مؤكد بالنون الثقيلة، ومفعوله محذوف أي فتبعن ما ذكر منها، و(تابعن) هو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، ومفعوله محذوف أي تابعن رسول الله ﷺ فيما ذكر، و(لا تعدلا) (لا) ناهية، و(تعدلا) فعل مضارع مجزوم ومؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: و(طريق) مبتدأ مضاف لـ(كل) المضاف لما بعده، وجملة (قد قيدت) خبر المبتدأ، وقوله (بكتاب) متعلق به، و(الحديث) معطوف عليه، و(تأصلا) إما مصدر منصوب بإسقاط الخافض أي قيدت بما ذكر على سبيل التأصل أي الأصالة، وإما جملة فعلية منصوبة على الحال من (كتاب) و(الحديث) أي حال كونهما أصلين فالقرآن والحديث أصل طرقهم. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل (الجنيدي) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٤) سبقت ترجمته

(٥) هو الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الصوفية بنيسابور، أبو القاسم: إِبْرَاهِيْمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ=

Scanned by CamScanner

التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع). وقال قال أبو الحسين النوري[1]: (من رأيته يدعي مع الله حالة تخرجه عن هذا العلم الشرعي فلا تقربن منه).

وإذا عرفت أن أصل كل خير وسعادة متابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلما ارتقي السالك في الدرجات ازداد اتباعه للنبي[2] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والصوفية أكثر الناس حظا من المتابعة، وهم الذين رزقوا ببركة متابعته والتخلق بأخلاقه. فمن أن يبلغ غرضا، أو يظفر بمراده، لا بطريقة المتابعة فهو مطرود. وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني[3] قدَّس الله سره: (اتباع شرعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي سعادة

= أَحْمَدَ بنِ مَحْمَوَيْه الخُرَاسَانِيُّ النَّصْرَابَاذِيُّ [٣٦٧هـ أو ٣٦٩] صحب أَبَا بكر الشبلي وَأَبَا عَليّ الرُّوذْبَارِي وَأَبا مُحَمَّد المرتعش. وسمع أَبَا العَبَّاسِ السَّرَّاجَ، وَابنَ خُزَيْمَةَ، وَأَحْمَدَ بنَ عَبْدِ الوَارثِ العسَّالَ، وَيَحْيَى بنَ صَاعِدٍ، وَمَكْحُوْلاً البَيْرُوْتِيَّ، وَابنَ جَوْصَا، وعددا كثيرا بخراسان، والشام، والعراق، ومصر، والحجاز. وحدث عنه: الحَاكِمُ، وَالسُّلَمِيُّ، وَأَبُو حَازِمٍ العَبْدَوِيُّ، وَأَبُو العَلاَءِ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الوَاسِطِيُّ، وَأَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ، وجماعة. وله كلام جليل في الطريقة والحقيقة. انظر سير أعلام النبلاء (٢٦٥/١٦) وطبقات الصوفية (٣٦٢/١) والرسالة القشيرية (١٤٥/١).

(١) هو الشيخ الجليل، أبو الحسين: أَحْمَد بْن مُحَمَّد النوري [٢٩٥هـ] بغدادي المولد والمنشأ، بغوي الأصل، صحب السري السقطي وابن أبي الحواري. كان كبير الشأن، حسن السمت، حسن اللسان، من أجل مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما. انظر طبقات الصوفية (١٣٥/١) والرسالة القشيرية (٨٣/١).

(٢) في الأصل (ازداد اتباعه له النبي) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٣) هو: الشيخ الإمام، صاحب الطريقة القادرية، وليّ الله، محيي الدين، أبو محمد: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي] ٤٧١ ـ ٥٦١هـ [مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم=

Scanned by CamScanner

الدارين. احذر أن يخرجك من دائرته، إياك أن تفارقك اجماع أهله)[1].

القول بإسقاط التكاليف عن العارفين إلحاد

وما يقوله بعض الزنادقة أن العارف قد ينتهي إلى حيث يسقط عنه التكاليف فهو عين الإلحاد والانحلال عن عرى الإيمان نعوذ بالله من ذلك. وسأل الإمام الغزالي/ عن ذلك وقال: (لا يسقط عنه التكاليف ولكن يسقط عنه كلفة التكليف بأن لا يجد للأعمال الشاقة كلفة بل يتلذذ بها). كما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[2] وقال أيضا: «أرحنا بها يا بلال»[3].

= والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها. له كتب، منها «الغنية لطالب طريق الحق ـ ط» و«الفتح الرباني ـ ط» و«فتوح الغيب ـ ط» و«بالفيوضات الربانية ـ ط» ولموسى بن محمد اليونيني كتاب «مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ خ» ولعلي بن يوسف الشطنو في «بهجة الأسرار ـ ط» في مناقبه، ولمحمد بن يحيى التاذفي «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر ـ ط» وترجم عبد القادر بن محيي الدين الإربلي عن الفارسية «تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر ـ ط». انظر الأعلام للزركلي (٤/٤٧)

(١) قال الإمام الشعراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقدمة المنن الكبرى: قد أجمع أشياخ الطريق على أنه لا يجوز لأحد التصدر لتربية المريدين إلا بعد تبحره في الشريعة وآلاتها كما دل عليه السادة الشاذلية فكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيدي أبو العباس المرسي، وسيدي ياقوت العرشي، والشيخ تاج الدين ابن عطاء الله لا يدخلون أحدا في الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة، فإن لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا. وهذا الأمر قد صار أهله في هذا الزمان أعز من الكبريت الأحمر. فعلم أن من كل لم يسلك على هذه القواعد لا يقدر على التخلق بشيء من أخلاق هذا الكتاب. وقد قالوا: من ضيع الأصول حرم الوصول. اهـ. (ك)

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٧/٧٨

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ١/١٥٠. ورواه أبو داود في السنن (٤٢ ـ كتاب الأدب، ٨٦ ـ باب في صلاة العتمة، حديث ٤٩٨٧ ـ المكنز) بلفظ: (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها).

Scanned by CamScanner

وقد قام ﷺ في الصلاة حتى تفطرت ـ وفي رواية: تورمت ـ قدماه. فقيل له: أليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبدا شكورا»[1]. فكيف يتصور لغيره خلاف ذلك.

٣٨. طَالِعْ رياضَ الصالحينَ وأحْكِمن ما فيه تَظفرُ بالسَعادَةِ واعْمَلا

الوصية بكتاب (رياض الصالحين) لمتابعة النبي ﷺ

ولكون أمر المتابعة أصلا لكمال الإنسان ورفعة المقام أمر بمطالعة كتاب (رياض الصالحين) في الحديث للشيخ محيي الدين النووي[2] فقال: (طَالِعْ رياضَ الصالحينَ وأحْكِمن ما فيه)، أي ما في كتاب رياض الصالحين، (تَظفرُ بالسَعادَةِ) الدنيوية والأخروية (واعْمَلا)[3] أي اعملن بما فيه ـ معطوف على قوله «طالع» والتقدير طالع رياض الصالحين، وأحكمن ما فيه، واعمل به تظفر بالسعادة. فإنه رضي الله عنه جمع فيه الأحاديث المشتملة على فضائل المسنونات، وعلى آداب السالكين من زهد ورياضة وغيرهما.

٣٩. واهْتَمَّ بالفَرْضِ الذي لا يقرب مِنْ ذي العَطاءِ بمثلِ ذَلك أكْمَلا

الحث على الاهتمام بأمر الفرائض

ولما بالغ[4] في الحث على المحافظة على السنن والآداب، وكان من

(١) صحيح البخاري، ١٩ ـ كتاب التهجد، ٦ ـ باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، حديث ١١٣٨ ـ المكنز.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) إعراب البيت: (طالع) فعل أمر، و(رياض) مفعول، و(الصالحين) مضاف إليه، و(أحكمن) بهمزة القطع فعل أمر مبني على سكون مقدر على آخره منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول (أحكم)، و(فيه) ظرف متعلق بمحذوف صلة (ما)، و(تظفر) فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر قبله، و(بالسعادة) متعلق به، و(اعملا) أي بما في رياض الصالحين فتعلقه محذوف وهو فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا لأجل الوقف، والجملة معطوفة على جملة (طالع). [من (ك) بتصرف].

(٤) في الأصل (بلغ) ولعلها كما أثبتنا.

Scanned by CamScanner

الناس من يهتم بالنوافل ويتساهل في أمر الفرائض، نبه على أن الاهتمام بالفرائض أشد وآكد فقال: (واهْتَمَّ بالفَرْضِ الذي لا يُقْرَبُ مِنْ) الله (ذي العَطاءِ) سبحانه (بمثلِ ذَلك) أي بما يماثله من الطاعات؛ إذ لا يماثله شيء من النوافل في رفعة الدرجات وكثرة الثواب، فلا وسيلة أحب-إلى الله- مما/ افترضه (أكْمَلا)[1] أي اهتم بأداء الفرائض اهتماما أكمل من اهتمامك بالنوافل.

٤٠. مـا زالَ عَبْـدِي بالنَوَافِـلِ يَقْـرُبُ حـتَّى أكـون لهُ يَـدَاً والأَرْجُـلا

٤١. والسَـمْعَ مِنْـهُ ثُـمَّ عَيْنـاً بَـاصِرَة أي مثلَ ذَلك في المَطَالـبِ هَـرْوَلا

النوافل سبب محبة الله وقربه

وأشار إلى أن النوافل[2] سبب محبة الله وقربه بقوله حكاية عن الله تعالى: (ما زالَ عَبْدِي بالنَوَافِلِ يَقْرُبُ حتَّى أكون لهُ يَدَاً)، أي حتى أحبه فأكون يده التي يبطش بها، (والأَرْجُلا)[3]، أي ورجله التي يمشي بها، (والسَمْعَ مِنْهُ)، أي

---

(١) إعراب البيت: (اهتم) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره حركة الإدغام وأصله اهتمم سكنت الميم الاولى وأدغمت في الثانية وحركت الثانية لأجل الإدغام وكانت الحركة فتحة للخفة، و(بالفرض) متعلق به، و(الذي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفه للفرض، وقوله (يُقرَب) فعل مضارع مبني للمجهول بمعنى يتقرب، و(بمثل ذلك) نائب فاعله والأصل لا يقرب العبد من الله بشيء مثل الفرض فحذف الفاعل وأقيم الجار والمجرور مقامه و(أكمل) صفة لمصدر (اهتم) محذوف أي اهتم اهتماماً أكمل من اهتمامه بالنوافل. [من (ك) بتصرف]

(٢) في الأصل اضطراب في هذه العبارة. والموجود في الأصل يشبه (نوافل فلا سبب محبة الله). ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٣) إعراب البيت: (ما) نافية، و(زال) فعل ماض ناقص، و(عبدي) اسمها، و(بالنوافل) متعلق بـ(يقرب)، وجملة يقرب خبرها، و(حتى) حرف غاية وجر، و(أكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا، واسمها ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، و(له) متعلق بـ(أكون) أو بمحذوف حال مما بعده، و(يدا) خبرها، و(الأرجل) معطوف عليه. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

وسمعه الذي يسمع به، (ثُمَّ عَيْناً بَاصِرَة)، أي وبصره الذي يبصر به. وصف العين بالباصرة لإخراج الشمس والعين وغيرهما من المشتركات فيها. وهذا مأخوذ من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن الله تعالى: «ما تقرب إلى عبدي بشيء من النوافل أحب إلى مما[1] افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»[2].

وفسر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأعضاء بقوله: (أي مثلَ ذَلك)، أي مثل المذكورة من يد ورجل وسمع وبصر، (في المَطَالبِ)، أي في إنجاح مطالبه، (هَرْوَلا)[3]، أي سارع في إنجاح مطالبه مثل هذه الأعضاء بمعني أن الله تعالى يتولى محبوبه في جميع أحواله، فحركاته وسكناته به تعالى، كما أن أبوي الطفل لمحبتهما له التي أسكنها الله في قلوبهما[4] يتوليان جميع أحواله. فلا يأكل إلا

---

(١) في الأصل سقطت (مما).

(٢) لم أعثر على رواية للحديث بلفظ (وما تقرب إلي عبدي بشيء من النوافل) فجميع الروايات التي وجدتها لم يذكر فيها (من النوافل). وقد رواه البخاري في الصحيح ٨١ ـ كتاب الرقاق، ٣٨ ـ باب التواضع، حديث ٦٥٨١.

(٣) إعراب البيت: (والسمع) معطوف على (يدا) التي في البيت السابق، و(منه) متعلق بمحذوف حال من السمع أي حال كونه كائناً من هذا العبد الذي يتقرب إليّ بالنوافل، (ثم) عاطفة، و(عينا) معطوف على (يدا) أيضاً، و(باصرة) صفة لـ(عينا)، و(أي) تفسيرية، و(مثل) تفسير لـ(يدا) وما بعده أي اكون مثل ذلك أي المذكور من اليد وما بعدها، فإفراده لاسم الإشارة مع ان المشار إليه متعدد لتأويله بالمذكور، و(في المطالب) متعلق بما بعده، و(هروّل) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على اسم الإشارة، والألف للإطلاق، والجملة في محل نصب حال منه أي أكون مثل ذلك حال كونه مهرولا أي مسرعا في المطالب أي قضائها، وأفاد بهذا التفسير أن في الحديث مضافا محذوفا فتنبه. [من (ك) بتصرف].

(٤) كذا في الأصل. ولعل الأوفق أن يقال: (قلبيهما).

Scanned by CamScanner

بيد أحدهما، ولا يمشي إلا برجله، إلى غير ذلك. فكأنه فنيت صفاته، وقامت مقاماتهما مقامها. فمعني كنت سمعه إلى آخره أحاطت عنايتي ولطفي به بحيث يصير فعله وإدراكه كأنه فعلي وإدراكي. فعلم مما تقدم أن/ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل سبب محبة الله. فلا يزال العبد يتقرب إليه بأنواع الطاعات، ويرتقي من مقام إلى آخر بأصناف الرياضات، حتى يحب الله فيغرق[1] بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحظ شيئا إلا ورآه تعالى فيه، رزقنا الله ذلك بمنه.

ومنها التوكل[2]

تعريف التوكل

وهو اعتماد القلب على الله تعالى. ولا ينافيه السعي فيما لابد منه من المطعم والمشرب والملبس، والتحرز مما يضر من الأعداء، والشبع، بشرط ألا يكون طمأنينة إلى قوته وبضاعته بل إلى الله تعالى في تسيير أسبابه وحقها. فيري كسبه وبضاعته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يري القلم في يد الملك. وأن يكتفي بالكسب، وأن يكتفي في الكسب بقدر الحاجة، وأن لا يري درهمه أحب إليه من درهم غيره، وأن يكون عنده من العلم المتعلق بكسبه وما يحترز به عن الوقوع فيما لا يستحبه[3] الشرع.

فإن كان مكتسبا لعياله، أو ليفرّق على المساكين، فهو ببدنه مكتسب، وبقلبه عنه منقطع، فهو أشرف من القاعد في بيته بلا سبب. ولا يقدح[4]

(١) في الأصل (فتغرق) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) وهو مشتق من الوكالة. يقال: وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه فيه. ويسمى الموكول إليه وكيلا. ويسمى المفوض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا. (ك)

(٣) في الأصل غموض في كتابة هذه الكلمة. وهي تشبه في كتابتها (ينجيه الشرع).

(٤) في الأصل: (يقدح). ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

التداوي في التوكل إذا كان معتمدا على الله. فقد فعله النبي ﷺ. وأمر به غير واحد من أصحابه. ومن تركه توكلا على الله، ورضي بقضائه، فهو أرفع. وقد حض الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على التوكل من لا أهل له ولا ولد له بقوله:

٤٢. وتَـــوَكَّلن مُتَجَـــرِّدا فِي رِزْقِـــكَ ثِقَـــةً بِوَعْـدِ الـرَبِّ أَكْـرَمَ مُفْضِـلا

(وتَوَكَّلن)، أي على الله، بترك الكسب؛ فإن التوكل كما يطلق على اعتماد القلب على الله تعالى وإن كان مكتسبا، يطلق على ترك الكسب اعتمادا على الله حال كونه (مُتَجَرِّدا) / عن الأهل والأولاد (فِي رِزْقِكَ ثِقَةً بِوَعْدِ الرَبِّ) وضمانه، اعتمادا على كمال رحمته حال كونه (أَكْرَمَ مُفْضِلا)[1] على خلقه؛ فإنه ضمن في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[2]. وأقسم عليه بقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]. فمن لم يعتمد على ضمان هذا الكريم ولم يثق بجود الغني الرحيم أنّي يستقر الإيمان في قلبه ومن أين يحصل له معرفته. سأل أبو يزيد البسطامي[4]

---

(١) إعراب البيت: و(توكلن) فعل أمر مبني على سكون مقدر لأجل الفتحة التي أتي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة ومتعلقه محذوف أي على الله، و(متجردا) حال من الفاعل، (وفي رزقك) متعلق بـ(توكل)، و(ثقة) مفعول لأجله أو منصوب على الحال على تأويله باسم الفاعل من فاعل (توكلن) أي توكلن لأجل الثقة أو حال كونك واثقاً، و(بوعد) متعلق بـ(ثقة)، و(أكرم) حال من (الرب)، و(مفضلا) مثله وهو بضم الميم وسكون الفاء وكسر الضاد المخففة اسم فاعل من أفضل بمعنى أحسن. [من (ك) بتصرف].

(٢) هود: ٦.

(٣) الذاريات: ٢٣.

(٤) هو: سلطان العارفين، أَبُو يَزِيْدَ، ويقال: بَا يَزِيد، طَيْفُوْرُ بنُ عِيْسَى بنِ شَرْوَسَان البِسْطَامِيُّ [١٨٨ ـ ٢٦١هـ]، جده كان مجوسيا فأسلم، ونسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق). أخذ عن أبي عبد الرحمن السّديّ. وهو من أئمة الزهاد، وله كلام حسن في=

Scanned by CamScanner

قدس الله سره: (من أين تأكل) فقال: (مولاي يطعم الكلب والخنزير أفتري أن لا يطعم أبا يزيد؟!). والعجب ممن يدعي العقل وقد جرب ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة ليلا ونهارا ولم يفته وداؤه ولا عشاؤه، أما يكفيه هذه التجربة إن لم يكن العلم والمعرفة؟ نعوذ بالله من الجهل الدائم وحرص البهائم[1].

٤٣. أَمَّا المُعِيلُ فَلا يَجُوزُ قُعُودُه ... عَن مَكْسَبٍ لِعِيَالِهِ مُتَوَكِّلا

حكم قعود المعيل عن الكسب لعياله

وقد صرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحكم المُعيل حيث قال: (أَمَّا المُعِيلُ فَلا يَجُوزُ قُعُودُه عَن مَكْسَبٍ لِعِيَالِهِ مُتَوَكِّلا)[2] على الله في حقهم. بأن يدخل البوادي ويتركهم ويقعد[3] عن الاهتمام بأمرهم. إذ لا يجوز له تكليف عياله الصبر على الجوع فإنه قد يُفضي إلى هلاكهم فيكون مؤاخذا بهم، فلا يمكن في حقه إلا توكل المكتسب كتوكل أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذ خرج للكسب.

التوكل باعتبار ملازمة أسبابه على ثلاث مقامات

واعلم أن التوكل باعتبار ملازمة الأسباب على ثلاث مقامات. أعلاها مقام الخواص ونظرائه بأن يدور في البوادي بلا زاد ثقة بفضل الله عليه في تقويته على الجوع أسبوعا فما فوقه، أو يسير حيث له وقوف أو تثنية على الرضى بالموت إن لم يتيسر له شيء من ذلك. وثانيها أن يقعد في بيته أو مسجد في

= المعاملات. انظر سير أعلام النبلاء: (٨٧/١٣) وطبقات الصوفية (٧٤/١) والأعلام للزركلي (٢٣٥/٣)

(١) في الأصل: (والحرص البهائم) والصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (أما) حرف شرط وتفصيل، (المعيل) مبتدأ وهو بضم الميم وكسر العين من كثرت عياله، (فلا) الفاء واقعة في جواب (أما)، و(لا) نافية، و(يجوز) فعل مضارع، و(قعوده) فاعله، والجملة خبر المبتدأ، و(عن مكسب) متعلق بـ(قعود) وهو مصدر ميمي بمعنى الحدث أي الكسب، و(لعياله) متعلق به، و(متوكلا) حال من الضمير في قعوده، ومتعلقه محذوف أي في شأن عياله. [من (ك) بتصرف]

(٣) في الأصل (يعقد) والصواب ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

القرى/ والأمصار تاركا للكسب معتمدا على فضل الله فهذا أضعف من الأول لتعرضه لأسباب الرزق بسكوته فيها. وثالثها أن يخرج ويكسب اكتسابا على وفق الشرع مع مراعاة الشروط التي تقدمت. وأما الجلوس في رباطات الصوفية مع المعلوم فيبعد من التوكل. وإن لم يكن معلوم، وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف، ولكن يقوي بالحال والعلم كتوكل المكتسب. وإن قنعوا بما يحمل إليهم فهو أقوي في توكلهم. ولكن بعد استهتار القوم بذلك صار سوقا، فهو كدخول السوق، وداخل السوق لا يكون متوكلا إلا بشرط كما تقدم..

تَنْبِيهَاتٌ :

تنبيه: التوكل في القوة والضعف على ثلاث درجات

* **الأول**: التوكل في القوة والضعف على ثلاث درجات: الأولي أن يكون حاله بالثقة بكفاية الربح[1] كحاله في الثقة بوكيل قد عرف أمانته وعنايته وشفقته. الثانية: أن يكون حاله مع الله كحال الطفل مع أمّه فهو لا يعرف غيرها ولا يفزع إلا إليها. فمن كان نظره إلى الله واعتماده عليه كُلّف كما يكلف الطفل بأمه وهذه أقوي؛ لأنه فنى في توكله عن توكله والأول له الالتفات على توكله. الثالثة، وهي أعلاها، أن يكون بين يدي الله تعالى بحركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل. وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء ثقة بكرمه وعنايته، وأنه يعطي ابتداءا أفضل مما يسأل/. فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق.

تنبيه: هل الاكتساب أفضل والتوكل أم الكف عنه اعتمادا على الله؟

والثاني: هل الاكتساب أفضل والتوكل [أم][2] الكف عنه اعتمادا على

(١) في الأصل غموض في كتابة هذه الكلمة. وهي تشبه (الرمح) في الأصل. وما أثبتناه هو ما أدى إليه الاجتهاد في قراءة العبارة وفهم السياق.

(٢) ما بين المعقوفتين من زيادتي.

Scanned by CamScanner

الله فيه؟ ثلاثة أقوال: الأول تفضيل التوكل؛ لأنه حال رسول الله ﷺ وأصحاب الصفّة. الثانية: تفضيل الكسب؛ لأنه من النوافل التي أمر الله بها في قوله: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ ولأنه حرفة الأكابر من الصحابة وغيرهم من السلف. والثالث: المختار أن من تفرغ بترك الكسب للطاعات من فكر وذكر وغيرهما، وكان الكسب يشوش عليه ذلك، ويشوّق نفسه إلى من يدخل إليه فيحمل إليه شيئا، ولم يسخط إذا تعذر عليه رزقه، فالتوكل في حقه أفضل. ومن كان يضطرب قلبه ويسخط عند تعذّر الرزق عليه، ويستشرف إلى الناس، فالكسب أفضل لأن استشراف القلب إلى الناس. سؤال بالقلب على الله وحده من أعلى المقامات[1].

٤٤. لا تَبْذِلَنْ للنَاسِ عرضَك طَامِعَاً ... فِي مَالِهِم أو جاهِهِم مُتَذَلِّلا

الطمع فيما في أيدي الناس يورث الذل والخزي بخدمة أبناء الدنيا

و[لما][2] كان الطمع فيما عند الناس من مال وجاه منافيا لذلك لما فيه من الذل والخزي بخدمة أبناء الدنيا والسعي في أغراضهم والثناء عليهم وإظهار حبهم، أشار إلى ذلك حضا على التوكل بقوله:

(لا تَبْذِلَنْ للنَاسِ)، أي أبناء الدنيا منهم، (عرضَك) الشريف (طَامِعَاً فِي مَالِهِم أو جاهِهِم مُتَذَلِّلا)[3] بالتردد في خدمتهم والثناء عليهم والدعاء لهم

---

(١) وقد جمع ابن رسلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الثلاثة في زبده بقوله:

واختلفوا فرُجِّح التوكّلُ ... وآخرون الاكتساب أفضل
والثالث المختار أن يفصلا ... وباختلاف الناس أن ينزلا
من طاعة الله تعالى آثرا ... لا ساخطا إن رزقه تعثرا
ولم يكن مستشرفا للرزق ... من أحد بل من إله الخلق
فإن ذا في حقه التوكل ... أولى وإلا الاكتساب أفضل

(٢) في الأصل حذف (لما) ولعل الصواب هو إثباتها

(٣) إعراب البيت: (لا تبذلن) (لا) ناهية، (تبذلن) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة،=

Scanned by CamScanner

وإظهار حبهم فإن من ذلك أتى[1] محبة الدنيا وتعظيمها في قلبه.

ومنها الإخلاص

تعريف الإخلاص والحث على الاعتناء به

وهو شرط صحة جميع الأعمال. وإلى اعتناء[2] به/ وتعريفه أشار بقوله:

٤٥. أَخْلِصْ وذا أنْ لا تُرِيدَ بِطَاعَةٍ ... إلّا التَقَرُّبَ مِنْ إلَهِك ذي الكَلا

٤٦. لا تَقْصِدَن مَعَهُ إلى اغْرَاضِ الدُّنا ... كثنائِهِم أو نَحْوِ ذاكَ تَوَصَّلا

(أَخْلِصْ وذا)، أي الإخلاص، (أنْ لا تُرِيدَ بِطَاعَةٍ.. إلّا التَقَرُّبَ)، أي طلب القرب، (مِنْ إلَهِك ذي الكِلا)[3]، أي الحافظ[4]. وصرح بالنهي عن

= والفاعل ضمير مستتر، و(عرضك) مفعوله وهو بكسر العين محل المدح والذم، و(طامعاً) منصوب على الحال من فاعل (تبذلن)، (في مالهم) متعلق بـ(طامعاً)، (أو جاههم) معطوف على (مالهم)، و(متذللا) حال ثانية من فاعل (تبذلن) مرادفة ويصح أن يكون حالا من فاعل طامعاً وتكون متداخلة.

(١) في الأصل (فإن ذلك من ذلك أتى).

(٢) كلمة (اعتناء) غير واضحة في الأصل

(٣) إعراب البيت: (أخلص) فعل أمر، (وذا) الواو للاستئناف البياني كأن سائلا يقول ما الاخلاص الذي أمرتنا به فأجابه بقوله وذا الخ، و(ذا) اسم إشارة عائد على الاخلاص المفهوم من (أخلص) مبني على السكون في محل رفع بالابتداء، و(أن لا تريد) المصدر المؤول من أن والفعل بعدها في محل رفع خبر، و(بطاعة) متعلق بـ(تريد)، و(إلا التقرب) إلا أداة حصر، والتقرب مفعول (تريد)، و(من إلهك) متعلق بالتقرب، و(ذي) بمعنى صاحب صفة لإلهك وهو مضاف، (الكِلا) وهو بالكسر والمد وقصر هنا للضرورة بمعنى الحفظ. قال في المصباح: كلأه يكلؤه مهموزا كِلاءه بالكسر والمد حفظه. واما كِلا بالكسر والقصر فاسم لفظه مفرد ومعناه مثنى ويلزم اضافته الى مثنى يقال: قام كِلا الرجلين. [من (ك) بتصرف]

(٤) وهذا ـ أي تعريف الإخلاص على أن لا تريد بطاعة الله إلا التقرب من مولاك ذي الكلا ـ=

Scanned by CamScanner

تشريك شيء من أغراض الدنيا معه بقوله: (لا تَقْصِدَن مَعَهُ)، أي مع قصد التَقَرُّبِ إليه، (إلى اغْرَاضِ[1] الدُّنا كثنائِهِم)، أي ثناء الخَلقِ، (أو نَحْوِ ذاكَ)، كمحبتهم والرياسة بينهم[2] والتصنع لهم، (تَوَصُّلا)[3]، أي لا تقصدن معه إلى التوصل إلى أغراض الدنا كثنائهم. وهذا الذي ذكره في تعريف الإخلاص هو المختار الذي ذكره الأستاذ أبو القاسم القشيري[4] فقال: (الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق واكتساب محمدة). وقوله «إلى اغراض الدنيا» متعلق بمحذوف دل عليه المذكور؛ فإن المصدر لا يعمل فيما تقدم، عليه الجمهور وقد أجازه جماعة من المحققين إذا كان ظرفا وعلى هذا يكون متعلقا ب «توصلا» المذكور.

٤٧. واحْـذَر رِيَـاءً مُحْبِطـاً لِعِبَـادَةٍ وانْظُـر إلى نَظَـرِ العَلِـيمِ فَـتَكْمُلا

التحذير من الرياء

ثم حذَّر من الرياء توضيحا للمقصود وتتميما للمراد فقال: (واحْذَر رِيَاءً مُحْبِطاً)، أي مبطلا، (لِعِبَادَةٍ وانْظُر) في حال عملك (إلى نَظَرِ) الله (العَلِيمِ)

= هو أعلى مراتب الإخلاص الثلاث، المرتبة الثانية العمل طمعا في الثواب وهربا من العقاب، والمرتبة الثالثة العمل لأجل أن الله يغنيه في الدنيا عن الناس كأن يقرأ سورة الواقعة لذلك، وهذه المرتبة هي الدنيا وصاحبها بعد مخلص. [من (ك) بتصرف].

(١) وردت في الأصل: (إلى اغراض الدنا) ويجب تسهيل الهمزة لمراعاة الوزن. وقد جاءت في بعض الشروح (إلى غرض الدنا) والله أعلم.

(٢) قال الخواص: (من شرب من كأس الرياسة فقد خرج عن إخلاص العبودية). (ن)

(٣) إعراب البيت: (لا) ناهية، و(تقصدن) فعل مضارع مجزوم ومؤكد بالنون الخفيفة، و(معه) متعلق بـ(تقصدن) وضميره يعود على التقرب، و(إلى غرض الدنا) متعلق بـ(توصلا) في آخر البيت، (كثنائهم) خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك أي غرض الدنيا كائن كثنائهم، (أو نحو ذاك) معطوف على (ثنائهم)، واسم الإشارة يعود على غرض الدنا، و(توصلا) مفعول تقصدن وهو مصدر (توصل). [من (ك) بتصرف].

(٤) سبقت ترجمته.

Scanned by CamScanner

بأسرارك إليك الموجب لخشية الله وتعظيمِهِ (فَتَكْمُلا)[1] بالتوجه إلى الله بالكلية وحصول الخشية في القلب[2]. وفي الرسالة القدسية: (والعجب ممن لا يلاحظ نظر من هو أقرب إليه من حبل الوريد ويلاحظ نظر من هو استحسان[3] الله وملائكته وأنبيائه وأوليائه ولا يشغل بالأعمال الصالحة على وفق ذلك/ ويلتفت إلى استحسان[4] أقربائه وأحبائه وأعدائه). قال قتادة[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إذا رائي العبد

(١) إعراب البيت: (احذر) فعل أمر، و(رياء) مفعوله، و(محبطاً) بكسر الباء صفة له، و(لعبادة) متعلق به، و(انظر) فعل أمر وهو يتعدى بنفسه تارة وبحرف الجر أخرى يقال: نظرته ونظرت إليه أي أبصرته لكن النظر هنا بمعنى الفكر وعليه تكون إلى بعد بمعنى في، أي فكر في نظر الله والمراد لاحظ واستحضر نظر الله فيك، (فتكملا) الفاء سببية، و(تكمل) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة في جواب الأمرين قبله احذر وانظر، والفاعل مستتر تقديره أنت، والألف للإطلاق. [من (ك) بتصرف]

(٢) قال السيد عبد الله الحداد في النصائح: فالذي يعمل لقصد التقرب إلى الله تعالى وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص، والذي يعمل لله ولمراآة الناس هو المرائي وعمله غير مقبول، والذي يعمل لمراآة الناس فقط ولولا الناس لم يعمل أصلا أمره خطر هائل ورياؤه رياء المنافقين. نعوذ بالله من ذلك. (ك)

(٣) في الأصل سقط طويل. ولعل صواب النقل هو (والعجب ممن لا يلاحظ نظر من هو أقرب إليه من حبل الوريد، ويلاحظ نظر] غيره [من] العبيد، ولا يلتفت إلى [استحسان الله وملائكته وأنبيائه وأوليائه ولا يشغل بالأعمال الصالحة على وفق ذلك/ ويلتفت إلى استحسنها أقربائه وأحبائه وأعدائه

(٤) سقط حرف النون من الأصل.

(٥) هو قدوة المفسرين والمحدثين، حافظ العصر، أَبُو الخَطَّاب: قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ بنِ قَتَادَةَ بنِ عَزِيْزٍ السَّدُوْسِيُّ] ٦٠ ـ ١١٨هـ [، البَصْرِيُّ، كان ضريرا أكمه. وَسَدُوْسُ: هُوَ ابْنُ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ، مِنْ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ. مَوْلِدُه: فِي سَنَةِ سِتِّيْنَ. قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون. انظر الأعلام للزركلي (١٨٩/٥) وسير أعلام النبلاء (٢٧١/٥).

Scanned by CamScanner

قال الله تعالى: انظر كيف يستهزئ بي. ومثاله كمن تمثل بين يدي ملك لملاحظة جارية من جواريه أو غلام من غلمانه فإن هذا مستهزئ بالملك وأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا.

الرياء خفي وجلي

والرياء جلي وخفي. فالجلي هو الذي يحمل على العمل لا بقصد الثواب. والخفي أنواع منها: ما لا يحمل على العمل بمجرده إلا أنه يخفف العمل الذي أريد به وجه الله، كمن يعتاد التهجد ويثقل عليه فإذا دخل عليه الضيفان تنشط وخف مع أنه لولا رجاء الثواب لما كان يصلي. ومنها ما لا يؤثر في العمل ولا في التخفيف ولكنه مستبطن في القلب لا يمكن أن يعرف إلا بالعلامات كالسرور باطلاع الناس على طاعته مع كراهة الرياء وهذا يدل على رياء خفي. ولولا التفات[1] القلب إلى الناس لما ظهر سرور به. فإن لم يقابله بكراهة صار غذاء للعرق الخفي من الرياء، حتى يتحرك خفيه فيتقاضى تقاضيا خفيفا أن يتكلف سببا يطلع بالتعريض أو بالشمال لحاظها[2] والنحول وآثار الدموع.

ولم يزل المخلصون يحرصون على إخفاء أعمالهم الصالحة أعظم من حرص الناس على اخفاء فواحشهم رجاء الإخلاص؛ لعلمهم أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص.

حكم العمل الممتزج بشوب من الرياء

واعلم أنه إذا امتزج العمل بشوب من الرياء/ أو حظوظ النفس فالذي اختاره الغزالي أن الباعث الديني إذا كان مساويا للباعث النفسي تساقطا وصار

(١) في الأصل (الالتفات القلب) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) كذا رسمها في الأصل. ولعل المعنى ينضبط إذا كان المقول (بالتماس لحاظها) ولكن الرسم لا يؤيده. والله أعلم. (ق)

Scanned by CamScanner

العمل لا له ولا عليه، وإن كان باعث التقرب أغلب فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني، وإن كان باعث الرياء أغلب فهو مقتضٍ للعقاب. واختار الشيخ عز الدين ابن عبد السلام أنه لا ثواب له مطلقا تساوي القصدان أو اختلفا.

تنبيه: أصل الرياء

تَنْبِيهٌ: أصل الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائتهم خصال الخير. وقد خص في العرف بما إذا كان بإرائتهم العبادات لا العادات، وينبعث[1] من حب المدح والفرار من الذم والطمع فيما في أيدي الناس.

علاج الرياء

وعلاج الرياء ألا يفرح بمدح الناس بل يكرهه، وأن يقطع طمعه عنهم، وأن يعرف ما يفوته به من صلاح قلبه، وما يحرم في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يتعرض له من العقاب والخزي حيث ينادي على رؤوس العباد: فاجر يا غادر يا مرائي، أما استجلبت[2] بطاعة الله غرض الدنيا، راءيت قلوب العباد، واستهزأت بطاعة الله، أما كان أحد أهون عليك من الله؟ وأن يعلم أن الله هو المسخر لقلوب عباده بالمنع والإعطاء، وأنهم مضطرون فيه، وأن يعوّد نفسه إخفاء العبادات، وإغلال العبارات، وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله، ولا تنازعه نفسه طلب علم غير الله ـ وفقنا الله لذلك ـ.

٤٨. لا تُظْهِرَنَّ فَضِيلَةً كَي تُعْتَقَد ... لا تُبْرِزَنَّ لِيُنكِرُوكَ رَذَائِلا

٤٩. إيمانُ مرءٍ لا يَكُونُ تَكَامَلا ... حَتّى يَرى ناساً بإبْلٍ مُثّلا

٥٠. فيَكُونُ مَدحُهُمُ وذمُّهُمُ سوي ... لَمْ يَخْشَ لومةَ لائمٍ في ذِي العُلا

---

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل وهي تشبه (وشعث)

(٢) في الأصل كلمة قريبة من (استحييت) والسياق لا يستقيم بها. فإما أنها (استجلبت) كما أثبتناه، وإما أن هناك سقط في العبارة. والله تعالى أعلم

Scanned by CamScanner

عدم إظهار الفضيلة للاعتقاد أو معصية للانكار

وإذا تحقق عندك ما تقدَّم فينبغي لك ألا تلتفت إلى اعتقاد/ الناس وإنكارهم وتكون بحالة لا تظهر منها فضيلة للاعتقاد، ولا معصية للإنكار، وإلى هذا أشار بقوله:

(لا تُظْهِرنَّ فَضِيلةً) كالعلم والورع والطاعة (كَي تُعْتَقَد) بها؛ لأن ذلك حظ للنفس تميل إليه القلوب. ومن الإظهار التحدث بها بعد فراغها. وأما إظهارها ليقتدى به وليرغّب الناس في الخير فهو أفضل من إسرارها إن أمن شوائب الرياء وعلم أنه يقتدى به وظن ذلك ظنا. (لا تُبرِزَنَّ لِيُنكِروكَ رَذَائِلا)[1]، أي لا تبرزن الرذائل بالمعاصي لينكروك عليها وتسقط من أعينهم؛ فإن فيه التفاتا إلى الناس.

وقد رخّص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ستر الذنوب فقال: «من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستره ستر الله عليه»[2]؛ فسترها ليس من الرياء، بل هو

---

(١) إعراب البيت: (لا تظهرن) (لا) ناهية، و(تظهرن) فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(فضيلة) مفعوله، (كي تعتقد) (كي) حرف تعليل وجر، و(تعتقد) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد كي وهو مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، (لا تبرزن) (لا) ناهية، (تبرزن) فعل مضارع مؤكد بالنون الثقيلة أيضاً، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، و(رذائلا) مفعوله، و(لينكروك) اللام لام كي، و(ينكروا) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، وهو من أنكر إذا غاب فهو يطلب مفعولين أحدهما بلا واسطه والأخر بواسطة قال في المصباح، يقال أنكرت عليه فعله انكارا اذ أعبته ونهيته اهـ، إذا علمت ذلك فكاف الخطاب منصوب بإسقاط الخافض، ومفعوله محذوف أي لينكروا عليك اتيانك بالرذائل. [من (ك) بتصرف].

(٢) لم أعثر لهذا الحديث على رواية بلفظ (من ارتكب) فكل ما وجدت من روايات أتت بلفظ (من أصاب). وممن رواه بلفظ (فمن أصابَ من هذهِ القاذوراتِ شيئا، فليستتر بسترِ اللهِ) البيهقي في السنن الصغير ٣/٣٤٥.

Scanned by CamScanner

ممدوح للفرح بستر الله عليه. فمن ستر عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة. ولعلمه بأن الله يكره ظهور المعاصي، وللراحة من ذم الناس له من حيث أن ذلك يغمه، ولخوف قصد الناس بشر من عرف، وللحيا، ولخوف سقوط وقع المعاصي، ولخوف اقتداء غيره به.

وإذ قد علم أن إظهار الفضائل للاعتراض والرذائل للإنكار مذموم، فعلى العامل أن لا يفرق في رؤية عمله بين الإنسان وبين البهائم. وكل من أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء وكذا قال:

لا يتكامل إيمان المرء حتى يستوي في نظره رؤية الناس لعلمه ورؤية الإبل

(إيمانُ مرءٍ لا يَكونُ تَكَامَلا)، أي لا يكون إيمان/ المرء، (حَتّى يري ناساً بإبْلٍ مُثّلا)[1] أي حتى يراهم كإبل فيكون مشاهدتهما [سواء][2] (فيَكُونُ) عنده بالضرورة (مَدحُهُمُ وذمُّهُمُ سوى)؛ لكونه لا يتوقع منهم شيئا كما لا يتوقع من الإبل شيئا فلا يضره الذم ولا يسرّه المدح. (لَمْ يَخْشَ لومةَ لائمٍ في) في طلب رضي (ذِي العُلا)[3]؛ لأنه يري أن كلامهم سواء كان في استحسان أو

---

(١) إعراب البيت: (إيمان) مبتدأ، و(مرء) مضاف إليه، (لا يكون) (لا) نافية، (يكون) فعل مضارع واسمها يعود على الإيمان، و(تكاملا) فعل ماض، وفاعله يعود على الإيمان، والجملة خبر (يكون)، (حتى يرى) (حتى) غائية، و(يرى) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف منع من ظهورها التعذر، وفاعله ضمير يعود على (مرء)، و(ناسا) مفعول أول، و(بإبل) متعلق بـ(مثلا) وهو فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير يعود على (ناس) وذكر وافرد لأن ناس اسم جمع لإنسان واسم الجمع يجوز تذكير ضميره وافراده، والجملة في محل نصب مفعول ثان لـ(يرى). [من (ك) بتصرف]

(٢) ما بين المعقوفتين من زيادتي وبه يستقيم المعنى. والله أعلم. (ق)

(٣) إعراب البيت: (فيكون) الفاء تفريعية، و(يكون) فعل مضارع مرفوع، و(مدحهم) اسم=

Scanned by CamScanner

استقباح ريح تخرج من أفواههم وتزول.

٥١. عَمَـلٌ لأَجْـلِ النَـاسِ شِرْكٌ تَرْكُـهُ للنَـاسِ ذاكَ هـو الرِيَـاءُ سَـبَهْلَلا

ذم ترك العمل لخوف الرياء

ولما كان من الناس من يترك العمل خوفا من الرياء لكونه من المهلكات، أشار إلى ذمه بقوله: (عَمَلٌ لأَجْلِ النَاسِ شِرْكٌ)؛ لإشراكه غيره في عمله، (تَركُهُ)، أي وترك العمل، (للنَاسِ ذاكَ هو الرِيَاءُ سَبَهْلَلا[1])[2]، أي لا دنيا ولا آخرة؛ لأن فيه التفاتا إلى الخلق، وموافقة للشيطان حيث كان سببا للبطالة وترك الخيرات. فإنه يدعوك أولا إلى ترك العمل، فإن لم تجبه، دعاك إلى الرياء، فإذا

= (يكون)، و(ذمهم) معطوف عليه ومتعلق مدح وذم محذوف أي له، والميم فيهما للجمع وهي مضمومه مشبعة للوزن، و(سواء) خبر (يكون) وقصر للوزن، و(لم يخش) (لم) جازمة، و(يخش) فعل مضارع مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها، وفاعله ضمير يعود على المرء في البيت السابق، والجملة في محل نصب خبر ثان لـ(يكون)، و(لومة) مفعول (يخشى)، و(لائم) مضاف إليه، و(في ذي العلا) متعلق بـ(يخشي)، و(ذي) بمعني صاحب أي يكون لم يخش في دين ذي العلا وهو الله سبحانه وتعالى عذل عاذل، والمراد أنه يكون قويا في الدين لا يبالي بما يفعله أعداء الحق من الإزراء بأهل الدين وقلب محاسنهم مساوئ وما فيهم مثالب حسدا أو بغضا وكراهة للحق وأهله. [من (ك) بتصرف].

(١) قال في لسان العرب: جاء سَبَهْلَلاً أَي بلا شيء، وقيل بلا سلاح ولا عصا. أَبو الهيثم: يقال للفارغ النَّشيط الفَرِح سَبَهْلَلٌ. ابن سيده: وكلُّ فارغٍ سَبَهْلَلٌ؛ عن السيرافي؛ وأَنشد الكسائي: إِذا الجار لم يَعْلَمْ مُجِيراً يُجِيرُه، فصار حَرِباً في الديار سَبَهْلَلا. اهـ. قال السيد البكري في شرحه: وهو مأخوذ من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إني لأكره ان أرى أحدكم سبهللا أي لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة).

(٢) إعراب البيت: (عمل) مبتدأ، و(لأجل الناس) متعلق بـ(عمل)، و(شرك) خبره، (تركه) مبتدأ أول، و(للناس) اللام تعليلية ستعلقه بـ(تركه)، و(ذاك) مبتدأ ثان، (هو الرياء) (هو) ضمير فصل، و(الرياء) خبر المبتدأ الثاني، والثاني وخبره خبر الاول، وقوله (سبهللا) الذي يظهر أنه مفعول ثان لمقدر أي ويسمى التارك للعمل سبهللا. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

دفعته، يقول لك: هذا العمل ليس بخالص [ولا] فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى تترك العمل. فقد حصّلت غرضه حيث ضيعت العمل والإخلاص وذلك منتهي بغيته. والإخلاص ألا تعمل لأجل الناس، ولا تتركه لهم. فإن خفت خاطر الرياء فداوِه[1] بإلزام قلبكَ الحياءَ من الله تعالى.

قال النووي في الأذكار: (لو فتح على الإنسان باب ملاحظة الناس والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب الخير وضيّع على نفسه شيئا عظيما من مهمات الدين وليس هذا من طريقة العارفين ولقد صدق من قال سيروا إلى الله عرجا ومكاسير[2] ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة).

٥٢. لا تَطْلُبَنْ عِنْدَ المُهَيمِنِ مَنْزِلَة ... إن كُنْتَ تَطْلُبُ عِنْدَ نَاسٍ مَنْزِلا

طلب المنزلة في قلوب الناس منشأ الشر

ولما كان طلب المنزلة في قلوب الناس منشأ الشر، أشار[3] إلى النهي عن ذلك بقوله: (لا تَطْلُبَنْ عِنْدَ المُهَيمِنِ مَنْزِلة) ـ ولو حقيرة ـ (إن كُنْتَ تَطْلُبُ عِنْدَ نَاسٍ مَنْزِلا)[4]، ـ بحذف التاء ـ لأن الجمع بين الحالتين محال. فإن طالب المنزلة في قلوب الناس مشغوف بالتودد إليهم والمراآة لأجلهم، ملتفت إلى ما

(١) في الأصل (فدواه) ولعل الصواب هو ما أثبتناه
(٢) في الأصل زيادة (أو) ولعل الصواب هو ما أثبتناه من حذفها
(٣) في الأصل اضطراب في كتابة كلمة (أشار)
(٤) إعراب البيت: (لا) ناهية، (تطلبن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة في محل جزم، (عند المهيمن) متعلق به، والمهيمن هو الشاهد الذي شهد على كل نفس بما كسبت، أو العالم الذي لا يعزب عن عمله شيء، و(منزلة) مفعول (تطلب) منصوب بفتحة مقدرة لأجل الوقف، (إن كنت) (إن) شرطية، و(كنت) فعل ماض ناقص، واسمها تاء المخاطب، وجملة (تطلب) خبرها، و(عند ناس) متعلق بـ(تطلب)، و(منزلا) مفعول (تطلب). [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

يعظم منزلته عندهم، والتظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها، وذلك عين النفاق ويجر إلى التساهل في [...][1] بالعبادات، ولا يمكن للإنسان أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع فيهم، فإذا قطع طمعه عنهم أصلا أصبح الناس كلهم عنده كالجمادات.

ولا ينقطع طمعه عنهم إلا بالقناعة. فمن قنع استغنى عن الناس فلم يشتغل قلبه بهم، ولم يكن لقيام منزلته في قلوبهم عنده وزن، فلا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة. وفي الرسالة القدسية: (فالصدق والإخلاص فرضان سيما على أهل الاختصاص والإيقان). وسألني الشيخ الإمام العارف جلال الحق والملة والدين الخجندي ثم المدني قدس الله سره بالمدينة يوما: إن عشت فرضا ألف سنة إيش تعمل في هذا العمر؟ قلت: أفعل كذا وكذا وعددت ما بلغ عقلي إليه من التقربات، فقال رضي الله عنه: أنا لا أفعل كذا وكذا بل أصرف عمري تسعمائة وتسعة وتسعين سنة إلى تحقيق مقامي الصدق والإخلاص ويكفيني معهما عمل سنة واحدة). ما قال إلا عن علم عميق ونظر دقيق روّح الله روحه ونور ضريحه انتهى.

* * *

(١) في الأصل كلمة غير واضحة تشبه (والمنربات) لم أستطع أن أستبينها (ق)

Scanned by CamScanner

ومنها العزلة

تعريف العزلة والنهي عن صحبة غير أهل الصحبة

وهي الخروج عن مخالطة الخلق إلا عن خدمة شيخ مرب له. وقدَّم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الكلام في العزلة النهيَ عن صحبة غير أهل[1] الصحبة لأن العزلة إنما هي بعد الصحبة فقال:

٥٣. لا تَصْحَبَنْ مَنْ كانَ أهلَ بَطَالةٍ ... وتَسَاهُلٍ في الدِينِ ذاكَ هو البِلا

٥٤. والعُزْلَةُ الأَوْلَى إذا فَسَدَ الزَمَن ... أو خَافَ مِن فِتَنٍ بدِينٍ مُبتَلي

٥٥. وكَذَا إذا خَافَ الوُقُوعَ بِشُبْهَةٍ ... أو في حَرامٍ أو لِذاكَ مُمَاثِلا

(لا تَصْحَبَنْ مَنْ كانَ أهلَ بَطَالةٍ[2] وتَساهُلٍ في الدِينِ ذاكَ)، أي ما ذكر من صحبة، (هو البِلا)[3]؛ لأن مشاهدة أحواله تهون عليك ما هو فيه، وتبطل نفرة قلبك عنه، فتجرك إليه؛ إذ الطبع يسرق ما شاهده من عمل صاحبه[4]. قال

---

(١) في الأصل تعريف كلمة (أهل) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) بطالة بتثليث الباء (أي بفتحها وكسرها وضمها) كما في المصباح. (ن)

(٣) إعراب البيت: (لا تصبحن) (لا) ناهية، و(تصحبن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة في محل جزم، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، و(من) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب بـ(تصحبن)، و(كان) فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر يعود على (من)، و(أهل) خبر (كان)، و(بطالة) مضاف إليه، و(تساهل) معطوف على (بطالة)، و(في الدين) متعلق بـ(تساهل)، (ذاك) اسم اشارة مبتدأ مبني على السكون في محل رفع، والكاف حرف خطاب هو ضمير فصل على الأصح لا محل له من الاعراب، و(البلا) خبر المبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. [من (ك) بتصرف].

(٤) روي عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم. قيل: ومن الموتى. قال: المحبون للدنيا الراغبون فيها.

Scanned by CamScanner

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[1] فينبغي ألا تتخذ صاحبا حتى تجربه في المواطن وتنكشف لك أسراره. ونعم ما قال بعضهم [الطويل]:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال بعض العرفاء: (اصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر من أن تحرقك). وإذا وجدت صادقا موافقا ـ وقلما يوجد ـ فاصحبه فصحبته غنيمة، وإلا فالأولي الانفراد والعزلة عن الناس. ولذا قال الشيخ:

العزلة أولى إذا فسد الزمان وخيف من الفتنة

(والعُزْلَةُ الأَوْلَى إذا فَسَدَ الزَّمَن/) بكثرة المعاصي وعدم صديق صادق كما هذه الزمان (أو خَافَ مِن فِتَنٍ بدِينٍ مُبتَلى)[2] أي وإذا خاف ابتلاءا من الفتن بدينه كالوقوع في المعصية أو البدعة أو الردة. (وكَذَا) العزلة أولي (إذا خَافَ الوُقُوعَ بِشُبْهَةٍ) أي في مال الشبهة، (أو في) مال (حرامٍ أو لِذاكَ مُماثِلا)[3]، أي وإذا خاف مثل ذلك كظلم الولاة، وقتل النفس بغير حق[4].

---

(١) سنن أبي داود، ٤٢ ـ كتاب الأدب، ١٩ ـ باب من يؤمر أن يجالس، حديث ٤٨٣٥.

(٢) إعراب البيت: (العزلة) مبتدأ، خبره الأولى أو بالعكس، و(إذا فسد) (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، وجواب إذا محذوف يدل عليه ما قبله، و(أو خاف) (أو) بمعنى الواو عاطفة، والجملة معطوفه على جملة (فسد الزمان)، و(من فتن) متعلق بـ(مبتلى) هو مصدر بمعنى ابتلاء على صورة اسم المفعول، و(بدين) متعلق بمحذوف صفة لـ(فتن) أي وخاف ابتلاء من فتن واقعة في الدين. [من (ك) بتصرف].

(٣) إعراب البيت: (وكذا) الواو عاطفة، و(كذا) الجار والمجرور متعلق بمحذوف هو جواب (إذا) أي وإذا خاف الوقوع بشبهة فالأولى العزلة كالذي قبله، و(خاف) فعل الشرط، وفاعله يعود على السالك المريد للآخرة، و(الوقوع) مفعوله، و(بشبهة) متعلق بـ(الوقوع)، (أو في حرام) معطوف على (بشبهة)، (أو لذاك) (أو) عاطفة و(لذاك) متعلق بـ(مماثلا) وهو معطوف على الوقوع. [من (ك) بتصرف].

(٤) وقد وصف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زمان العزلة فقال: إذا رأيتم الناس مرحت عهودهم ـ أي ذهب=

Scanned by CamScanner

٥٦. والاخْـتِلَاطُ بِنَاسِـنَا فِي جُمْعِهِـم ... وجَمَاعَـةٍ أو نَحـوِ ذَلِـك فُضِّـلا

٥٧. هـذا لمَـن بـالعُرْفِ يَقْـدِرُ يـأمُرُ ... وعَـنِ المَنَـاكِرِ قَـد نَـهَى مُـتَحَمِّلا

٥٨. صَـبراً على كُل الأَذَى لا يغلِـبُ ... فِي ظَنِّـهِ عِصْـيَانَهُ بِمَحَـافِلا

حكم الاختلاط بالناس في محافل الخير

(و) لكن (الاخْتِلَاطَ بِنَاسِنَا فِي جُمْعِهِم) ـ بضم الجيم، وسكون الميم للضرورة، ـ جمع (جمعة) (و) في صلاة (جَمَاعَةٍ أو نَحوِ ذَلِك) من مشاهدة الخير كحضور الجنائز، والعيد، ومجالس الذكر، وعيادة المرضي (فُضِّلا)[1] على العزلة عنهم في ذلك؛ لما في ذلك من الثواب الجزيل.

(هذا) أي ما تقدم من تفصيل الاختلاط بالناس في هذه الأمور إنما تكون (لمَن بالعُرْفِ)، أي بالمعروف، (يَقْدِرُ يأمُرُ وعَنِ المَنَاكِرِ قَد نَهَى)، أي ولمن يقدر على النهي عن المنكر، (مُتَحَمِّلا)[2]، أي متحملا للكلفة فيما يعاقبه من

= الوفاء بها ـ وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقال له عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ما أصنع عند ذلك جعلني الله فدائك قال الزم بيتك وأمسك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة.

(١) إعراب البيت: (الاختلاط) مبتدأ، و(بناسنا) متعلق به، ومثله (في جمعهم) وهو بضم الجيم وتسكين الميم للضرورة جمع جمعة، او بفتح الجيم مع تسكين الميم من غير ضرورة بمعنى جماعة الناس أي مجمعهم في الخير لكن عليه يضيع قوله أو نحو ذلك إذ المراد به حضور مجامع الخير من الأعياد وزيارة المرضى وحضور الجنائز فالأولى الاحتمال الاول، وقوله (فضلا) هو فعل مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود على الاختلاط، والجملة خبر المبتدأ. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (هذا) اسم اشارة مبتدأ، والجار والمجرور بعده خبره، و(بالعرف) متعلق بـ(يأمر)، وجملة (يقدر) صلة (من)، و(يأمر) فعل مضارع مرفوع وأصله أن يأمر فلما حذفت أن ارتفع الفعل من باب (تسمعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه)، وأن المقدرة وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي يقدر على الأمر بالمعروف، و(عن المناكر) متعلق بـ(نهي)، و(متحملا) حال من فاعل يأمر؛ وفاعل نهى. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (صَبراً)، أي ويصبر صبرا، (على كُل الأذَى) الذي يكون منهم في ذلك متحملا بحيث (لا يغلِبُ في ظَنِّهِ عِصْيَانَهُ بِمَحَافِلا)[1]، أي في المجالِس.

٥٩. لَكِن يَقُولُ البعضُ مِن مُتَأَخِّري الـ ـفُضَلاءِ عُزْلَـةُ ذا الزَمَـانِ مُفَضَّـلا

٦٠. إذ نَـادِرٌ حَقَّـاً خُلُـوٌّ مَحَافِـلٍ عَن حَوْبَةٍ فـانظُرْ لِنَفْسِـكَ عَاقِـلا

قول البعض بتفضيل العزلة ولو في مشاهدة الخير

(لَكِن يَقُولُ البعضُ مِن مُتَأَخِّري الفُضَلاءِ عُزْلَةُ ذا الزَمَانِ مُفَضَّلا)[2]، أي لكن يقول بعض متأخري الفضلاء بتفضيل العزلة في هذا الزمان على الاختلاط مطلقا ولو في مشاهدة الخير[3]؛ (إذ نَادِرٌ حَقَّاً خُلُوُّ/ مَحَافِلٍ عَن حَوْبَةٍ)، أي

---

(١) إعراب البيت: (صبرا) إما مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره ويصبر صبرا والفعل معطوف على (متحملا) الذي في البيت السابق لشبهه بالفعل، وإما مؤول باسم الفاعل وهو معطوف على (متحملا) اي صابرا، و(على كل الاذى) متعلق بـ(صبرا)، و(لا يغلب) على حذف العاطف، والجملة معطوفة على جملة (يقدر) أي وهذا أيضا لمن لا يغلب على ظنه الخ، و(عصيانه) بالرفع فاعل (يغلب)، و(بمحافل) متعلق بعصيانه وهو جمع محفل كمجلس وهو مجتمع الناس. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (لكن) أداة استدراك ملغاة لا عمل لها، (يقول) فعل مضارع، (البعض) فاعل، و(من متأخري) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من (البعض)، و(عزلة) مبتدأ مضاف الى اسم الإشارة اضافة على معنى (في) الظرفية، و(الزمان) بدل أو عطف بيان، و(مفضلا) خبر يكون مقدرة. [من (ك) بتصرف].

(٣) كالشيخ شمس الدين الكرماني فإنه قال في المختار: وفي عهدنا تفضيل الانعزال لندور خلو المحافل عن المعاصي. وكالإمام أبي حامد الغزالي فإنه كان معتزلا احدى عشرة سنة منها سنتان في منارة مسجد دمشق. وكالشيخ نجم الدين الأصبهاني فإنه كان يصلي مدة فوق جبل أبي قيس مقلدا لبعض المذاهب. وحكايات المشايخ في ذلك تطول، وبالجملة فقد قال الشيوخ المقتدى بهم: من وجد قلبه في مكان أو شيء مخصوص فليلزمه. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

إثم؛ لعموم الفساد وعدم مبالاة الناس بأمر الدين، (فانظُرْ لِنَفْسِكَ عَاقِلا)[1] حتى تلازم ما ينفعك وتترك ما يضرك. وقد قال الفضيل[2]: (عليك بطرق الهدي ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا يغررك كثرة الهالكين)[3].

---

(١) إعراب البيت: (إذ) تعليلية، و(نادر) خبر مقدم، و(خلو محافل) مبتدأ مؤخر، و(حقا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أحقه حقاً أو منصوب بإسقاط الخافض بمعنى يقينا، و(عن حوبة) متعلق بـ(خلو) أي خلو محافل عن حوبة أي خطيئة وإثم، (فانظر) الفاء للتفريع، و(انظر) فعل أمر، و(لنفسك) متعلق بـ(انظر)، و(عاقلا) حال أي فانظر أيها السالك في نفسك حال كونك عاقلا حتى تلزم ما ينفعك وتترك ماي ضرك. [من (ك) بتصرف].

(٢) هو: الإمام، القدوة، الثَّبت، شيخ الحرم، وكبير الزهاد، أَبُو عَلِيّ: الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي] ١٠٥ - ١٨٧هـ[، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث. أخذ عن الأَعْمَشِ، وَبَيَانِ بنِ بِشْرٍ، وَحُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَلَيْثٍ، وَعَطَاءِ بنِ السَّائِبِ، وَجَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَحُمَيْدٍ الطَّوِيْلِ، وخلق سواهم من الكوفيين والحجازيين. أخذ عنه خلق منهم ابْنُ المُبَارَكِ، وَيَحْيَى القَطَّانُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ، وَالأَصْمَعِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَأَسَدُ السُّنَّةِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَابْنُ وَهْبٍ، وَمُسَدَّدٌ، وَقُتَيْبَةُ، وَبِشْرٌ الحَافِي، وَالسَّرِيُّ بنُ مُغَلِّسٍ السَّقَطِيُّ، وغيرهم. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها، وقصة توبته مشهورة. انظر الأعلام للزركلي (١٥٣/٥)، سير أعلام النبلاء: (٤٢٣/٨).

(٣) لكن من الناس من يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج إليه الناس في أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى خير بفعل أو قول أو نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا الخلق لله، ذابا عن دين الله، مبينا لأحكام الله تعالى لقوله ﷺ: «إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله». ويحتاج حينئذ في صحبة الناس إلى صبر طويل، وحلم عظيم، ونظر لطيف، واستعانة بالله دائمة، ويكون في المعنى منفردا عنهم وإن كان بالشخص معهم. فإن كلموه كلمهم، وإن زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم، وإن سكتوا عنه وأعرضوا اغتنم ذلك منهم، وإن كانوا في حق وخير ساعدهم، وإن صاروا إلى لغو وشر خالفهم ورد عليهم وهاجرهم وزجرهم. ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعبادات وقضاء الحاجات التي ترفع إليه ما أمكنه، ولا يطالبهم=

Scanned by CamScanner

٦١. كُلُّ المَعَـاصي كالرِبَـا وكَغَيْبَـةٍ أو نَحْـوِ ذَلِـك بِاختِلاطِـكَ حَصَّـلا

أغلب المعاصي ناشئة من الاختلاط

ثم صرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأن أكثر المعاصي ناشئة من الاختلاط فقال: (كُلُّ المَعَاصي)، أي أكثرها، (كالرِبَا وكَغَيْبَةٍ أو نَحْوِ ذَلِك) من الكذب، والنفاق، والتكبر، والحسد، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، (بِاختِلاطِكَ) بالناس (حُصِّلا)[1]. أما الرياء فيعسر على الأوتاد والأبدال الاحتراز عنه. فمن خالط[2] الناس داراهم[3]، ومن داراهم رائاهم، ومن رائاهم وقع فيما وقعوا، وهلك فيما هلكوا.

وأقل ما يلزم من الاختلاط إظهار الشوق، ولا يخلو من الكذب إما في الأصل وإما الزيادة والنفاق. فإنك إن لم تلق كلامك بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهم[4] جميعا، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس أو صرت. وقد كان السلف

= بالمكافأة، ولا يرجو ذلك منهم، ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك، ويباسطهم بالبذل، وينقبض عنهم في الأخذ إن أعطوا، ويحتمل منهم الأذى، ويظهر لهم البشر، ويتجمل لهم بظاهره، ويكتم حاجاته عنهم فيقاسيها ويعالجها في سره وباطنه. ثم ينظر إلى نفسه فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة. (ك)

(١) إعراب البيت: (كل) مبتدأ وهو مضاف لـ(المعاصي)، و(كالربا) خبر لمبتدأ محذوف، و(كغيبة) معطوف على (كالربا)، (أو نحو) معطوف على (الربا) وهو مضاف لاسم الإشارة؛ و(باختلاطك) متعلق بـ(حصل)، و(حصل) فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود على (كل)، والجملة خبره، والألف للإطلاق. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل تكرار (من خالط).

(٣) في الأصل (دارهم) ولعل الصواب هو ما أثبتناه. وهذا من المداراة وقد ذكر الغزالي فرقا بين المداراة والمداهنة فقال: الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء. فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن. اهـ. (ق).

(٤) في الأصل (إليهما جميعا).

Scanned by CamScanner

يتلافون ويحترزون عن قولهم (كيف أصبحت؟) و(كيف حالك؟)، وكان سؤالهم عن أحوال الدين لا أحوال الدنيا. وإن سألوا عنها فعن عزم على القيام بما يظهر من الحاجة. فالالتقاء غالبا لا يخلو عن أنواع التصنع، والرياء، والنفاق، وكل ذلك مذموم. وأما الغيبة، فلا ينجو منها مع الخلطة/ إلا الصديقون؛ فإن عادة الناس التمضيض[1] بأعراض الناس. فإن وافقتهم أثمت، وإن سكت كنت شريكا، وإن أنكرت أبغضوك[2] واغتابوك فازدادوا غيبة على الغيبة. وربما انتهوا إلى الاستخفاف والشتم. وأمّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن سكت عنهما عصى الله به، وإن أنكر تعرض[3] نفسه لأنواع من الضرر. وفي العزلة السلامة من هذه الأشياء كلها.

الجليس الصالح خير من الوحدة

فإن وجدت صديقا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه، فإنه غنيمة العاقل، وضالة المؤمن. وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء.

آداب العزلة

واعلم أن من آثر العزلة فآدابه أربعة: أن ينوي كف شره من الناس، ثم السلامة من شر الأشرار، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله تعالى. وليكن مواظبا على العلم، والعمل، والذكر، والفكر؛ ليجتني ثمرة العزلة، ومانعا للناس عن كثرة زيارته فيشوش وقته، وكاتما عن السؤال والأخبار.

---

(١) هكذا في الأصل ولعل أصلها من المضمضة وهي تحريك الماء في الفم كما في مختار الصحاح مادة (مضض)، فكأنهم يتكلمون بأعراض الناس كثيرا كما يحرك الرجل ماء المضمضة في فمه.

(٢) في الأصل (أبغضك) ولعل الصواب هو الذي أثبتناه.

(٣) كذا في الأصل. ولعل الصواب (عرّض).

Scanned by CamScanner

الغيبة والبهتان

تَنْبِيهٌ : اعلم أن الغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء كان نقصا في بدنه كأعمش أو أحول، أو في نفسه كنبطي وهندي، أو في خلقه كسيء الخلق أو متكبر، أو في فعله كسارق أو كذاب، أو في قوله أو دينه أو دنياه، حتى في ثوبه أو داره ودابته. وأما ذكرك/ ما ليس فيه فبهتان.

حرمة التعريض واللمز

وكما يحرم الذكر باللسان، يحرم التعريض وكذا الإشارة والغمز، وكل ما يُفهِم المقصود كالمحاكاة والكتابة.

علاج الغيبة

والعلاج في كف اللسان عن الغيبة بأن يعلم بتعرضه لسخط الله بغيبته، وأن حسناته تنقل يوم القيامة إلى من اغتابه، فإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه. وأن يقطع الباعث عليها وهي تشفي الغيظ بذكر مساوئه، وموافقة الجلساء، وتبرئة نفسه عما نسب إليه بذكر فعله، وخوف الغيبة، ورفع نفسه بتنقيص غيره واستهزاءً واستحقارا له، والحسد على من يثني عليه الناس ويكرمونه، ويريد زوال النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه حتى يكفوا عن إكرامه.

كفارة الغيبة

وكفارة الغيبة الندم والتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله، ثم استحلال. فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي تكثير الاستغفار والدعاء والحسنات.

* * *

Scanned by CamScanner

ومنها حفظ الأوقات

صرف الاعتناء إلى توزيع الوقت كله في الطاعة

بصرفها على الطاعات وتوزيعها فيها. وأشار إلى الاعتناء به بقوله:

٦٢. واصْرِفْ إلى الطَاعَاتِ وَقْتَكَ كُلَّهُ ... لا تَتْرُكَنْ وَقْتَاً سُدي مُتَسَاهِلا

٦٣. وَتَصِيرُ أوْقَاتُ المُبَاحِ بنيةٍ ... مَصْرُوفَةً في الخَيْرِ فاصْحَ بِلا ائتِلا

(واصْرِفْ إلى الطَاعَاتِ وَقْتَكَ كُلَّهُ)، أي دائما إذ لا نجاة للعبد إلا في لقاء الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا بأن يكون محبا لله، وعارفا به. والمحبة لا تحصل إلا بدوام ذكر المحبوب. والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر في صفاته وأفعاله، ولا يتيسر دوامها إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاحتراز منها بقدر البلغة، وذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأفكار والأذكار.

(لا تَتْرُكَنْ وَقْتَاً سُدي)، أي مهملا، (مُتَسَاهِلا)[1] فتصير كالبهائم لا تدري بماذا تشتغل في كل وقت، فينقضي أكثر أوقاتك ضائعا، فتخسر خسرانا مبينا؛ فإن أوقاتك وعمرك رأس مالك، وعليه اتجارك[2]، وبه وصولك إلى نعيم/ الأبد في جوار الله. فكل نفس من أنفاسك جوهر[3] لا قيمة له، وإذا فات لا عود له.

النية الصالحة تصير أوقات المباح أوقات طاعة

(وَتَصِيرُ أوْقَاتُ المُبَاحِ)، أي في جميع أوقات فعل المباح، (بنيةٍ)

(١) إعراب البيت: (واصرف) فعل أمر، (إلى) الطاعات متعلق به، (وقتك) مفعول له، و(كله) توكيد له، (لا تتركن) (لا) ناهية، والفعل مجزوم بها محلا مبني على الفتح، والفاعل مستتر، (سدى) أي مهملا من غير عبادة، و(متساهلا) حال من فاعل الفعل، ومتعلقه محذوف أي فيه. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل (تجارك) ولعل ما أثبتناه من زيادة الألف هو الصواب.

(٣) في الأصل (جواهر لا قيمة له) ولعل ما أثبتناه من إفراد (جواهر) هو الصواب.

Scanned by CamScanner

صالحة (مَصْرُوفَةٌ في الخَيْرِ)[1]، أي في الطاعات، (فاصْحَ) من غفلتك (بِلا ائتِلا)[2]، أي بلا تقصير منك في احضار النية عند فعل المباح كالأكل، والشرب، والنوم، والمضاجعة مع المرأة والوقاع، والكلام، وسائر الحركات.

فإذا نويت بالأكل والشرب العون على العبادة لا الاستلذاذ، وبالنوم دفع الملال حتى تكون نشيطا في العبادة لا راحة النفس، وبالمضاجعة مع حليلتك قضاء حقها المبين في الشرع، وبالوقاع تحصين دينك وتطييب قلب أهلك والتوصل إلى ولد يعبد الله تعالى وتكثير أمة محمد ﷺ لا استلذاذ النفس، وبكل ما تعمل من الحِرَف أكل الحلال والعون على الطاعات، صيرتها من القربات ونلت بها معالي الدرجات وكل هذه الدرجات بصوالح النيات تنقلب عبادات يؤجر العبد عليها ويثقل ميزان حسناته يوم القيامة. فما أعظم خسران من يغفل عن النية فيها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة.

وإذا روعي الأدب في هذه العادات حتى تقع وصف السنة، وتصير منورة يضاف نورها إلى نور الطاعات، فتقع على وصف الكمال، فيتنور حينئذ القلب

---

(١) هذا الجملة واقعة في جواب سؤال ناشئ مما قبله، تقديره: كيف تأمرنا بصرف جميع الأوقات في الطاعات مع أن ذلك لا يتأتى إذ لا بد لنا من فعل المباح كأكل وشرب ونوم وغير ذلك؟ وحاصل الجواب أن ذلك يتأتى بالنية؛ إذ المباح ينقلب طاعة بها. (ك)

(٢) إعراب البيت: (تصير) فعل مضارع من صار الناقصة، و(أوقات) اسمها، و(المباح) مضاف (إليه)، و(بنية) متعلق بـ(تصير) أو بما بعده، و(مصروفة) خبر (تصير)، و(في الخير) متعلق بمصروفة، (فاصح) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر، و(اصح) فعل أمر مجزوم بحذف الواو، و(الضمة) قبلها دليل عليها، و(بلا ائتلا) الباء جارة، و(لا) اسم بمعنى غير نقل اعرابها على ما بعدها لكونها على صورة الحرف وهي مضاف، و(ائتلا) مضاف إليه، والجار والمجرور متعلق بـ(اصح) أي إذا عرفت أن اوقات المباح تصير بالنية مصروفة في الخير فاصح أي تنبه لهذه النية الحسنة من غير تقصير فيها. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

بها وينصلح، ويسري نور القلب إلى النفس فتزكو وتزول عنها شيئا فشيئا رذائل الأخلاق، ثم يسري نور النفس المطهرة إلى الطبع فتزول ظلمات الطبعية الدنية، فلا يزال يزيد نور القلب ويفيض على النفس. ومنها إلى الطبع فيصير طبع البشر/ كطبع الملك لا يحب بالطبع إلا الطاعة، ويحترز عن المعصية. بل يصير للكُمَّل المقربين الطبع بمنزلة القلب يحب الله بالطبع كما يحب بالقلب لو لم تكن الضرورات البشرية المرتبة بالأوامر الإلهية لما كان يظهر منهم شيء من مقتضيات الطبيعة. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

٦٤. وَزِّعْ بِعَوْنِ اللهِ وَقْتَكَ واصْرِفَنْ كُلًّا بِمَا هُوَ لائِقٌ مُتَبَتِّلا

واعلم أن من أراد صرف جميع أوقاته إلى الطاعات فليرتب وظائفه في نهاره وليله وليعيّن لكل وقت شغلا لا يتعداه وإلى هذا أشار بقوله: (وَزِّعْ بِعَوْنِ اللهِ وَقْتَكَ) كله (واصْرِفَنْ كُلًّا) من أوقاتك (بما هُوَ لائِقٌ) أي فيما هو لائق (مُتَبَتِّلا)[1] أي منقطعا إلى الله حتى تستغرق أوقات ليلك ونهارك في الأذكار والأفكار وسائر الطاعات. فإن النفس إذا ردت لنمط واحد ن الطاعات أظهرت الملال والاستثقال لكونها مجبولة على السآمة-فكان من اللطف أن تروح بالتنقل من أنواع إلى أخري كل وقت ليزيد لذتها ويعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك قسمت الأوراد قسمة مختلفة فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق جميع أوقاته في الطاعات. ومن أراد أن يثقل ميزان

(١) إعراب البيت: (وزع) فعل أمر، والفاعل ضمير تقديره أنت، و(بعون الله) متعلق بـ(وزع)، و(وقتك) مفعوله، و(اصرفن) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة، و(كلا) مفعوله، و(بما) متعلق بـ(اصرفن)، وجملة (هو لائق) صلة (ما)، و(متبتلا) حال من فاعل (اصرفن) أي اصرفنه حال كونك متبتلا أي منقطعا الى الله بالكلية. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

حسناته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطور[1] ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله مرتغب منتظر، فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه. فعلم أن الأوقات وعمارتها بالأوراد على الدوام.

٦٥. فـإذا بَـدَا فَجْـرٌ فَصَـلِّ تَخَشُّـعَاً ... مُتَـدَبِّراً لِقِـراءَةٍ ومُكَمِّـلا

٦٦. واجْهَد لِتُحْضِرَ في صَلاتِكَ قلبَكَ ... جُهْـداً بَليغَـاً كَي تَنَـالَ فَضَـائلا

٦٧. لا تَـنْسَ أنَّ اللهَ نَـاظِرُ قَلْبِـكَ ... وحُضُـورَهُ وشُـهُودَهُ لَـك فـاوْجَلا

صلاة سنة الصبح وفرضه مع الخشوع والتدبر

ولذا شرع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في ترتيب الأوراد وتفصيلها بقوله: (فإذا بَدَا فَجْرٌ) أي الفجر الصادق (فَصَلِّ) سنة الصبح وفرضه (تَخَشُّعَاً/) أي متخشعا فإنك واقف بين ملك الملوك تناجيه[2] (مُتَدَبِّراً لِقِراءَةٍ) أي لمعني قراءة وذكر لأن بذلك يحصل الخشوع (ومُكَمِّلا)[3] لصلواتك بإتيان السنن والهيئات والآداب

---

(١) كذا في الأصل (مخطور) ولعلها بمعنى خطير.

(٢) والتخشع تكلف الخشوع. وقد اختلفوا في تفسيره فقيل: هو غض البصر وخفض الصوت. وقيل: أن لا يلتفت المصلي يمينا وشمالا. وقيل: أن لا يعرف من عن يمينه ولا عن يساره. وقيل: هو جمع الهيئة والإعراض عما سوى الصلاة. وهذا الأخير هو التحقيق لأنه عبارة عن عمل الجوارح وعمل القلب فيكون المصلي خاشعا بقلبه بأن لا يحضر فيه غير ما هو فيه، وبجوارحه بأن لا يعبث بواحد منها. (ك)

(٣) إعراب البيت: (فإذا) الفاء فاء الفصيحة لأنها افصحت عن شرط مقدر أي إذا أردت كيفية توزيع الاوقات وتفصيلها في الطاعات فأقول لك إذا بدأ فجر الخ، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، و(بدا) فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر، و(فجر) فاعل، (فصل) الفاء واقعة في جواب (إذا)، و(صل) فعل أمر مبني على حذف الياء والكسرة قبلها دليل عليها، و(تخشعاً) منصوب على الحال بتأويله باسم الفاعل أي متخشعا أو منصوب بإسقاط الخافض أي بالتخشع، (متدبرا) حال ثانية على الأول، و(لقراءة) متعلق به، و(مكمِّلا) معطوف على (متدبرا). [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

من قراءة السورة والأذكار والدعوات الواردات ويسن تخفيف سنة الصبح.

والتخشع تكلف الخشوع وهو في الصلاة التطامن وطأطأة الرأس وعلامة الخشوع ألا يلتفت يمينا وشمالا ولا يرفع البصر عن موضع السجود. وموجبه معرفة اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله وتقصير العبد.

ويستحب أن يفصل بين سنة الصبح وفرضه باضطجاع على يمينه أو حديث غير دنيوي أو تحول في مكانه وأن يشتغل بالدعاء والذكر المأثور في ذلك الوقت.

(واجْهَد لِتُحْضِرَ في صَلاتِكَ قلبَكَ) فإن حضور القلب فيها روحها **(جُهْدَاً بَليغَاً كَي تَنَالَ فَضَائلا)**[1] من كثرة ثوابها وجزيل أجرها وعظيم قدرها. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه من الدعاء غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[2]. وقال: «إن العبد ليصلي الصلاة ولا يكتب له سدسها ولا عشرها». وقال: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل قلبه مع بدنه». وذلك لأن المصلي مناج ربه والكلام مع الغفلة ليس مناجاة البتة. وحضور القلب هو فراغه من غير ما هو ملابس له فمهما انصرف الفكر من غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما فيه فقد حصل حضور القلب.

ونبّه على ما يعين عليه بقوله:

---

(١) إعراب البيت: (اجهد) فعل أمر، (لتحضر) اللام لام الأمر، و(تحضر) بضم الأول وكسر الثالث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا، و(في صلاتك) تنازعه كل من (اجهد) و(تحضر)، و(قلبك) مفعول بـ(تحضر)، و(جهدا) مفعول مطلق لـ(اجهد)، و(بليغا) صفة مؤكدة، و(كي) مصدرية ناصبة للفعل المضارع بعدها، و(فضائل) مفعول الفعل وألفه للإطلاق. [من (ك) بتصرف].

(٢) رواه بلفظ قريب الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ١/٢٠٤.

Scanned by CamScanner

(لا تَنْسَ)، أي إذا قمت إلى الصلاة فلا تنس، (أَنَّ اللهَ نَاظِرُ قَلْبِكَ) ومطلع على/ سريرتك (وحُضُورَهُ وشُهُودَهُ لَكَ) أي لديك وخطر مقامك لديه[1]. وإذا ذكرت هذا واستولت هذه المعرفة على قلبك انصرفت همتك إلى الله العظيم وحده. فليكمل عملك وتكون ما يحبه الله ورسوله (فاوْجَلَا)[2]، أي فخف من الله أن يري قلبك غافلا في صلاتك فإنه بئس الصنيع، واستحيي أن تناجيه بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات؛ فإنك ما دمت في الصلاة مناج ربك والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة وما أتيت به مع الغفلة فهو إلى الاستغفار أحوج.

فإن لم يحضر قلبك بما ذكرنا ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى ففِدَنّ[3] رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك لينظر إليك ليعلم كيف صلاتك. فعند ذلك تحضر قلبك، وتسكن جوارحك، ثم ارجع إلى نفسك وقل: أفلا تستحين من خالقك ومولاك الذي هو مطلع عليك؟ أهو أقل[4] عندك من عبد من عباده وليس بيده[5] ضرك ونفعك؟ وما أشد طغيانك وجهلك؟ فعالج

---

(١) في الأصل (لديك)

(٢) إعراب البيت: (لا تنس) (لا) ناهية، و(تنس) فعل مضارع مجزوم بها، و(أن) حرف توكيد ونصب، ولفظ الجلالة اسمها، و(ناظر) خبرها وهو مضاف إلى قلبك، والمصدر المؤول من أن واسمها مفعول (تنس)، و(حضوره) بالنصب معطوف على المصدر المؤول، و(شهوده) معطوف عليه، و(لك) متعلق به، (فاوجلا) الفاء للفصيحة أو للتفريع، و(اوجلا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد المنقلبة ألفا. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل (ففدانّ) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٤) في الأصل تكرار (أهو أقل) والصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأصل (بيد ضرك) ولعل الصواب ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

قلبك بهذا فلعله يحضر معك في صلاتك. فإنه ليس من صلاتك إلا ما عقل منها. وليس المقصود من القراءة والأذكار إلا مناجاة الله تعالى، ولا يكون مناجاة إلا إذا أعرب عما في الضمير، ولا يكون معربا إلا بحضور القلب، وأي سؤال في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إذا كان القلب غافلا ولم يقصد[1] به تضرعا ودعاء؟ فأي مشقة في حركة اللسان/ به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتبار؟ وإذا كان لسانه يتحرك بحكم العادة والقلب محجوب عنه بالغفلة، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان بذلك؟ والمقصود من الركوع والسجود والتعظيم قطعا.

ولو جاز أن يكون معظما لله تعالى بفعله وهو غافل عنه، لجاز أن يكون معظما لصنم موضع بين يديه وهو غافل. وإذا لم يكن تعظيما لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس، وليس فيه من المشقة ما يقصد به الامتحان. وما جعلت الصلاة عماد الدين إلا بإضافة مقصود المناجاة إلى أعمالها الظاهرة، ولذا قدّمت على الصوم والزكاة والحج.

ومع هذا نرجو أن يكون حال الغافل في جميع صلواته مثل حال التارك لها؛ فإنه أقدم على الفعل ظاهرا، وأحضر القلب لحظة، أي عند التكبير، ومع هذا الرجا نخشي أن يكون حاله أشد من حال التارك. كيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون بالحضرة أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة. نسأل الله تعالى أن يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته.

٦٨. لا تَـتْرُكَنّ جَمَاعَـةً قَـدْ فُضِّـلَت ... بالسَبْعِ والعِشرينِ من فضلٍ عَـلا

٦٩. ولِـمَ التَعَلُّـم إن تَكُـن تَتَسـاهَلُ ... في مِثْلِ هذا الرِبْحِ أخْسَـرَ أجْهَـلا

(١) في الأصل تكرار (ولم يقصد) والصواب ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

الحرص على الصلاة في جماعة

ولما كان في صلاة الجماعة الثواب الكثير صرح بالنهي عن تركها بقوله: (لا تَتْرُكَنّ) أي في الصلاة التي شرعت فيها الجماعة وخصوصا صلاة الصبح (جَمَاعَةً قَدْ فُضِّلَت) على صلاة المنفرد (بالسَبْعِ والعِشرينِ من فضلٍ عَلا/)[1]، أي عال فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[2]. (ولِمَ التَعَلُّم) للعلم (إن تَكُن تَتَساهَلُ في مِثْلِ هذا الرِبْحِ) الكثير (أَخْسَرَ أَجْهَلا)[3]؛ لأن فائدة التعلم العمل، فأي فائدة في العلم إذا لم

---

(١) إعراب البيت: (لا تتركن) (لا) ناهية، و(تتركن) فعل مضارع مؤكد بالنون الثقيلة مبني على الفتح في محل جزم، والفاعل مستتر، و(جماعة) مفعوله، (قد فضلت) (قد) للتحقيق، والجملة من الفعل ونائب الفاعل في محل نصب صفة لجماعة، و(بالسبع) متعلق بـ(فضلت)، و(والعشرين) معطوف على (السبع) والمعطوف على المجرور مجرور وعلامة جره الياء المكسور ما قبلها، و(من فضل) تمييز للعدد أي بسبع وعشرين فضلا، ودخول من على تمييز العدد غير جائز قال ابن مالك:

* واجرر بمن إن شئت غير ذي العدد*

فلا تقول عندي عشرون من رجل وذلك لأن التمييز يجر بمن البيانية وهي يشترط في مجرورها ان يصح الإخبار به ولا يصح ذلك في تمييز العدد لأنه مفرد والمُمَيَّز الذي هو العدد متعدد فلعله أدخل (من) عليه للضرورة، ويصح جعل (من فضل) متعلق بفُضِّلت أي فضلت من فضل الله بسبع وعشرين وعليه يكون تمييز العدد محذوفا أي درجة، و(علا) فعلٌ ماض، وفاعله ضمير يعود على (فضل)، والجملة في محل جر صفة لـ(فضل). [من (ك) بتصرف].

(٢) صحيح البخاري، ١٠ ـ كتاب الأذان، ٣٠ ـ باب فضل صلاة الجماعة، حديث ٦٤٨ ـ المكنز.

(٣) إعراب البيت: (لم) اللام جارة، و(ما) استفهاميه حذف ألفها لقول ابن مالك:

وما في الاستفهام إن جرت حذف ألفهـا وأولهـا الهـا إن تقـف

والجار والمجرور خبر مقدم، و(التعلم) مبتدأ مؤخر، (إن تكن) (إن) شرطية، و(تكن) فعل الشرط، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله والتقدير فالتعلم لماذا، و(تساهل) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة خبر تكن وفي بعض النسخ=

Scanned by CamScanner

يكن معه عمل؟ وتحصل الجماعة بإمام ومأموم.

٧٠. ثُـمَّ اشْـتَغِل بـالوِرْدِ لا تَـتَكَلَّمَنْ ... مُسْـتَقْبِلا ومُراقِبـا ومُهَلِّـلا

٧١. بطَريقَـةٍ مَعْهُـودةٍ لمَشَـائخٍ ... لـتَري بِـهِ نـارَاً ونُـوراً حَاصِـلا

٧٢. فَيُضِيءُ وَجْهُ القَلْبِ بـالنُورِ الجَـلِي ... ويَصِـيرُ مَـذمُومُ الطَبَـائِعِ زائِـلا

٧٣. فيَصِـيرَ أَهْـلاً للمُشَـاهَدِةِ الـتي ... هي نِعْمَـةٌ عُظْـمَى فَصِـرْ مُتَـأَهِّلا

(ثُمَّ اشْتَغِل) أي [إذا][1] فرغت من صلاة الصبح مراعيا للآداب المتقدمة فاشتغل (بالوِرْدِ) من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات التي وردت في الأخبار وذلك سنة. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة ولد إسماعيل»[2][3]. (لا تَتَكَلَّمَنْ) في هذا الوقت في هذا الوقت إلى طلوع الشمس فإنه وقت شريف وفي ترك التكلم في هذا الوقت أثر بين يجده أهل المعاملة وأرباب القلوب (مُسْتَقْبِلا) للقبلة؛ لأنها أشرف الجهات (ومُراقِبا) لله تعالى. والمراقبة علم بنظر الله إليك،

= متساهلا بصيغة اسم الفاعل وعليه يكون خبرا مفرد لـ(تكن)، و(في مثل) متعلق به وهو مضاف لاسم الإشارة، و(الربح) بدل أو عطف بيان من اسم الإشارة، و(أخسر أجهل) حالان من فاعل (تساهل)، أي تساهل حال كونك أخسر وحال كونك أجهل. [من (ك) بتصرف].

(١) ما بين المعقوفتين من زيادتي.

(٢) سنن أبي داود ٢٦ ـ كتاب العلم ١٣ ـ باب في القصص. حديث: ٣٦٦٩ ـ المكنز.

(٣) قال حجة الإسلام الغزالي: إن هذا الوقت ـ أعني ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ـ وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وتمدحه به إذ قال: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾.

Scanned by CamScanner

فمادام هذا العلم ملازم لقلبك فأنت مراقب (ومُهَلِّلا)[1]، أي قائلا لا إله إلا الله بعد تمام الورد.

اتباع طريقة المشايخ في التهليل والذكر

(بطَرِيقَةٍ مَعْهُودةٍ لمَشَائخٍ)، أي لمشائخ الطريقة نفعنا الله بهم. ولهم طرق كثيرة في ذلك فلازم التهليل على الطريقة التي علمها لك شيخك من غير فتورة ولا نعاس[2]؛ فإن النوم في هذا الوقت مكروه جدا. فإن [هجم][3] عليك النوم فقم من مصلاك مستقبلا للقبلة. فإن لم يذهب النوم بالقيام فاخط خطوات نحو القبلة وتأخر بالخطوات كذلك. ولا تستدبر القبلة ففي إدامة استقبال القبلة، وترك الكلام/ والنوم، ودوام الذكر في هذا الوقت[4] أثر كبير وبركة غير قليلة. قال في العوارف: (وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر).

واجعل من وردك في هذا الوقت التفكر في ذنوبك، وتقصيرك في العبادة، وفي نعم الله تعالى، وعقوباته. ولازم موضع صلاتك فقد كان السلف

---

(١) إعراب البيت: (ثم اشتغل) (ثم) حرف عطف وهي للترتيب بتراخ، و(اشتغل) فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(بالورد) متعلق به، (لا تتكلمن) (لا) ناهية، و(تتكلمن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة، والجملة مستأنفة لبيان كيفية اشتغاله بالورد، و(مستقبلا) حال من فاعل (تتكلمن) أو خبر لـ(تكن) مقدرة، و(مراقبا) معطوف عليه، و(مهللا) معطوف على الحال أيضا، وفي الكلام حذف أي ومسبحا وقارئا للقرآن. [من (ك) بتصرف].

(٢) ويتخذ المريد ما يأمره به شيخه من الأذكار. وإذا فقد الشيخ المرشد فيلتزم الأذكار النبوية الواردة عن النبي ﷺ ويتلو القرآن ويكثر من الصلاة على النبي ﷺ. [من (ك) بتصرف].

(٣) ما بين المعقوفتين من زيادتي.

(٤) في الأصل تكرار (في هذا الوقت) والصواب ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

يواظبون على ذلك إلا أن تري انتقالك إلى زاويتك أسلم لدينك لئلا تحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء. **(لِتَرِي بِهِ)** أي بالإتيان بالتهليل على طريقة المشايخ رحمهم الله بوصول حرارة الذكر **(نارَاً ونُوراً حَاصِلا)**[1] من النار. فنار الذكر على القلب من كدر ظلمات النفسانية، ونور يجليه بالأنوار.

(فَيُضِيءُ وَجْهُ القَلْبِ بالنُورِ الجَلِي) بتأثير نار الذكر ونوره في الدم الغليظ الذي في وسط القلب اللحمي الصنوبري؛ فإن في باطنه تجويفا فيه دم غليظ أسود هو منبع الحياة الحيوانية، وفوقه بخار لطيف يسري معه إلى الأعضاء يسمي الروح الحيواني. فإذا أثر نار الذكر ونوره في الدم الغليظ، تصرف في البخار اللطيف الساري إلى جميع الأعضاء، وإذا تصرف فيه تصرف في النفس وهي سارية في جميع البدن، فيتخلخل أعضاء البدن بتأثير نار الذكر ونوره، وتتأثر النفس بنار الذكر ونوره، فحينئذ تتبدل ظلمات النفس بالأنوار، وتزول عنه الأخلاق المذمومة. وإلى هذا أشار بقوله:

(وَيَصِيرُ مَذمُومُ الطَبَائِعِ)، أي المذموم من الطبائع/، **(زائِلا)**[2] عن

---

(١) **إعراب البيت:** (بطريقة) متعلق بمحذوف صفة لمصدر (مهللا) في البيت السابق، والباء بمعني على أي مهللا بتهليل كائن على طريقة، و(معهودة) صفة لـ(طريقة)، و(لمشايخ) متعلق باسم المفعول، (لترى) اللام لام كي، و(ترى) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام كي وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(به) متعلق بـ(تري)، و(نارا) مفعول (ترى) وهي بصرية هنا فلا تطلب إلا مفعولا واحدا، و(نورا) معطوف على (نارا)، و(حاصلا) صفة لـ(نورا). [من (ك) بتصرف]

(٢) **إعراب البيت:** (فيضيء) الفاء تفريعية، و(يضيء) من أضاء فهو بضم الياء فعل مضارع، و(وجه) فاعله، و(القلب) مضاف إليه، (بالنور) متعلق بـ(يضيء)، (الجلي) صفته، و(يصير) فعل مضارع من صار الناقصة، و(مذموم) اسم (يصير)، و(الطبائع) مضاف إليه، و(زائلا) خبر (يصير). [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

النفس، ويتحلى بالأخلاق المحمودة، فيتخلص القلب من ظلمات النفس ويزداد القلب نورا على نور.

(فَيَصِيرَ أَهْلاً لِلْمُشَاهَدَةِ التي هي نِعْمَةٌ عُظْمَي فَصِرْ مُتَأَهِّلا)[1] لهذه النعمة العظيمة بملازمتك على الذكر والمجاهدة. على قدر الملازمة على الذكر بشرائطه تظهر النتيجة. وينبغي للذاكر أن يحضرنّ النفس على القلب. فيجعل هاء إلا الله دائرة يطبقونها[2] على دائرة القلب بالقوة، ويكون جانب الإثبات أكثر ملاحظة من جانب النفي، وينوي المبتدي (لا إله إلا الله) لا معبود غير الله، والمتوسط لا مطلوب أو لا مراد أو مقصود[3] إلا الله، وإذا وجد المتوسط محبة مخلوق ممن ليس له وساطة بينه وبين الله ينوي لا محبوب إلا الله. وينبغي أن يكون كل من المبتدي، والمتوسط صادقا في المعاني الثلاثة في النفي والإثبات. ويخلص همته عن التعلق بالكائنات، والميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية، فلا طائل تحتها. ويطلب الحق وحده، وينزه طلبه من المزج بهوي النفس؛ فإن الميل إلى الكشوفات والكرامات من جملة هوى النفس وهويها. ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين المنكورين. بل إن وقعت بلا طلبه يخاف عليه من الاستدراج.

---

(١) إعراب البيت: (فتصير أهلا) الفاء تفريعية أيضا، و(تصير) فعل مضارع، واسمها مستتر تقديره أنت، و(أهلا) خبرها، و(للمشاهدة) متعلق بـ(أهلا)، و(التي) اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة لـ(المشاهدة)، وجملة (هي نعمة) من المبتدأ والخبر صلة (التي)، و(عظمى) صفة (نعمة)، (فصر متأهلا) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر والتقدير: وإذا علمت ما مر جميعه فصر متأهلا أي فاستعد وتهيأ لهذه النعمة العظيمة وذلك يحصل باشتغالك بالورد المذكور. [من (ك) بتصرف].

(٢) كذا في الأصل. ولعل الصواب (يطبقها).

(٣) في الأصل (المقصود) ولعل ما أثبتناه من حذف حرف التعريف هو الصواب.

Scanned by CamScanner

ثم إذا تنور القلب/ بأنوار الوحدانية المودعة في ملازمة ذكر (لا إله إلا الله) وانعكست تلك الأنوار على صفحات الكائنات من جميع الأقطار، يري الذاكر أن هذا[1] الوجودَ الحقُّ الواجبُ الأزليُّ الأبديُّ[2]، فهذه أول درجات المنتهين. فحينئذ يقول: (لا إله إلا الله)، وينوي لا موجود إلا الله. لا يزال يكرر لا إله إلا الله بهذا المعنيَ حتى يضمحل جميع ظلمات الكائنات في نظر شهوده، ويظهر نور التوحيد.

ثم إذا برق بارق من سحاب الكرم، ولمع لامع من ضياء شمس الغيب، يتوجه سره للمشاهدة من غير تحديق النظر إليه بل يطرق اجلالا وتعظيما ونعم ما قال بعض المشاهدين [مجزوء الكامل]:

أشـــتاقه فـــإذا بـــدا أطرقـــت مـــن إجلالـــه
لا خيفـــة بـــل هيبـــة وصـــيانة لجمالـــه

فذكره في هذا الوقت المشاهدة. ثم إذا ذكر كثيرا، وحصل له الكلال، يترك الذكر ويراقب المذكور بأن يلاحظ أول نظره تعالى إليه من جميع جوانب ذرات وجوده، ويجعل ذاته محاطا بنظره تعالى، فإنه في الجهة، والله سبحانه وتعالى منزه عن الجهة فلا يمكن له أن يتوجه إلى جهة ما.

وإذا لاحظ نظره إليه من جميع جوانبه يصغر وجوده، وكلما يصغر وجوده تتبعه ذلك النظر وهو يفر إلى جواه حتى لا يبقي مقر. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾. ثم إذا تحركت الخواطر وأحاديث النفس يدعو بالدعاء المشهور عند الفقراء وهو:

(اللهم ألهمنا رشدنا، وصحح إليك قصدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا/،

(١) في الأصل: (هذه) ولعل الصواب هو ما أثبتناه
(٢) هذا الإعراب وإن كان بعيدا هو الذي ملنا إليه حتى نثبت خبر (أن) ويستقيم المعنى.

Scanned by CamScanner

ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، وأحسن متقلبنا إليك ومردنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك. أعذنا بعفوك من عقابك، وبرضائك من سخطك، وبك منك لا نحصي ثناءا عليك، أنت كما أثنيت على نفسك لا إله إلا أنت. اللهم أجرنا من ملوك[1] اللهم إنا نسألك نصرا عزيزا، وصفحا جميلا، وفتحا مبينا. اللهم اهدنا بك إليك، واجمعنا بك عليك، وثبتنا عند وجودك، وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأستاذينا ولإخواننا ولأصحاب الحقوق علينا ولمن وصانا بالدعاء ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. وصل بجلالك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

٧٤. حتى إذا الشَّمْسُ بَدَت كرُمَيحِنا ... صَلِّي لإشْراقٍ وقُرآناً تَلَى

٧٥. حِزْباً فأكْثِرْ باتِّعاظٍ مع أَدَب ... وحُضُورُ قَلْبٍ خَاشِعاً ومُرَتِّلا

صلاة الإشراق وقراءة القرآن

ولا يزال مشتغلا بما ذكرناه (حتى إذا الشَّمْسُ بَدَت كرُمَيحِنا)، أي قدر رمح أو أقل أو أكثر وذلك وقت زوال كراهة الصلاة، (صَلِّي) ركعتين (لإشْراقٍ) يقرأ في الأولي بعد الفاتحة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وفي الثانية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]. ثم ذكره الله تعالى

(١) كذا في الأصل.. ولعل هناك سقط كأن يقال: (ملوك الدنيا) أو (شر الملوك) أو ما شابه ذلك.

(٢) واختلفوا هل صلاة الإشراق هي صلاة الضحى أو غيرها. ذهب بعضهم إلى الأول وبعضهم إلى الثاني وعليه جرى الناظم لأنه ذكر هنا صلاة الإشراق وسيذكر صلاة الضحى (ك).

Scanned by CamScanner

مرات ودعا (وقُرآناً تَلَا)[1] بعد الفراغ من ذلك (حِزْباً فأكْثَرَ باتِّعاظٍ) وتدبر للمعني. فإن المقصود من القراءة التدبر، ولا يحصل الاتعاظ بدونه، وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بالترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام. (مع أَدَب) بأن يكون جالسا على وضوء، مستقبل/ القبلة، مطرقا رأسه، غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر، (و) مع (حُضُورُ قَلْبٍ)، تاركا لحديث النفس، (خَاشِعاً) كأنه يقرأ على الله وهو ناظر إليه وهو مستمع منه، وكأن الله يتكلم معه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه، (ومُرَتِّلا)[2] للقرآن لأن الترتيل معين على التفكر والتدبر - وهو تبين الحروف وفصل كل كلمة عن أختها، وهو مستحق حتى للعجمي الذي لا يفهم معناه لأن ذلك أقرب إلى التوقير وأشد تأثيرا في القلب -.

ومن قرأ القرآن مراعيا لهذه الآداب انشرح به صدره، واستنار قلبه، وحصلت به الخشية والخوف. قال الحسن[3]: (والله ما أصبح اليوم عبد يتلو

---

(١) إعراب البيت: (حتى) تفريعية كما علمت، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، و(شمس) فاعل لفعل محذوف يفسر المذكور، وجملة (بدت) مفسرة لا محل لها، (كرميحنا) متعلق بمحذوف أي بدت الشمس وارتفعت كرمح أي قدر رمح ورميح تصغير رمح، و(صلي) جواب (إذا) وهو فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على مريد الآخرة، و(لإشراق) متعلق بـ(صلى)، و(قرآنا) مفعول مقدم لـ(تلا)، و(تلا) فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على مريد الآخرة. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (حزبا) بدل من (قرآنا) في البيت السابق بدل بعض من كل، والضمير الذي يشتمل عليه بدل البعض مقدر أي منه، (فأكثر) الفاء عاطفة، و(أكثر) معطوف على (حزبا)، (باتعاظ) متعلق بمحذوف حال من فاعل (تلا) أي تلا حال كونه مصاحبا للاتعاظ، و(مع أدب) متعلق بمحذوف حال ثانية من فاعل (تلا)، و(حضور قلب) معطوف على (أدب)، و(خاشعا) حال ثالثة من فاعل (تلا) أيضا، و(مرتلا) معطوف عليه. [من (ك) بتصرف]

(٣) سبقت ترجمته.

Scanned by CamScanner

القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه، وكثر بكاؤه وقل ضحكه، وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته). ولذا كان قراءة القرآن دواء القلب.

٧٦. وَدَوَاءُ قَلْبٍ خَمْسَةٌ فَتِلاوَةٌ بِتَدَبُّرِ المَعْنَي ولِلبَطْنِ الخَلا

٧٧. وقِيَامُ لَيْلٍ والتَضَرُّعُ بالسَحَر ومُجَالَسَاتُ الصَالِحِينَ الفُضَّلا

أدوية خمسة للقلب

وصرح شيخي رَحِمَهُ اللَّهُ بذلك وسائر أدوية القلب حيث قال: (وَدَوَاءُ قَلْبٍ خَمْسَةٌ فَتِلاوَةٌ)، أي ذا القرآن، (بِتَدَبُّرِ المَعْنَي) فإن به يحصل فوائد التلاوة. ومن فهم ما يليق بالآيات كانكشاف أسرار أسماء الله تعالى عند قراءة أسمائه، وكَفَهْم صفات الله وجلاله عند ذكر خلق السماوات والأرض حتى يشهد في الفعل[1] الفاعل، وكإشعار[2] الخوف من سطوة الله ونعمته عند قراءة أحوال المكذبين، كتقدير أنه المقصود بكل خطاب/ يرد في القرآن، ونحو ذلك[3].

(ولِلبَطْنِ الخَلا)[4] ـ بالقصر ـ فإن فيه راحة القلب وسلامته من الطغيان، البدن للعبادات، ودفع الأمراض، وفي الشبع أضداها.

---

(١) في الأصل تكرار كلمة (في الفعل) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: (وكان شعار) الخ ولعل الصواب هو ما أثبتناه حتى يستقيم المعنى ويتوافق مع ما قبله من المعطوف عليه.

(٣) وإنما كان قيام الليل من الأدوية أيضا لأنه مذهب كيد الشيطان وناه عن الإثم ودافع الداء عن الجسد ومرضى الرب ودأب الصالحين.

(٤) إعراب البيت: (ودواء) مبتدأ مضاف إلى (قلب)، وخبره (خمسة)، (فتلاوة) الفاء زائدة للضرورة، و(تلاوة) بدل من (خمسة)، أو خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها تلاوة، (بتدبر) الباء بمعنى مع متعلقة بمحذوف صفة لـ(تلاوة) أي تلاوة كائنة مع تدبر المعنى، و(للبطن) الواو عاطفة، (للبطن) متعلق بـ(الخلا) وهو معطوف على (تلاوة) أي والخلا للبطن. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

(وقِيَامُ لَيْلٍ) فإنه دأب الصالحين، ومرضى الرب، ومذهب كيد الشيطان، وناه عن الإثم.

(والتَضَرُّعُ) أي التضرع إلى الله (بالسَحَر)، أي فيه، إذ هو وقت مناجاة الله، والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة، والعبادة أشق والرُّوعُ[1] أجمع.

(ومُجَالَسَاتُ الصَالِحِينَ)، وهم القائمون بحقوق الله وحقوق المخلوقين، (الفُضَّلا)[2]؛ فإن مجالستهم تورث الاقتداء بهم في أفعالهم وتدعو إلى أن لا يرضي بنفسه أن تقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم[3].

٧٨. ولِقَـــارِئٍ ولحـــافِظٍ يَتَخَلَّـــقُ بِمَحَاسِنِ الشِيَمِ الرَضِيَّةِ مُكْمِلا

٧٩. كَزَهَـادَةِ الدُنيـا كـذا تَـرْكُ مُبـا لاةٍ بـــه وبأهْلِهـــا مُـــتَقَلِّلا

٨٠. وكَذَا السَخَا والجُودُ ثـمَّ مَـكَارِمُ الـ ـــأخْلاقِ ثُـمَّ طَلاقَـةٌ لا خـاتِلا

---

(١) قال في القاموس: والرُّوعُ، بالضم: القَلْبُ، أو مَوْضِعُ الفَزَعِ منه، أو سَوادُه، والذِّهنُ، والعَقْلُ

(٢) إعراب البيت: (قيام) معطوف على (تلاوة) في البيت السابق، وهو مضاف لـ(ليل)، وكذا قوله و(التضرع)، و(بالسحر) متعلق بـ(التضرع)، و(مجالسات) معطوف على (تلاوة) أيضاً وهو مضاف لـ(الصالحين)، و(الفضلا) بضم الفاء وتشديد الضاد المفتوحة صفة لـ(الصالحين) وصفة المجرور مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. [من (ك) بتصرف]

(٣) وقد نظم هذه الخمسة بعضهم في قول [البسيط]:

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر

خلاء بطن، وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر

كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم سادسا وهو أكل الحلال. قال: وهو رأسها. وقد قيل إذا صمت فانظر على طعام من تفطر فإن الرجل ليأكل الأكلة فتشعل قلبه كالسم فلا ينتقع أبدا.

Scanned by CamScanner

٨١- والحِلْمُ ثُمَّ الصَبرُ ثُمَّ تَنَزُّهٌ ... عَمَّا دَنَا مِن مَكْسبٍ مُتَجمِّلا

٨٢- ومُلازَماتٌ لِلسَكينَةِ والوَرَع ... وخُشُوعِهِ وتَوَاضُعٍ مُتَكَمِّلا

٨٣- ولِقَصِّ شارِبِه وتَسْرِيحِ اللِّحى ... وإزَالةِ ظفراً وإبطاً فافْعَلا

٨٤- وإزالةِ الرِيحِ الكَرِيهةِ والوَسَخ ... ومَلابِسٍ مَكْروهَةٍ فَتَكَمَّلا

٨٥- وكَذَا اجْتِنَاباً لِلمَضَاحِكِ لازِمن ... وكَذاكَ إكْثَاراً مِزَاحاً زَيِّلا

من آداب حملة القرآن: الزهد

ولما ذكر قراءة القرآن ناسب أن يذكر بعض آداب قارئه فيتصف بها فقال: (ولِقَارِئٍ)، أي القرآن، (ولحافظِ)[1] له (يَتَخَلَّقُ)، أي ينبغي له أن يتخلق، (بِمَحَاسِنِ الشِيَمِ[2])، أي الأخلاق، (الرَضِيَّةِ) التي أرشدنا الله إليها (مُكْمِلا)[3] لها.

(كَزَهَادَةِ الدُنيا) أي كزهادته في الدنيا و(كذا تَرْكٌ مُبالاةٍ بها)، أي في الدنيا، (وبأهْلِها مُتَقَلِّلا)[4] من الدنيا. .....

(١) في بعض النسخ: (ومحافظ) وعليه يكون المعنى ومحافظ عليه أي مداوم ومواظب اهـ السيد البكري

(٢) جمع شيمة بمعنى الطبيعة

(٣) إعراب البيت: (ولقارئ) الواو بحسب ماقبلها، واللام لام الابتداء، (قارئ) مبتدأ، و(لحافظ) معطوف عليه عطف خاص على عام، و(يتخلق) فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر يعود على المذكور من القارئ والحافظ، والجملة خبره، و(بمحاسن) متعلق بالفعل وهو جمع حسن غير مقيس، وهو مضاف لما بعده من إضافة الصفة للموصوف أي الشيم المحاسن. و(الرضية) صفة أيضا لـ(الشيم) صفة لازمه باعتبار وصفها بالمحاسن إذ يلزم من كونها محاسن ان تكون رضية أي مرضية، و(مكملا) حال من فاعل يتخلق، ومتعلقه محذوف أي تخلق بالمحاسن حال كونه مكمِّلا لها. [من (ك) بتصرف]

(٤) إعراب البيت: (كزهادة) خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك كائن كزهادة الدنيا، و(كذا) متعلق بما بعده، و(ترك) مبتدأ، خبره الجار والمجرور قبله، (مبالاة) منصوب على المفعولية،=

Scanned by CamScanner

قال الفضيل بن عياض[1]: (فينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى الخلفاء فمن دونهم)

من آداب حملة القرآن: الجود والطلاقة

(وكَذَا السَخَا والجُودُ)؛ فإنهما من أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وأسباب النجاة، وما جبل ولي الله تعالى إلا على السخا. والفرق بينهما أن السخا صفة الغريزة[2] فلا يتطرق إليه/ الرياء، وفي مقابله الشح وهو من لوازم صفة النفس، والجود يأتي به الإنسان متطلعا إلى عوض إما من الخلق كثناء وغيره أو من الحق كثواب. ولذا يتطرق إليه الرياء، وفي مقابله البخل[3]. **(ثمَّ مَكَارِمُ الأخْلاقِ)** أي الأخلاق الكريمة كصدق الحديث، وصدق الناس، وألا يشبع وجاره وصاحبه جائعان، والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانات، وصلة الرحم، والحياء، ونحوها. **(ثُمَّ طَلاقَةٌ)** أي طلاقته، وهي إشراقه واستبشاره من غير خروج إلى حد الخلاعة[4]، **(لا خاتِلا)**[5]،.....

= و(بها) متعلق به، و(بأهلها) معطوف على (بها)، و(متقللا) حال ومتعلقه محذوف اي من الدنيا واهلها. [من (ك) بتصرف].

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في الأصل (صفة العزيزة) ولعل الصواب ما أثبتناه

(٣) هذا حاصل ما في العوارف. والذي في القشيري أن الجود أعلى رتبة من السخاء. ونصه: السخاء عند القوم هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الإيثار. فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره على نفسه فهو صاحب إيثار. (ك).

(٤) في الأصل كلمة تشبه (الخلات) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٥) إعراب البيت: (وكذا) الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(السخا) مبتدأ مؤخر والجود معطوف عليه، (ثم مكارم) معطوف على (السخاء) من عطف العام على بعض افراده، و(الأخلاق) مضاف إليه، (ثم طلاقة) معطوف على (مكارم) من عطف الخاص على العام، (لا خاتلا) (لا) نافية، و(خاتلا) خبر لـ(يكون) مقدرة أي ولا يكون خاتلا. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

أي خادعا[1] بأن يظهر خلاف المبطن.

من آداب حملة القرآن الحلم والصبر والترفع عن الأعمال الدنية

(والحِلْمُ)، وهو ترك العجلة، (ثُمَّ الصَبرُ)، وهو حبس النفس عند الخروج، (ثُمَّ تَنَزُّهٌ عَمَّا دَنَا مِن مَكْسبٍ)، كحجامة وكناسة، (مُتَجمِّلا)[2] عنه بترك إن كان مكتسبا. (ومُلازَماتٌ لِلسَكينَةِ)، أي الطمأنينة والوفاء، (والوَرَع)، وهو ترك الشبهات، (وخُشُوعِهِ)، وهو التطامن وتطنطئ الرأس، (وتَواضُعٍ)، وهو ترك التذلل لأهل الديانة من العلماء والعاملين والفقراء الصالحين، (مُتَكَمِّلا)[3] بهذه الأشياء.

من آداب حملة القرآن السكينة والورع والخشوع والتواضع

من آداب حملة القرآن: النظافة وسنن الفطرة

(و) ملازمة (لِقَصِّ شارِبِه) إذا احتاج إليه بأن طال (وتَسْرِيحِ اللِّحَي) - جمع لحية - (و) ملازمة (إزَالةِ ظفراً وإبطاً)، أي وشعر الإبط وكذا غيره من الشعور التي ورد الشرع بإزالتها، (فافْعَلا)[4] هذه الأشياء موافقة للسنة.

---

(١) في الأصل كلمة تشبه (خاذيا) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (الحلم) معطوف على (طلاقة) في البيت السابق، (ثم الصبر) معطوف على (الحلم) أو على (طلاقة)، (ثم تنزه) معطوف على (الصبر)، (عمّا دنا) (عن) جارة و(ما) موصولة و(دنا (فعل ماض وأصله دنأ بالهمزة لأنه من الدناءة بمعنى الخسة والنقيصة قلبت الهمزة ألفا لأجل الوزن، وفاعله ضمير مستتر يعود على (ما) والجملة صلته، و(من مكسب) بيان لـ(ما) فهو متعلق بمحذوف حال منها، و(متجملا) حال من فاعل (تنزل) المحذوف أي تنزهه عما دنا حال كونه متجملا. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (وملازمات) بفتح الزاي جمع ملازمة معطوف على (تنزه)، و(للسكينة) متعلق بـ(ملازمات)، و(الورع) معطوف على (السكينة) وهو بسكون العين للضرورة، و(خشوعه) بالجر معطوف على السكينة أيضا و(تواضع) معطوف أيضا عليه، و(متكملا) حال من فاعل المصدر المحذوف أي ملازماته حال كونه متكملا بهذه الاشياء. [من (ك) بتصرف]

(٤) إعراب البيت: (ولقص) الواو عاطفة، و(لقص) معطوف على (للسكينة)، و(تسريح) معطوف على (السكينة) وهو مضاف لـ(الحى)، و(إزالة) يقرأ بالتنوين مع الجر لأنه=

Scanned by CamScanner

(و) ملازمة (إزالةِ الرِيحِ الكَرِيهةِ والوَسَخ) عن جسده ولباسه (و) ملازمة/ إزالة (مَلابِسٍ مَكْروهَةٍ) كالحرير والثوب المصبوغ بالعصفر والزعفران والورس وكخاتم الذهب (فَتَكَمَّلا)[1] بإزالتها. ويلبس ما يختار من الثوب الأبيض والصوف سنة الأنبياء وهواية التواضع.

(وكَذَا اجْتِنَاباً للمَضَاحِكِ لازِمن)، أي لازم اجتناب الضحك مثل ملازمتك لهذه الأشياء والمذكور، (وكَذاكَ إكْثَارَاً مِزَاحاً زَيِّلا)[2]، أي فرق.

= معطوف على السكينة أيضا أو على قص، و(ظفرا) مفعوله، و(إبطا) معطوف على (ظفرا) وهو على حذف مضاف أي شعر إبط، (فافعلا) الفاء فاء الفصيحة، و(افعلا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (إزالة) معطوف على (سكينة) أو على (قص) وهو مضاف لـ(الريح)، و(الكريهة) صفتها، و(الوسخ) معطوف على (الريح)، و(ملابس) يقرأ بالصرف للضرورة وهو معطوف على (الريح) أيضا، و(مكروهة) بالجر صفة لـ(ملابس)، (فتكملا) الفاء للتفريع، و(تكملا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا ومتعلقه محذوف أي بإزالتها. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (وكذا) الواو للاستئناف، والجار والمجرور صفة لمصدر (لازمن) محذوف، و(اجتنابا) مفعول مقدم لـ(لازمن)، و(للمضاحك) متعلق بـ(اجتنابا) وهو جمع مضحك مصدر ميمي بمعنى الحدث وهو الضحك ويحتمل ان يكون بمعنى المكان والمعنى لازم اجتناب الاماكن التي ينشأ منها الضحك، و(لازمن) فعل أمر، والفاعل أنت، و(كذاك) الجار والمجرور أيضا صفة لمصدر (لازمن) المقدر بعده، و(إكثارا) منصوب بإسقاط الخافض متعلق باجتنابا مقدر، و(مزاحا) مفعول (إكثارا) لأنه مصدر يعمل عمل الفعل، و(زيلا) فعل أمر مبني على سكون مقدر لأجل الفتحة التي أتي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله مستتر، والجملة معطوفة على جملة (لازمن) المقدرة والتقدير ولازمن اجتناب إكثار المزاح ملازمة مثل ملازمتك لاجتناب الضحك وزيلن بينه وبين غيره. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

٨٦- وليَحْـذَرَنْ عُجْبَـاً ريـاءاً والحَسَـد والإِحْتِقَـارَ لِغَـيْرِهِ بِـالإِغْتِلَا

التحذير من العجب

(وليَحْذَرَنْ)[١] كل الحذر (عُجْبَاً)، وهو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان نسبتها إلى المنعم تعالى. وهو من مقدمات الكبر. وإنما يكون العجب بوصف هو كمال. والعالم بكماله إن كان خائفا من زواله فليس بمعجب بل هو معترف بفضل الله. ومن كان فرحا به من حيث أنه صفته لا من حيث أنه عطية من الله كان معجبا. فمهما غلب على ظنه أنه إن شاء سلبه.. زال العجب.

سبب العجب وعلاجه

وإنما سببه فهو إفراط الجهل.

وعلاجه المعرفة المضادة له بأن يعلم أن ما يعجب به من عبادة أو جمال إن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه فهو جهل؛ لأن المحل مسخر، لا مدخل له في الإيجاد، فكيف يعجب[٢] بما ليس إليه؟ وإن كان يعجب به من حيث أنه باختياره وقدرته فينبغي أن يؤمل في قدرته وإرادته وأعضائه أنها خزائن كانت له. فإن كانت نعمة من الله من غير حق سبق له ولا وسيلة فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه/ إذ أفاض عليه ما لا يستحقه. كما إذا برز الملك لغلمانه ونظر إليهم فخلع على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لحال ولا خدمة. [فينبغي أن يعجب المنعم عليه من فضل الله][٣] وأشار له من غير استحقاق فما سبب إعجابه بنفسه؟ فإن قال إنما آثرني بالخلعة لما تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة، فيقال له: وتلك أيضا من خلع الملك وعطيته،

---

(١) وإنما فصل هذه الجملة عما قبلها إيذانا بشدة الاعتناء بها فإنها ذنوب مهلكات وهي أمهات خبائث القلب.

(٢) في الأصل (تعجب) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) هذه الجملة وردت هكذا في الأصل. ولعل الأوفق أن تحذف ليستقيم ما قبلها وما بعدها من الكلام.

Scanned by CamScanner

فينبغي أن يعجبك جوده وفضله. (رياءاً) قد مر

التحذير من الحسد

(والحَسَد)، وهو تمني زوال نعم الله عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح سواء كانت النعمة دنيا [أو أخرى][1]. فإن كان للفاجر نعمة يتوصل بها إلى الفساد فيتمني زوالها عنه فمباح إن كان في الدنيا، ومندوب إذا كان في الدين كتشهي العلم، وواجب إن كانت النعمة الدينية[2] واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، ويسمَّى غِبطَةَ النِعَم. فإما ينفك صاحب هذه الحالة عن الميل إلى زوال نعمة الأخ فليحترز منه أسباب الحسد العداوة؛ فإن من آذاه انسان، غضب عليه، تولد منه الحقد المقتضي للانتقام. فإن عجز عنه بنفسه أحب أن يتشفى منه بتغير الزمان، وثقل ترفع غيره عليه بالنعمة وحب الرياسة لنفسه من غير توصل به إلى مقصوده كإرادة كونه عديم النظير في نظره لغلبة حب الدنيا عليه بانفراده فيه. فإنه لو سمع بنظير له في أقصي العالم، ساءه ذلك وأحب موته أو زوال/ النعمة التي بها يشاركه في المنزلة كشجاعة وعلم وخوف فوق المقاصد.

وذلك يختص [...][3] أجمعين على مقصود واحد كتزاحم الضرات على مقاصد الزوجية، والتلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه. وشح نفسه النفس بالخير على عباد الله فإنك تجد من لا يشتغل من مناسبة ولا تكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال[4] عبد من عباد الله فيما أنعم عليه [أحزنه][5] ذلك.

---

(١) ما بين المعقوفتين من زيادتي وإنما وضعته ليستقيم المعنى).

(٢) في الأصل: (الدنية) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) في الأصل كلمة غير واضحة تشبه (بمتن) ولعل المقصود: (بوجود متنافسين أجمعين على مقصود واحد).

(٤) الكلمة في الأصل غير واضحة. وهي تشبه (عال). ولعل ما أثبتناه هو الأوفق.

(٥) ما بين المعقوفتين من زيادتي وضعته ليستقيم المعنى.

Scanned by CamScanner

وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم فرح بذلك. فهو أبدا يبخل بنعم الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه. وليس ذلك إلا من حيث خبث في النفس عليه وقعت الجبلة.

علاج الحسد

وعلاج الحسد معرفة أن الكل بتقدير الله وتذكر مضاره عليك في الدين بسخطك لقضاء الله وكرهك لنعمته التي قسمها الله لعباده ومشاركة إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا، وفي الدنيا بتألمك الدائم وغمك بكل نعمة تراها عليهم، وبكل بلية تصرف عنهم إذ أعداؤك لا يخليهم الله عن نعم بفيضها عليهم ولا تزال تحسدك، والاتيان بالأحوال المضادة لمقتضيات الحسد بأن تمدحه وتتواضع له وبقطع أسباب العداوة حتى يصير المحسود محبوبا محبا لك.

التحذير من احتقار غيره والاستعلاء عليه

(والاِحْتِقَارَ لِغَيْرِهِ) وإن كان/ دونه (بِالاِعْتِلَا)[1] عليه. فإن احتقار المسلم حرام لأن من المسلمين فضلا[2]، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. فتحقيره ينافي أحواله، وينشأ منه قطع وَصْلَة الأخوة التي أمر الله بها أن توصل. فهو من المهلكات. وسببه الإعجاب والتكبر.

ومن احتقار المسلم أن لا يسلم عليه إذا مر به، ولا يرد عليه إذا بدأه هو

---

(١) إعراب البيت: (وليحذرن) اللام لام الأمر، و(يحذرن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة في محل جر، والفاعل يعود على كل من القارئ والحافظ، (عجبا) مفعوله، و(رياء) معطوف عليه بحذف حرف العطف، و(الحسد) معطوف عليه أيضا، و(الاحتقار) معطوف عليه أيضا، (لغيره) متعلق بـ(الاحتقار)، و(بالاعتلا) الباء بمعنى من متعلقة بمحذوف حال من (الاحتقار) أو صفة له أي حال كونه ناشئا او الناشئ من الاعتلاء أي على الغير ويصح جعلها سببية متعلقة بمحذوف حال أو صفة أي حال كونه حاصلا بسبب الاعتلاء أو الحاصل بسبب الاعتلاء. [من (ك) بتصرف].

(٢) هكذا في الأصل والمعنى غير مستقيم. ولعل هناك سقط في العبارة.

Scanned by CamScanner

به، وأن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يعيذه من النار. فالكبر من أردئ خصال البشر وهو احتقار غيره مع استعظام نفسه لرؤية مرتبته.

والفرق بينه وبين العجب أن العجب لا يستدعي غير المعجب. لو لم يخلق إلا هو لتصور أن يكون معجبا. والكبر لا يتصور إلا إن كان معه غيره وهو يري نفسه فوق ذلك العبد في صفات الكمال.

وآفة الكبر عظيمة، وبه يهلك أكثر الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس. وكيف لا يعظم فتنة وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يدخل الجنة)؛ لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين من التواضع، والحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وترك الحسد والغضب، والازدراء بالناس، وكظم الغيظ، ونحو ذلك. فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه. وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من فوت عزه.

واعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه بكمال ديني وهو العلم والعمل أو دنيوي وهو النسب والجمال والمال/ والقوة والأتباع. وموجب الكبر العجب فإنه إذا أعجب بنفسه أو علمه أو شيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر.

علاج الكبر أن يعرف ربه ونفسه. فإنه إذا عرف ربه علم أنه لا يليق الكبرياء إلا به. وإذا عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأنه لا يليق به إلا التواضع؛ فإنه كان في حيز العدم ثم خلقه الله من أذل الأشياء، ثم من آقذارها إذ خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعلها عظما، ثم كسي العظم لحما، وأنعم عليه بالحياة والحواس والقوة والعلم، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب، وأسعده[1]، وكساه، وهداه أن

(١) في الأصل كلمة غير واضحة تشبه (وأسعبه) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

يتواضع لله عز وجل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المؤمنين وليواظب على [ما][1] تقتضيه حتى يصير التواضع له خلقا.

٨٧. واسْتَعْمِلِ المَأْثُورَ مِن ذِكْرِ دُعَاء ... وكَذَاكَ تَسْبِيحٌ وتَهْلِيلٌ جَلا

٨٨. ويُرَاقِبُ المَوْلَي بِسِرٍ والعَلَن ... وعلى الإلَهِ بِكُلِ أمْرٍ عَوِّلا

٨٩. ذا بَعْضُ آدَابٍ لِقَاري واطْلُبَنْ ... بَاقٍ من «التِبْيانِ» وانْحَ مُكَمَّلا

من آداب حملة القرآن: الالتزام بالذكر المأثور ومراقبة الله في السر والعلن

(واسْتَعْمِلِ)، أي كل من القارئ والحافظ، (المَأْثُورَ) عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مِن ذِكْرِ دُعَاء وكَذَاكَ تَسْبِيحٌ وتَهْلِيلٌ جَلا)[2]، أي ظهر. فينبغي استعمال الوارد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(ويُرَاقِبُ المَوْلَي) سبحانه (بِسِرٍ والعَلَن)، أي في سره وعلانيته[3] لأن بذلك ينفتح عليه أنوار المعارف، وينشرح صدره، وتتفجر من قلبه ينابيع الحكمة واللطائف. (وعلى الإلَهِ بِكُلِ أمْرٍ)، أي في كل أمر/، (عَوِّلا)[4]، أي اعتمد.

---

(١) ما بين المعقوفتين من زيادتي.

(٢) إعراب البيت: (واستعمل) فعل أمر، وفاعله ضمير المخاطب، أو فعل ماض، وفاعله يعود على كل من القارئ والحافظ، و(المأثور) مفعوله، (من ذكر) متعلق بمحذوف حال من المأثور، و(دعاء) معطوف على (ذكر) بحذف العاطف، و(كذاك) الواو عاطفة، والجار والمجرور خبر مقدم، و(تسبيح) مبتدأ مؤخر، و(تهليل) معطوف على (تسبيح)، و(جلا) فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف، والجملة صفة لكل من التسبيح والتهليل. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل (في سره وعلي نيته) ولعله سهو من النساخ ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) إعراب البيت: (يراقب) فعل مضارع، وفاعله يعود على كل من القارئ والحافظ، و(المولى) مفعوله، و(بسر) متعلق بـ(يراقب)، و(العلن) معطوف على (سر)، و(على الإله) متعلق بـ(عولا)، و(بكل أمر) متعلق به أيضا، و(عولا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا أي وعولن على الإله=

Scanned by CamScanner

طلب باقي آداب حملة القرآن من كتاب (التبيان) للإمام النووي

(ذا)، أي ما تقدم ذكره من الآداب، (بَعْضُ آدَابٍ لِقاري)، أي ولحافظ، (واطْلُبَنْ بَاقِ)، أي باقي الآداب، (من) كتاب («التِبْيانِ») في آداب القرآن للشيخ محيي الدين النووي رَحِمَهُ اللَّهُ، (وانْحَ)، أي اقصد واطلب مرشدا، (مُكَمَّلا)[1]. ليكملك بهذه الآداب المذكورة وغيرها حتى تصير متحليا بها، فتكون سعيدا فائزا بطلباتك الدنيوية والأخروية.

٩٠. ثُمَّ الضحى صَلِّ ولا تَدَعِ الفِكَرْ بِهُجُومِ مَوتٍ والتَحَسُّرِ والبِلا

٩١. عَمَلٌ بِلا ذِكْرِ المَنِيَّةِ لا أثَرْ وبِذِكْرِها حَقًّا كَضَرْبٍ مَعَاوِلا

(ثُمَّ الضحى صَلِّ)، أي بعد الفراغ من قراءة القرآن بالآداب المذكورة صلِّ الضحى ركعتين، أو أربعا وهي أدني الكمال، أو ستا، أو ثمانيا، وهي أكثرها عند الجمهور وأفضل. قال جماعة: أكثرها ثنتا عشرة. ووقتها بعد ارتفاع الشمس والاستواء، وأفضل أوقاتها إذا مضي ربع النهار ولئلا يخلو كل ربع من النهار عن العبادة.

الحث على تذكر الموت وذكر عظيم أثره على القلب

ولما كان في ذكر الموت الخوف والهيبة وحضور القلب، صرح بالنهي عن ترك ذكره والتفكر فيه فقال: (ولا تَدَعِ) عند (الفِكَرِ بِهُجُومِ مَوتٍ) قاطع

= الحق في كل أمر، ويصح جعله فعلا ماضيا، وفاعله ضمير يعود على كل من القارئ والحافظ. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (ذا) اسم اشاره مبتدأ، و(بعض) خبر وهو مضاف لـ(آداب)، و(لقار) متعلق بمحذوف صفة لـ(آداب) أي آداب كائنة لقارئ، و(اطلبن) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، و(باق) مفعوله وهو جار على لغة من يستعمل المنقوص نصبا كاستعماله رفعا من باب: (ولو أن واش باليمامة داره)، (من التبيان) متعلق بـ(اطلبن)، و(انح) فعل أمر مجرور بحذف الواو، والفاعل مستتر تقدير أنت، ومفعوله محذوف، و(مكملا) حال أي انح كتاب التبيان حال كونك مكملا أو مكملا مفعوله والمراد به الشيخ المرشد. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

(و) طول (التَحَسُّرِ) بطول الاغترار في الدنيا (و) طول (البِلا)[1] في القبر فإن مَن الموت مصرعة، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، والقيامة موعده، والجنة والنار مورده، لجدير بأن لا يكون له فكر إلا في الموت، ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله. وبأن يَعُدّ نفسه من الموت[2] فيراها في أصحاب/ القبور. فإن كلما[3] هو آت قريب، وأبعد ما ليس بآت.

ولكون التفكر في الموت وذكره مما يعين على الإقلاع عن المعاصي والتوجه إلى الله قال: (عَمَلٌ بِلا ذِكْرِ المَنيَّةِ)، أي الموت، (لا أثَر) له فلا يأتي فيه التعظيم والهيبة وحضور القلب ولا تنحاز عن المعاصي، (و) عمل (بِذِكْرِها) أي المنية (حَقًّا كَضَرْبِ مَعَاوِلا)[4]، أي كالضرب بالمعاول في

---

(١) إعراب البيت: (ثم الضحى) (ثم) عاطفة وهي للترتيب، والضحى مفعول مقدم لـ(صل) وهو فعل أمر، وياؤه للإشباع، ويحتمل أن يكون فعلا ماضيا وعليه يكون في قوله بعد (ولا تدع) التفات من الغيبة إلى الخطاب، و(لا تدع) (لا) ناهية، (تدع) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وحرك بالكسر للتخلص من الساكنين، و(الفكر) بكسر ففتح جمع فكرة، و(بهجوم) الباء بمعنى في متعلق بالفكر وهو مضاف لـ(موت)، و(التحسر) معطوف على (هجوم)، و(البلى) بكسر الباء وبالقصر مصدر بلي يبلى من باب تعب معطوف أيضا على (هجوم). [من (ك) بتصرف].

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب (من الأموات).

(٣) كذا في الأصل ولعل الصوب (كل ما).

(٤) إعراب البيت: (عمل) مبتدأ والمسوغ للابتداء به وصفه بما بعده، (بلا ذكر) الباء جارة، و(لا) اسم بمعنى غير وهو مضاف، و(ذكر) مضاف إليه وهو مضاف لـ(المنية) والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ(عمل)، (لا أثر) (لا) نافية للجنس، و(أثر) اسمها، وخبر (لا) محذوف أي فيه، والجملة خبر المبتدأ، و(بذكرها) معطوف على (بلا) أي وعمل كائن بذكر المنية، و(حقا) حال من (ذكر)، و(كضرب) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ المقدر أي وعمل موصوف بذكرها كائن كضرب المعاول، (معاول) مضاف إليه مجرور بالفتحة وهو جمع معول وهو الفأس العظيمة. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

التأثير. فيحصل له الهيبة والحضور والرغبة إلى الطاعة والانتهاء عن المعصية. والمعاول جمع معول، وهو الفأس الذي يكسر به الحجر. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كفى بالموت واعظا)[1] وقد قال: (أكثروا ذكر هادم اللذات الموت)[2]. فإنه ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا كثره، أي كثير من الأمل وقليل من العمل. ولذا استحب اكثار ذكر الموت. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور فإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا)[3] وشكت المرأة إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فساد قلبها فقالت: (أكثري ذكر الموت يرق قلبك)، ففعلت، فرق قلبها، فجاءت/ تشكر عائشة.

الناس في حالهم مع ذكر الموت ثلاثة: منهمك وتائب وعارف

واعلم أن الناس ثلاثة أقسام: منهمك لا يذكر الموت وإن ذكره فإنما يذكره للتأسف على دنياه، وهذا يزيده ذكره بعدا من الله. وتائب يكثر ذكره لينبعث من قلبه الخوف فيتمم توبته، وربما يكره الموت ولقائه الله وإنما يخاف فوت لقائه لتقصيره. وعلامة صدق هذا أن يكون دائم الاشتغال بالاستعداد له وإلا لحق بالمنهمك. وعارف يذكر الموت دائما؛ لأنه موعد لقاء حبيبه، والمحب لا ينسى موعد اللقاء. وهذا غالبا يستبطئ مجيء الموت، ويحب مجيئه لينتقل إلى جوار رب العالمين. وهذا معذور في حب الموت.

---

(١) أخرجه الْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب من حَدِيث عَائِشَة وَفِيه الرّبيع بن بدر ضَعِيف وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ من حَدِيث عقبَة بن عَامر وَهُوَ مَعْرُوف من قَول الفضيل بن عِيَاض رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي الزّهْد.

(٢) سنن الترمذي، ٣٢ ـ كتاب الزهد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٤ ـ باب ما جاء في ذكر الموت، حديث ٢٤٧٧ ـ المكنز.

(٣) سنن الترمذي، ٣٢ ـ كتاب الزهد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٢٥ ـ باب ما جاء في قصر الأمل، حديث ٢٥٠٣ ـ المكنز.

Scanned by CamScanner

وأعلى منهما رتبة من فر من أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه. وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل ولو منهمكا فإنه يستفيد بذكره التجافي عن الدنيا. واعلم أن غفلة الناس عن الموت لقلة ذكرهم له، وذاكره إنما يذكره بقلب مشغول بشهوات الدنيا. فالطريق أن يفرغ قلبه عن كل شيء إلا ذكر الموت الذي هو بين يديه كالمسافر الذي يسافر إلى مفازة مخطَّرة[1] فإنه لا يتفكر إلا فيه. فإذا باشر ذكر الموت قلبه يوشك أن يؤثر فيه وحينئذ يقل فرحه بالدنيا وينكسر قلبه.

ثم اعلم أن سبب تمادي/ الإنسان على العزيز وعدم استعداده للموت مع تصديقه بالقرآن والموت اعتقاد تراخي الموت. واستعاذ محبوبه على التقريب. فإنه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت من ليله أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى. ومن أصبح وهو يأمل أنه يمسي، أو أمسي وهو يأمل أنه يصبح، لم يخل من التسويف، ولم يقدر إلا على شيء ضعيف. ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صل صلاة مودع). ومن غلب على ظنه في صلاته آخر صلاة، حضر معه خوفه من الله تعالى. ومن لم يخطر بخاطره قرب أجله غفل قلبه عن صلاته فلا يزال في غفلة دائمة وتسويف متتابع إلى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت. وفقنا الله أن يرينا الأشياء كما هي ويرزقنا اتباع الصالحين.

٩٢. ثُـمَّ اشْـتَغِل بـالعِلْمِ أو بِعِبَـادَةٍ أو بِالمَعِيشَـةِ واخْـتَرَنَّ الأَفْضَـلا

الاشتغال بعد صلاة الضحى بالعلم أو بالعبادة أو بالمعيشة

ثم أخذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعداد الأمور التي ينبغي الانشغال بها بعد صلاة

(١) كذا في الأصل ولعلها من مادة (خ ط ر)

Scanned by CamScanner

الضحى فقال: (ثُمَّ اشْتَغِل) بعد صلاة الضحى (بالعِلْمِ)، أي العلم النافع في الدين تعلما وتعليما. وهو العلم الذي يرغب الناس في الآخرة، و[يزيدهم][1] في الدين، ويعينهم في سلوك طريق الآخرة. فإن كنت ذكيا قابلا للاستخراج من الكتاب والسنة، فاشتغل بقدر المحتاج/ إليه من الاصطلاحات كاللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان لا الفضول والزوائد التي يفتخر بها على الأقران ويتقرب بها إلى السلطان نعوذ بالله من الخذلان والخسران.

(أو بِعِبَادَةٍ)[2] من صلاة وذكر وقراءة وتسبيح. ومنها ما يصل به خيرا من المسلمين وسترهم كخدمة الفقراء والصوفية وأهل الدين، والتردد في اشتغالهم، والسعي في إطعام الفقراء والمساكين وعيادة المرضي وتشييع الجنائز. وهذا أفضل كثيرا من النوافل؛ لأن فيه رفقا بالمسلمين.

(أو بِالمَعِيشَةِ)، أي بما تحتاج إليه في أمر المعيشة من الاكتساب لنفسك أو عيالك شرطَ سلامة دينك وسلامة المسلمين من لسانك ويدك فتكون بذلك من أصحاب اليمين السابقين.

(واخْتَرَنَّ) أو واختارن من هذه الأمور الثلاثة (الأَفْضَلا)[3] وهو الاشتغال بالعلم. فإن لم تقدر على تحصيل العلم لبلادتك فالأفضل الاشتغال بالعبادة؛ لأن ذلك من درجات العابدين ومسير الصالحين وتكون بذلك إن شاء الله من

---

(١) في الأصل كلمة تشبه (ومن هدهم) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) في الأصل محيت كلمة (أو بعبادة). وقد روجع البيت في طبعات كثيرة للقصيدة.

(٣) إعراب البيت: (ثم) حرف عطف، و(اشتغل) فعل أمر، (بالعلم) متعلق به، (أو بعبادة) معطوف على (بالعلم)، (أو بالمعيشة) معطوف أيضا عليه، و(اخترن) فعل أمر مبني على سكون مقدر للفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الثقيلة، وفاعله مستتر تقديره أنت، (الأفضل) مفعوله. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

الصالحين. وإياك أن تشتغل بما تهدم به دينك، أو تؤذي عبدا من عباد الله؛ فإنه رتبة الهالكين أعاذنا الله من ذلك.

ولما أمر باختيار الأفضل وهو العلم ناسب أن يذكر شيئا من فضائله/ [فضل العلم] ترغيبا فيه فصرَّح أولا بفضل العلم حيث قال:

٩٣. فلِعَـالِمٍ فَضْـلٌ على مَـن يَعبُـد ... فَضْلَ البُدُورِ على الكَوَاكِبِ في الجَلا

٩٤. إنَّ الإلَهَ وأهْـلَ كُلِّ سَـمَائِهِ ... والأَرْضِ حَتَّى الحُوتِ مَعْ نَمْلِ الفَلا

٩٥. كُلٌّ يُصَـلِّي يـا حَبِيـبُ على الذي ... قَـدْ عَلَّمَ الخَـيْرَ الأُنَـاسَ مُحَصَّـلا

٩٦. مَـنْ في طَرِيـقٍ للـتَعَلُّمِ يَسْـلُكُ ... فِـإلى الجِنَـانِ لهُ طَرِيـقٌ سُـهِّلا

٩٧. ومَلائِـكٌ تَضَـعُ الجَنَـاحَ لَهُ إذا ... يَسـعي رضـاً بِمَرَامِـهِ مُتَقَـبَّلا

٩٨. وتَعَلُّـمٌ للبَـابِ مِـنْ عِلْـمٍ لَهُ ... فَضْـلٌ على مائَـةِ الرَّكِيْعَـةِ نَـافِلا

(فلِعَالِمٍ فَضْلٌ على مَن يَعبُدُ)، أي على العابد، (فَضْلَ البُدُورِ[1] على) سائر (الكَوَاكِبِ في الجَلا)[2]، أي في الظهور. كما قال النبي ﷺ: «وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب». وذلك لأن العبادة كمال يلازم ذات العابد لا يتخطاه فشابه نور الكواكب، والعلم كمال

(١) والبدور جمع بدر، والبدر القمر ليلة كماله، وجمعه ـ مع أنه واحد ـ باعتبار أجزائه، فكأن كل جزء منه لكمال نوره يمسى بدرا. اهـ السيد البكري.

(٢) إعراب البيت: (فلعالم) الفاء بحسب ما قبلها، واللام حرف جر، وعالم مجرور بها، والجار والمجرور خبر مقدم، و(فضل) مبتدأ مؤخر، (على من) (على) حرف جر، و(من) موصولة، وجملة (يعبد) صلتها، والجار والمجرور متعلق بما تعلق به الخبر، (فضلَ) منصوب بإسقاط الخافض أي كفضل، و(البدور) مضاف إليه، (على الكواكب) متعلق بـ(فضل)، (في الجلا) متعلق أيضا بـ(فضل). [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

يوجب للعامل في نفسه شرفا وفضلا ويتعدى منه إلى غيره فيستضيء بنوره ويكمل بواسطته.

والمراد بالعالم[1] من غلب اشتغاله بالعلم على اشتغاله بالعمل لا الخالي عن العمل. وبالعابد من غلب اشتغاله بالعمل على اشتغاله بالعلم لا الخالي عنه. فإن العابد لا يخلو عن علم بما يتعلق بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة.

ولكون العالم جامعا للعبادة، جعل العلماء ورثة الأنبياء الذين تازوا بالعلم والعمل وأشار إلى شرف تعليم العلم بقوله: (إِنَّ الإِلَهَ وأَهْلَ كُلِّ سَمَائِهِ والأَرْضِ حتَّى الحُوتِ) في البحر (مَعْ نَمْلِ الفَلا)[2] في جحرها (كُلٌّ يُصَلِّي يا حَبِيبُ على الذي قَدْ عَلَّمَ الخَيْرَ الأُنَاسَ مُحَصِّلا)[3] لنفسه ولهم الخير.

---

(١) في الأصل (والمراد بالعلم من غلب اشتغاله) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (إن الإله) (إن) حرف توكيد ونصب، و(الإله) اسمها، و(أهل) معطوف على (الإله) وهو مضاف، و(كل) مضاف إليه وهو مضاف، و(سمائه) مضاف إليه، و(الأرض) معطوف على (كل) أي وأهل الأرض، (حتى الحوت) (حتى) عاطفة، و(الحوت) بالنصب معطوف على (أهل) المقدرة قبل (الأرض) وهي غاية ذكرت لاستيعاب جميع الحيوانات أي جميع الحيوانات عظيمها وحقيها حتى الحوت، (مع نمل الفلا) (مع) ظرف مبني على السكون متعلق بمحذوف حال من (الحوت) وهي مضاف، و(نمل) مضاف إليه، و(نمل) مضاف، و(الفلا) مضاف إليه وهو جمع فلاة مثل حصاة وحصى وهي الأرض التي لا ماء فيها. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (كل) مبتدأ وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كلهم، وجملة (يصلي) خبره، والمبتدأ وخبره خبر (إن) والرابط المضاف إليه المقدر، (يا حبيب) (يا) للنداء، و(حبيب) منادى منصوب فتحة مقدره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء المتكلم المحذوفة تخفيفا أو مبني على الضم اذ اقصد به معين، (على الذي) الجار والمجرور متعلق بـ(يصلي)، و(قد علم) الجملة صلة (الذي)، و(الخير) مفعول ثان له،=

Scanned by CamScanner

كما قال[1] النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»؛ وذلك لأن بركة علمهم وحكمهم واشارتهم وتقواهم سبب/ لرحمة العالمين.

أما تخصيص الحوت بالذكر، فللدلالة على أن إنزال المطر وحصول الخير والخصب ببركتهم حتى أن الحيتان التي لا تفتقر إلى الماء افتقار غيرها لكونها في جوف الماء تعيش أيضا ببركتهم. وأما تخصيص النمل بالذكر فللإشعار بأن صلاتها بحصول البركة النازلة من السماء، فإن دأب النملة القلة وادخار القوت في جحرها[2].

فأي منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السماوات والأرض بالصلاة عليه وهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالصلاة عليه؟

مرتبة التعلم وجلالة قدره

ونبه على مرتبة درجة التعلم وجلالة قدره بقوله: (مَنْ فِي طَرِيقِ لِلتَعَلُّمِ يَسْلُكُ)، أي يذهب، أي من يتعلق بسبب من أسباب[3] طلب العلوم كمفارقة الوطن، والضرب في البلدان، والإنفاق فيه، والتعلم والكدح فيه (فإلى الجِنَانِ لهُ طَرِيقٌ سُهِّلا)[4] بسبب ذلك السلوك فيصل به إلى الجنة. فذهابه في طلب

= و(الأناس) مفعول أول، و(محصلا) بكسر الصاد حال من فاعل (علم) مؤكدة، ومفعوله محذوف أي علمهم الخير حال كونه محصلا إياه لهم. [من (ك) بتصرف]

(١) في الأصل (كمال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) أثبتنا الجملة كما هي في الأصل وفيها غموض في المعنى. والله أعلم

(٣) في الأصل: (الأسباب) والصواب هو ما أثبتناه

(٤) إعراب البيت: (من) اسم موصول مبتدأ أو اسم شرط جازم، (في طريق) متعلق بـ(يسلك) وعدى بفي لأنه بمعنى (يذهب) قال في المختار: سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل اهـ، و(للتعلم) اللام تعليلية، متعلقة بـ(يسلك) أي من يذهب في طريق لأجل التعلم،=

Scanned by CamScanner

العلم سبب لوصوله إلى الجنة من غير تعب. إذ بالعلم يعرف طريق الدين وطريق الدين هو الموصل إلى الجنة. أو سبب سهولة طريق الجنة عليه يوم القيامة هو الصراط وما قبله وما بعده من الأهوال.

(ومَلائِكٌ تَضَعُ الجَنَاحَ لَهُ إذا يَسعي رضاً بِمَرَامِهِ) وهو السعي في طلب العلم (مُتَقَبَّلا)[1] عند الله وعندهم. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سلك/ طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة تضع أجنحتها رضي لطالب العلم». والمراد بوضع الملائكة الأجنحة كفها عن الطيران والنزول لسماع الذكر أو مجاز عن التواضع كقوله تعالى: (واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين). فحسبك بمن توقره الملائكة وتدعو له وتستغفر له. ولو يعلم الملائكة أن منزلته عظيمة عند الله ما وقرته. ولو لم يكن في طلبه إلا دعاء

= و(يسلك) فعل مضارع مرفوع على جعل (من) موصولة ومجزوم على جعل (من) شرطية وحرك بالضم لأجل الوزن، وفاعله ضمير مستتر يعود على (من)، والجملة على الأول صلة الموصول، (فإنى) الفاء دخلت على الجملة الخبرية لكون المبتدأ مما يشبه الشرط في العموم على الاحتمال الأول أو هي فاء الجزاء على الاحتمال الثاني، و(إلى) الجنان متعلق بمحذوف حال من طريق لأن صفة النكرة إذا تقدمت عليها أعربت حالا، و(له) متعلق بـ(سهل)، و(طريق) مبتدأ، وجملة (سهلا) من الفعل ونائب الفاعل خبره. [من (ك) بتصرف.

(١) إعراب البيت: و(ملائك) مبتدأ وهو جمع ملك فإنه يجمع على ملائك بلا تاء وملائكة بالتاء كما في المختار وصرف بإدخال التنوين للضرورة، وجملة (تضع الجناح) خبر المبتدأ، و(له) متعلق بـ(تضع)، وضميره يعود على (من) في البيت السابق، (إذا يسعى) ظرف لما يستقبل من الزمان، و(يسعى) فعل الشرط، ومتعلقه محذوف أي لطلب العلم، وجواب (إذا) محذوف أي فالملائك تضع الاجنحة له، (رضا) مفعول لأجله، و(بمرامه) متعلق بـ(رضا)، و(متقبلا) حال من فاعل (يسعى) أي يسعى حال كونه مقبولا عند الله. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

الملائكة لكان حريا بأن يتنافس فيه فإن أحدنا يرغب في دعوة يرجو بركتها من رجل صالح فما الظن بقوم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون.

فضل العلم على صلاة النافلة

(وتَعَلُّمٌ للبَابِ مِنْ عِلْمٍ لَهُ فَضْلٌ على) صلاة (مائَة الرُّكَيْعَةِ نَافِلا)[1] أي نافلة بحذف التاء للوزن. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة». وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين». وقال أبو الدرداء: «لأن أتعلم مسألة أحب إلى قيام ليلة» وقال الشافعي[2]: «طلب العلم أفضل من النافلة».

٩٩. هَـذَّا إذا قُصِـدَ الإلَهُ وآخِـرة ... بَـالعِلْمِ إلا فـالهَلاكُ تَحَصَّـلا

١٠٠. وليُحْرَمَن عَرْفَ الجِنَانِ الفَاخِرة ... وليسْـقُطنْ في دَرْكِ نـارٍ نـازِلاً

١٠١. رَجُـلٌ بِـهِ يُـؤتَى غَـدَاً يُلـقَى بِـه ... فِي النَّـار تَخْـرُجُ مِنْـهُ أَمْعَـاءٍ جَـلا

١٠٢. فِيهَـا يَـدُورُ كَمـا يَـدُورُ حِمَارُنَـا ... بِرَحَـاهُ تُطْحَـنُ كالحَصِـيدِ تَـذَلُّلا

١٠٣. فَـيَجِيء مَـن في النَـارِ يَسْـأَلُهُ أَمَـا ... قَـدْ كُنْـتَ تَأمُرُنَـا وتَـنْهَى مُقْـبِلا

١٠٤. فَيَقُـولُ يـا قَـوْمِي بَـلَى لَكِنَّـني ... مـا كُنْـتُ بـالعِلْمِ المُكَـرَّمِ عامِـلا

فضائل العلم مختصة بمن قصد به وجه الله

ولما كانت هذه الفضائل مختصة بمن قصد بالعلم وجه الله صرح بذلك فقال: (هَذَّا)، أي ما تقدم من فضل العلم وأهله، إنما يحصل (إذا قُصِدَ الإلَهُ

(١) إعراب البيت: و(تعلم) مبتدأ، و(للباب) متعلق بـ(تعلم)، و(من علم) متعلق بمحذوف حال من الباب أي حال كون الباب كائنا من أبواب العلم، (له) خبر مقدم، (فضل) مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول، (على مائة) متعلق بـ(فضل) وهي مضاف، و(الركيعة) مضاف إليه وهي تصغير الركعة، و(نافلا) حال من (مائة) أي حال كون المائة نافلة وحذفت التاء منه للضرورة. [من (ك) بتصرف].

(٢) سبقت ترجمته. وهو غني عن الترجمة.

Scanned by CamScanner

وآخِرة)، أي الدار الآخرة، (بَالعِلْمِ) تعلما وتعليما. وهو أول واجب على المتعلم والمعلم. إذ العلم أفضل العبادات وأصل كل العبادات/ النية. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الأعمال بالنيات». (إلا) أي وإن لا يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل نوي به عرضا من أعراض الدنيا (فالهَلاكُ تَحَصَّلا)[1] به. فإنه إنما أراد بالعبادة التي لا يراد إلا الله غير الله فهو كالمستهزئ بالله وهو كمن تمثل بين يدي ملك قائما في معرض الخدمة وإنما غرضه بذلك ملاحظة بعض غلمان الملك وجواريه فما أجدره بالمقت والعقوبة!

(ولْيُحْرَمَن) من قصد بالعلم غير الله (عَرْفَ الجِنَانِ الفَاخِرة)، أي ريحها يوم القيامة. وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تعلم علما يبتغي به وجه الله لا يتعلمها إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» والعرض متاع الدنيا. (وليسْقُطنْ في دَرْكِ نارٍ نازِلاً)[2] فيها. فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) إعراب البيت: (هذا) اسم إشارة مبتدأ، (إذا) ظرف مجرد عن الشرطية متعلق بمحذوف خبر المبتدأ أي هذا كائن وقت قصد الإله وآخره، و(قصد) فعل ماض، وفاعله يعود على طالب العلم، والجملة محلها جر بالإضافة، و(الإله) مفعوله، و(آخره) معطوف على الإله والأصل وآخرة بالتاء وقف عليه بالهاء الساكنة كما هو قاعدة الوقف، (بالعلم) متعلق بـ(قصد)، (إلا) (إن) شرطية مدغمة في (لا) النافية وحذف فعل الشرط والأصل وإن لم يقصد ذلك، (فالهلاك) الفاء واقعة في جواب الشرط، (الهلاك) مبتدأ، وجملة (تحصلا) خبر المبتدأ، ومتعلقه محذوف أي تحصل له، وجملة المبتدأ والخبر في محل جزم جواب الشرط. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (وليحرمن) الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم وسُكِّنَت للوزن، و(يحرمن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الخفيفة، أو اللام لام الأمر و(يحرمن) في محل جزم وعليه يكون هو بمعنى الخبر وأتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل كما قيل به في قوله تعالى: فليمدد له الرحمن مدا وعلى كل الفعل مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله تعالى، وهو المفعول الاول،=

Scanned by CamScanner

«من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار». وقال: «من ازداد علما ولم يزدد هدي لم يزدد من الله إلا بعدا». وزيادة الهدي التجافي عن دار الغرور؛ لأن زيادة العلم تزيد في الهدي إذ الهدي على قدر العلم.

حال العالم الذي لا يعمل بعلمه

ثم ذكر حال العالم الذي لا يعمل بعلمه فقال: (رَجُلٌ بِهِ يُؤْتَي)، أي يؤتى بالرجل العالم، (غَدَاً)، أي يوم القيامة، (يُلقَي بِهِ)، أي فيلقى، (فِي النَّار تَخْرُجُ) أي فيخرج (مِنْهُ أَمْعَاءٍ جَلا)[1]، أي خروجه، (فَبِهَا/ يَدُورُ) الرجل العالم (كَمَا يَدُورُ حِمَارُنَا بِرَحَاهُ)، أي يدور ويتردد في أمعائه، أي يدور حولها ويضربها برجله، (تُطْحَنُ كالحَصيدِ)، أي كالزرع المحصود، (تَذَلُّلا[2] فَيَجِيء

= و(عرف) مفعوله الثاني، و(الجنان) مضاف إليه، و(الفاخرة) ضفة الجنان، و(ليسقطن) الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم وسكنت للوزن أو لام الأمر على نسق ما تقدم، و(يسقطن) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة، والفاعل مستتر يعود على من يقصد به غير الله تعالى، و(في درك) متعلق بـ(يسقطن)، و(نار) مضاف إليه، و(نازلا) حال مؤكده من فاعل يسقطن. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (رجل) مبتدأ وسوغ الابتداء به وصفه بالجملة بعده، (به) متعلق بـ(يؤتي) ونائب فاعله قدم عليه للضرورة، و(يؤتى) فعل مضارع، والجملة في محل رفع صفة له، و(غدا) ظرف زمان متعلق به، (يلقى) فعل مضارع، و(به) نائب فاعله، (في النار) متعلق بـ(يلقى) والجملة خبر المبتدأ، و(تخرج) فعل مضارع وهو على حذف الفاء التفريعية للضرورة، و(منه) متعلق بـ(تخرج)، و(أمعاء) فاعله وهو جمع مِعًى. قال في المصباح: المعى المصران وقصره أشهر من المد وجمعه أمعاء مثل عنب وأعناب وجمع الممدود أمعية مثل حمار وأحمره اهـ، و(جلا) فعل ماض، والفاعل مستتر يعود على الخروج، والجملة صفة لمصدر (تخرج) مقدر أي تخرج خروجا جلا أي ظاهرا. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (فبها) الفاء تفريعية أيضا، و(بها) متعلق بـ(يدور) وهو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله تعالى، (كما يدور) الكاف حرف تشبيه=

Scanned by CamScanner

مَن في النَارِ)، أي يجتمع عليه، (يَسْأَلُهُ أَمَا قَدْ كُنْتَ تَأْمُرُنَا) بالمعروف (وتَنْهَي) عن المنكر (مُقْبِلا)[1] إلينا. (فَيَقُولُ يا قَوْمِي بَلَي) قد كنت آمركم بالمعروف وأنهاكم عن المنكر (لَكِنَّني ما كُنْتُ بالعِلْمِ المُكَرَّمِ عامِلا)[2]؛ لأني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه. وإنما يضاعف من عذاب العالم

= وجر، و(ما) مصدرية، و(يدور) فعل مضارع، و(حمارنا) فاعله، (برحاه) متعلق بـ(يدور)، و(تطحن) فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود على (أمعاء) في البيت السابق، والجملة في محل نصب حال من ضمير (بها)، ويحتمل أن تكون (تطحن) مبنيا للمعلوم، وفاعله يعود على (رحاه) وعليه تكون الكاف من (كالحصيد) زائدة بخلافه على الأول فإنها أصلية مقدر بها مضاف والتقدير عليه: فيدور بالأمعاء حال كونها تطحن تحت رجله كطحن الحصيد أي الزرع المحصود كدوران الحمار برحاه، والتقدير على الثاني: فيدور بأمعائه كدوران الحمار بالرحى حال كونها تطحن الحصيد، والاحتمال الأول أولى لأن فيه التنصيص على طحن الأمعاء فيوافق الحديث المقتبس منه، و(تذللا) مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل (يدور) الأول أو الثاني. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (فيجئ) الفاء عاطفة، و(يجئ) فعل مضارع، و(من) اسم موصول في محل رفع فاعل الفعل، و(في النار) متعلق بمحذوف صلة الموصول أي الذي استقر في النار، و(يسأله) فعل مضارع، وفاعله يعود على (من)، والهاء مفعوله، والجملة في محل نصب حال من فاعل (يجيء) أي يجيء حال كونه سائلا، (أما) الهمزة للاستفهام، و(ما) نافية، (قد) للتحقيق، (كنت) فعل ماض، والتاء اسمها، وجملة (تأمرنا) في محل نصب خبر كان، و(تنهى) معطوف على (تأمر)، ومفعوله محذوف أي وتنهانا، و(مقبلا) حال من فاعل (تأمر) وفاعل (تنهى). [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (فيقول) الفاء عاطفة، و(يقول) فعل مضارع، والفاعل يعود على من يقصد بعلمه غير وجه الله، والمراد يقول جوابا لهم، (يا قومي) (يا) للنداء، (قومي) منادى منصوب لأنه مضاف إلى ياء المتكلم، (بلى) حرف جواب أي بلى كنت آمر وأنهي، (لكنني) (لكن) حرف استدراك ونصب، والنون للوقاية، والياء اسمها، (ما كنت) (ما) نافية، و(كان) فعل ماض، والتاء اسمها مبني على الضم، (بالعلم) متعلق بـ(عاملا)، و(عاملا) خبر كان أي ماكنت عاملا بالعلم المكرم. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

في معصيته؛ لأنه عصي عن علم.

١٠٥. يَعْصِي امرُؤٌ قَد رامَ غَيْرَ إلَهِهِ وثَوَابَ أُخرِي بالتَعَلُّمِ غَافِلا

١٠٦. حِرْمٌ عَلَيهِ جِرايَةُ المُتَفَقِّهة إلّا بِعِلْمٍ نَافِعٍ مُتَشَاغِلا

١٠٧. وكذاكَ يَعْصِي مَنْ يُعَلِّمُ ذَلِكَ إلّا لِعِلْمٍ نَافِعٍ لا جَاهِلا

بيان معصية من يطلب العلم لغير الله وأحكامه

ثم صرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يكون عاصيا[1] فقال: (يَعْصِي امرُؤٌ قَد رامَ)، أي طلب، (غَيْرَ إلَهِهِ وثَوَابَ أُخري) وامتثال أمره (بالتَعَلُّمِ) للعلم (غَافِلا)[2] عن عاقبة أمره كطلبه ليكتسب به مالا أو جاها أو يستفيد بين عشيرته وأقاربه عزا أو حراما أو ليدفع عن نفسه تكبر[3] الأقران ونحو ذلك. ويصير بذلك متعرضا لسخط الله، منخرطا في سلك العلماء السوء[4]، ومتعرضا للوعيد الوارد في حقهم/. (حِرْمٌ عَلَيهِ) أي على من يقصد بالتعلم غير الله (جِرايَةُ المُتَفَقِّهة)؛ لأن الجراية إعانة على الدين، وهذا عاص بتعلمه، ولا إعانة على المعصية. فمهما اضمحلت نية المتعلم جاز له تناول الجراية وإن فسدت حرم (إلّا بِعِلْمٍ نَافِعٍ

---

(١) كذا الجملة في الأصل. ولعل هناك سقط كأن يقال: (وصرح الشيخ بحال من يكون عاصيا) أو ما شابه ذلك.

(٢) إعراب البيت: (يعصى) فعل مضارع، (امرؤ) فاعله، (قد رام) (قد) حرف تحقيق، و(رام) فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على (امرؤ)، والجملة في محل رفع صفة له، و(غير) مفعوله ومضاف إلى (إلهه)، و(ثواب) بالجر معطوف على (إلهه)، و(ثواب) بالجر معطوف على (إلهه) أي وغير ثواب الآخرة وهو مضاف، و(أخرى) مضاف إليه، (بالتعلم) متعلق بـ(رام)، و(غافلا) حال من فاعله، ومتعلقه محذوف أي عن عاقبة أمره. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل (وتكبر الأقران) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٤) هكذا في الأصل بتعريف (العلماء).

Scanned by CamScanner

مُتَشَاغِلا)[1]، أي إلا إذا كان متشاغلا بعلم منذر فإنه لا[2] يحل له صرف الجراية إلا به. والعلم المنذر ما يزيد في خوف الله والرغبة في الآخرة، ويبصر بعيوب النفس وآفات الأعمال، ويقلل الرغبة في الدنيا.

بيان معصية من يعلم من يطلب العلم لغير الله

(وكذاكَ)، أي وكما يعصي إذا قصد بالتعلم غير الله، (يَعْصِي مَنْ يُعَلِّمُ ذَلِكَ)، أي ذلك المرء بتعليمه له إذا علم نيته وهو كبائع لسيف من قطع طريقا فمتى علم لأنه اشتري يستعمله في قطع الطريق حرم بيعه وهبته. فالعلماء السوء قطاع طريق الدين، وهم أسوء حالا من قطاع الطريق؛ فإن غاية ضررهم نقصان المال، وضرر العلماء السوء نقصان الدين. وإن كان عاصيا بالتعلم وجب الامتناع عن تعليمه.

(إلّا)، أي إذا كان متعلما، (لِعِلْمٍ نَافِعٍ) فلا يمتنع منه بل يعلمه ويحث عليه لأن هذا مرض في قلبه. وعلاج هذا المرض من هذا النوع من العلم ومن جملته علم القرآن والأخبار وكل علم فيه تخويف[3] وإنذار؛ فإن المريض لا يمنع من العلاج. فأما ما عدا هذا من العلوم فيجب المنع منه كعلم الفقه مذهبه وخلافه/ وأصوله والكلام وكل علم خال عن التخويف[4] وبيان آفات الأعمال وعيوب النفس. فهذه العلوم إذا صافت قلبا مائلا ذا طلب للدنيا زادته فسادا

---

(١) إعراب البيت: (حرم) بكسر الحاء وسكون الراء لغة في حرام وهو خبر مقدم، و(عليه) متعلق به، و(جراية) مبتدأ مؤخر وهو مضاف، و(المتفقهة) مضاف إليه، و(إلا) أداة استثناء ملغاة لا عمل لها، و(بعلم) متعلق بـ(متشاغلا)، و(نافع) صفة لـ(علم)، و(متشاغلا) منصوب بكان مقدرة على أنه خبرها، واسمها ضمير يعود على مطلق متعلم أي إلا كان المتعلم متشاغلا بعلم نافع فلا يحرم عليه أخذ الجراية. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل (يحل) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) في الأصل (تخفيف وإنذار) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٤) في الأصل (التخفيف) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

على فساد، ورغبة إلى صحبة أهلها والاشتغال معهم بالمنافسة والمباهاة والرياء والعداوة، وثبتت فيه بذور الصفات المهلكة من الحسد والكبر والرياء وسائر الأخلاق الذميمة. فيكون المعلم عاصيا بتعليمه (لا) إن كان المعلم (جَاهِلا)[1] بنية المتعلم فإنه لا يعصي بنيته لكونه معذورا بجهل حاله.

١٠٨. فَإذا رَأَي مُتَعَلِّمَاً يَكْبُو على الشَـ ـــهَواتِ مُتَّبِعَاً هَوَاهُ مُعَامَلا

١٠٩. مُتَكَالِباً أَيْضَاً على رَوْمِ الدُّنَا مِن غَيْرِ مِنْهَاجٍ مُبَاحٍ فَائلا

١١٠. أو قَدْ تَعَاطَي عِلْمَ فَرْضِ كِفَايَةٍ مِن قَبْلِ فَرْضِ العَيْنِ عِلْماً وابْتِلا

١١١. فَلَقَد تَبَيَّنَ مِنْ قَرَائِنِ حَالِهِ قَصْدٌ لِغَيْرِ اللهِ فِيهِ تَغَلْغَلا

١١٢. وكَذا إذا تَرَكَ الصَلاةَ جَمَاعَةً مِن غَيْرِ عُذْرٍ بَلْ بِأن يَتَكَاسَلا

١١٣. وكَذَاكَ تَرْكٌ للرَوَاتِبِ والسُنَنْ إنْ أُكِّدَت فاعْلَمْهُ واصْحُ تَبَتَّلا

من علامات من يطلب العلم لغير الله: الإكباب على الشهوات والتكالب على الدنيا

ولما كان الوعيد الشديد فيمن قصد بالعلم غير الله وكان القصد لا يطلع عليه؛ لأنه من أمر الباطن ولا يعرف إلا من العلامات، كان من المهم الإشارة

---

(١) إعراب البيت: (وكذاك) الواو عاطفة، والكاف حرف تشبيه وجر و(ذا) اسم اشاره مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف أي يعصي المعلم عصيانا كعصيان المتعلم عند فساد نيته، و(يعصي) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، و(من) اسم موصول فاعله، و(يعلم) فعل مضارع، وفاعله يعود على (من)، والجملة صلة الموصول، و(ذلك) اسم اشارة عائد للمرء الذي رام غير إلهه وهو مبني على السكون في محل نصب مفعول (يعلم) الأول، ومفعوله الثاني محذوف ـ أي العلم ـ، (إلا) أداة حصر ملغاة لا عمل لها، و(لعلم) اللام زائدة ومدخولها مفعول ثان لفعل محذوف أي إلا إذا علمه العلم النافع، (لا جاهلا) (لا) عاطفة، و(جاهلا) معطوف على محذوف أي يعصي إذا كان عالما بنيته لا جاهلا بها كما يعلم من الحل السابق. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

إلى بعضها فقال: (فَإذا رَأَي)، أي المعلم، (مُتَعَلِّمَاً يَكْبُو)، أي يسقط بوجهه، (على الشَهَواتِ) مقبلا عليها (مُتَّبِعَاً هَوَاهُ مُعَامَلا)[1]، أي في العلامات ـ بحذف الألف والتاء للوقف ـ، (مُتَكَالِباً) متواثباً (أَيْضَاً على رَوْمِ الدُّنَا)، أي طلبها، (مِن غَيْرِ مِنْهَاجٍ)، أي طريق، (مُبَاحٍ فَائلا)[2]، أي ضعيف الرأي مخبطه،

(أو) رأي متعلما (قَدْ تَعَاطَي)، أي تناول، (عِلْمَ فَرْضِ كِفَايَةٍ) بالاشتغال (مِن قَبْلِ) فراغه من (فَرْضِ العَيْنِ عِلْماً وابْتِلا)[3]، أي وعملا من تطهير

---

(١) إعراب البيت: (فإذا) الفاء عاطفة، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، و(رأى) فعل ماض، وفاعله يعود على المعلم، (متعلماً) مفعول أول لـ(رأى) إن كانت غير بصرية، و(يكبو) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل، والفاعل يعود على (متعلما)، والجملة في محل المفعول الثاني، ومعنى (يكبو) يسقط على وجهه يقال كبا لوجهه سقط كذا في المختار والمراد به هنا يرغب ويسترسل فيها، و(على الشهوات) متعلق به، و(متبعا) حال من فاعل (يكبو)، و(هواه) مفعوله، و(معاملا) بضم الميم الأولى وفتح الثانية منصوب بإسقاط الخافض أي في المعاملة وحذفت منه التاء للضرورة، ويحتمل أن يكون بكسر الميم الثانية على أنه اسم فاعل، ومفعوله محذوف أي معاملا إياه، أي هواه وعليه يكون حالا ثانية ذكرت بعد الأولى للتأكيد. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (متكالبا) حال ثالثة على الاحتمال الثاني في (معاملا)، وعلى الاحتمال الأول حال ثانية، (أيضا) مفعول مطلق، (على روم) متعلق بـ(متكالبا)، و(الدنا) لغة في الدنيا مضاف إليه، و(من غير) متعلق بـ(روم)، و(منهاج) مضاف إليه، و(مباح) صفة له، و(فائلا) حال رابعة من فاعل (يكبو) إن كان متكالبا حال ثالثة، أو ثالثة إن كان متكالبا حال ثانية. [من (ك) بتصرف].

(٣) إعراب البيت: (أو قد تعاطى) معطوف على (يكبو) فيكون لفظ (رأى) مسلطا عليه، (علم) مفعول تعاطى، وهو مضاف لـ(فرض)، وهو مضاف لـ(كفاية)، و(من قبل) متعلق بتعاطى، وهو مضاف لـ(فرض)، وهو مضاف لـ(العين)، و(علما) حال من (فرض العين)، و(ابتلا) معطوف على علما ومعناه الاختبار والمراد الاختبار بما علمه أي العمل به. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

الجوارح من الآثام والباطن من الصفات المهلكة من الكبر والحسد والرياء والعداوة وغيرها، (فَلَقَد تَبَيَّنَ) بالضرورة (مِنْ قَرَائِنِ/ حَالِهِ قَصْدٌ) منه (لِغَيْرِ الله فِيهِ)، أي في تعلم العلم، (تَغَلْغَلا)[1] أي دخل[2]. وإن ابتداع الهوي غالب على باطنه، وإن طلبه بعلمه الجاه والمال دون سعادة الآخرة. فإن المتكالب على الشهوات والدنيا أسير الشيطان، وقد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فلا يجوز الاشتغال في الفقه مذهبه وخلافه وأصوله قبل الفراغ مما تقدم من فرض العين. والمخالف لذلك متعرض لسخط الله وإن كان القيام بفرض الكفاية من علوم الدين من جملة العبادات.

من علامات من يطلب العلم لغير الله: ترك الصلاة جماعة وترك السنن

(وكَذا) يتبين قصد غير الله بتعلم (إذا تَرَكَ) المتعلم (الصَلاةَ جَمَاعَةً مِن غَيْرِ عُذْرٍ) شرعي في ترك الجماعة كما هو مبين في الفقه (بَلْ بِأن يَتَكَاسَلا)[3]؛

---

(١) إعراب البيت: (فلقد) الفاء واقعة في جواب (إذا) في بيت سابق، واللام موطئة للقسم، و(قد) حرف تحقيق، و(تبين) فعل ماض، (من قرائن) متعلق به، وهي مضاف، و(حاله) مضاف إليه والإضافة للبيان أي قرائنٍ هي حالُه المذكورة من كونه مكبا على الشهوات الخ، (قصد) فاعل (تبين)، (لغير الله) متعلق بـ(قصد)، (فيه) متعلق بما بعده، و(تغلغلا) فصل ماض ومعناه دخل، وفاعله ضمير يعود على المتعلم، والجملة صفة لـ(قصد)، والرابط ضمير (فيه) لأنه عائد على (قصد) أي قصد لغير الله دخل المتعلم فيه. [من (ك) بتصرف]

(٢) وما أصدق قول الشاعر:

أضن بعلمي عن ذوي الجهل طاقتي ولا أنثر الدر الثمين على الغنم

وأي جهل أعظم من جهل من يقصد بعمله الدنيا ويتكالب عليها من طريق الحرام. (ق)

(٣) إعراب البيت: (وكذا) الواو عاطفة، والجار والمجرور خبر ليكون مقدرة هي جواب (إذا)، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، و(ترك) فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على المتعلم، و(الصلاة) مفعوله، و(جماعة) حال من (الصلاة فهي قيد في الصلاة وهو المراد، (من غير عذر) متعلق بـ(ترك)، (بل) حرف إضراب انتقالي، (بأن) الباء سببية، و(أن) مصدرية، و(يتكاسلا) فعل مضارع منصوب بأن. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ سبعا وعشرين درجة. فمن كان أسير الكسل إلى هذا الحد كيف يتأتى منه العمل بالعلم وهو ثمرة العلم؟

(وكَذَاكَ) في معرفة قصد غير الله به (تَرْكُ للرَّوَاتِبِ والسُّنَنْ إنْ أُكِّدَتْ)، أي الرواتب والسنن المؤكدة، فإن نفس المتعلم لله تعالى لا تسمح بالتهاون فيها أصلا لما فيها[1] من الفضائل والثواب (فاعْلَمْهُ)، أي اعلم ما ذكرنا، (واصْحُ) من غفلتك (تَبَتَّلا)[2]، أي متبتلا إلى الله بإصلاح نيتك وتخليصها لله تعالى في طلب العلم.

وجوب تصحيح نية المعلم

وكما يجب على المتعلم تصحيح النية يجب على المعلم تصحيحها في تعليمه بل هو أهم لأن فساد المتعلم/ مقصور عليه وفساد المعلم يسري إلى المتعلمين. وليكن نيته التقرب[3] بإحياء دينه، ونشر شريعته، ودعوة الهاربين من عباده إليه، والقيام بخلافة[4] رسول الله ﷺ في إصلاح أمته. ولا يمن على تلامذته بتعليمه حتى ينتظر منهم إجراء خدمة وموالاة، بل يقتدي بالأنبياء صلوات الله عليهم حيث تقدم كل منهم على دعوته قوله: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ

(١) في الأصل: (الأسباب) والصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (وكذاك) الواو عاطفة، (كذا) الكاف حرف تشبيه وجر، و(ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و(ترك) مبتدأ مؤخر، و(للرواتب) متعلق بـ(ترك)، و(السنن) معطوف عليه عطف عام على خاص، و(إن) شرطية، و(أكدت) فعل ماض، والتاء للتأنيث، ونائب فاعله يعود على المذكورات من الرواتب والسنن، (فاعلمه) الفاء فاء الفصيحة واقعه في جواب شرط مقدر، و(اعلم) فعل أمر، وفاعله ومفعوله أي إذا تقرر لك جميع ما ذكر فاعلمه، و(اصح) فعل أمر مبني على حذف الواو والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(تبتلا) حال بتأويلها باسم الفاعل أي متبتلا. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل (التقريب) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٤) في الأصل (والقيام بخلا رسول الله) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. فمن لم يحضر النية الخالصة في التعليم فعليه الاشتغال بإصلاح نيته بالرياضة.

١١٤. ولِعَالِمِ الأُخْرى عَلامَاتٌ تُرَي ... لا يَطْلُبَ الدُنيا بِعِلْمِ مَسَائِلا

١١٥. ولِذَاكَ آيَاتٌ تَكُونُ كَثِيرَةٌ ... أَنْ لَا يُخَالِفَ قَوْلُهُ ما يَفْعَلا

١١٦. ويَكُونَ بِالمَأمُورِ أَوَّلَ عَامِلٍ ... و عَنِ الذي يَنْهَي تَجَنَّبَ أولا

١١٧. ويَكُونَ مُعْتَنِياً بِعِلْمٍ رَغَّبَا ... فِي طَاعَةٍ ناهٍ عَنِ الدُنْيَا اجْتلا

١١٨. مُتَوَقِّيا علما يَكُونُ مُكَثِّرًا ... قِيلاً وقَالاً والجِدالَ مُسَوِّلا

١١٩. ويَكُونَ مُجْتَنِباً تَرَفُّهَ مَطْعَمٍ ... وبِمَسْكَنٍ وأَثَاثِ ذَاكَ تَجَثُّلا

١٢٠. وتَنَعُّماً وتَزَيُّناً بِلِبَاسِهِ ... و إلى القَنَاعَةِ والتَقَلُّلِ مائِلا

١٢١. و يَكُونَ مُنْقَبِضاً عن السُلْطَانِ ذا ... أَن لا يَكُونَ عَلَيهِ يَوْماً دَاخِلا

١٢٢. إلا لِنُصْحٍ أو لِرَدِّ مَظَالِمٍ ... أو لِلشفَاعَةِ في المَرَاضِي فادْخُلا

١٢٣. وإلى الفَتَاوِي لا يَكُونَ مُسَارِعاً ... ويَقُولَ اسْأل مَن يَكُونُ تَأهَّلا

١٢٤. وأَبَي اجْتِهاداً لا يَكُونُ تَعَيَّنا ... ويَقُولُ لا أَدْرِي إذا لَمْ يَسْهُلا

من علامات علماء الآخرة: عدم طلب الدنيا

ولما ذكر علامة من يقصد بالتعلم غير الله، شرع في ذكر علماء الدين وهم علماء الآخرة فقال: (ولِعَالِمِ الأُخْرِي عَلامَاتٌ تُرَي) وهي ثلاث: الأولي (لا يَطْلُبَ الدُنيا بِعِلْمِ مَسَائِلا)[1] فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا

(١) إعراب البيت: (ولعالم الأخرى) خبر مقدم، (علامات) مبتدأ مؤخر، (ترى) فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعله يعود على (علامات)، والجملة صفة، (لا يطلب) (لا) نافية، و(يطلب) فعل مضارع منصوب بأن مقدرة سهَّله وجودها فيما بعد، وفاعله يعود على عالم الآخرة، (الدنيا) مفعوله، (بعلم) متعلق بـ(يطلب) وهو مضاف، و(مسائلا) مضاف=

Scanned by CamScanner

وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها، فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وقرب انصرامها فهو فاسد العقل. وكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟ ومن لا يعلم عظم الآخرة ودوامها فهو مسلوب الإيمان، وكيف يكون من العلماء من لا إيمان له؟ ومن علم ذلك ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته، وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد في زمرة العلماء من هذا درجته؟ ففي أخبار داود عَلَيْهِ السَّلَامُ حكاية عن الله تعالى: (إن أدني ما أصنع بالعالم/ إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي. يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي. أولئك قطاع طريق عبادي. يا دواد إذا رأيت لي طالبًا فكن له خادما. يا داود من رد إلى هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا).

من علامات علماء الآخرة: أن لا يخالف قوله فعله

(ولِذَاكَ)، أي لعدم طلب الدنيا بالعلم، (آيَاتٌ تَكُونُ كَثِيرَةٌ) يعرف منها ذلك. أحدها: (أَنْ لاَ يُخَالِفَ قَوْلُهُ ما يَفْعَلا)[1] أي ما يفعله ـ على أن الألف فيه

= إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف صيغة منتهي الجموع. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (ولذاك) الواو عاطفة، (لذاك) اللام جارة و(ذا) اسم إشارة عائد لعدم طلب الدنيا بالعلم مجرور باللام، والجار والمجرور خبر مقدم، و(آيات) مبتدأ مؤخر، و(تكون) فعل مضارع وهي زائدة بين الموصوف وصفته، و(كثيرة) بالرفع صفة (آيات)، (أن لا يخالف) (أن) مصدرية، و(لا) نافية، و(يخالف) منصوب بـ(أن)، و(أن) وما بعدها في تأويل مصدر معطوف بعاطف محذوف على المصدر المؤول من أن لا يطلب وجملة (ولذاك آيات) معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذا هو الذي يدل عليه كلام الغزالي في الإحياء لأنه ذكر علامات علماء الآخرة ورتبها على الترتيب الذي رتبت عليه كلام الناظم فجعل الأول منها قوله أن لا يطلب والثاني قوله أن لا يخالف فتنبه. و(قوله) فاعل (يخالف)، و(ما) مصدرية. و(يفعل) فعل مضارع وفتح آخره لأجل اتحاد القوافي ولمناسبة ألف الإطلاق. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

منقلبة النون التوكيد الخفيفة ـ (و) أن (يَكُونَ بِالمَأْمُورِ أَوَّلَ عَامِلٍ وَعَنِ الذي يَنْهَى تَجَنُّبَ أولا)[1]، أي وأن يكون مجتنبا عن الذي ينهي عنه قبل غيره. قال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[2]. وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3]. وقال لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني). وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالمعروف ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله»[4]. وقال الفضيل: «بلغني أن الفقه من العلماء يبدأ بهم قبل عبدة الأوثان».

من علامات علماء الآخرة: الاعتناء بالعلم المرغب في الطاعة والبعد عن الجدال

(و) الثانية أن (يَكُونَ مُعْتَنِيًا)، أي مهتما على حسب طاقته، (بِعِلْمٍ رَغَّبَا)

(١) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، و(يكون) فعل مضارع منصوب بـ(أن) مقدرة، واسمها يعود على عالم الاخرة، و(أن) وما بعدها في تأويل مصدر معطوف على عدم المستفاد من حرف النفي المضاف لمصدر (يخالف) أي من علامات عالم الاخرة عدم المخالفة وكونه الخ، فالمصدر المذكور يقرأ بالرفع لعطفه على المرفوع وهو لفظ عدم، و(بالمأمور) متعلق بـ(عامل) بعده، و(أول) خبر (يكون) وهو مضاف لما بعده، و(عن الذي) الواو عاطفة، و(عن) زائدة أو أصلية بتضمين المتعلق وهو (تجنب) معنى تباعد، و(ينهى) فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة، والعائد على (الذي) محذوف، و(تجنب) فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة، والجملة خبر يكون مقدرة، و(أولا) ظرف متعلق بـ(تجنب) والتقدير ويكون متجنباً أولا الأمر الذي ينهى عنه. [من (ك) بتصرف].

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) الصف: ٣.

(٤) لم أعثر على رواية للحديث بهذا اللفظ. وقد ورد في الإحياء بلفظ: (مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه). وقال الحافظ العراقي: أخرجه ابْن حبّان من حَدِيث أنس.

Scanned by CamScanner

أي مُرغِّب (فِي طَاعَةٍ) لله تعالى (ناهٍ عَنِ الدُّنْيَا اجْتلا)[1]، أي ظهور، وهذا هو العلم النافع في الآخرة.

ويكون/ (مُتَوَقِّيا علما يَكُونُ مُكَثِّرَاً قِيلاً وقَالاً)، أي حكاية أقوال الناس والبحث عما لا يجدي خيرا، (والجِدالَ مُسَوِّلا)[2]، أي مزينا للقيل والقال. فحال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال ويشتغل بالتفاريع النادرة في المسائل مثال مريض به علل كثيرة صادق طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشي فواته فلم يسأله عن علاج مرضه واشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وذلك محض السفه. وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: علمني من غرائب العلم، فقال له: ما صنعت في رؤوس

---

(١) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، و(يكون) فعل مضارع منصوب بأن مقدرة، واسمها يعود على عالم الاخرة، وأن وما بعدها معطوف على (أن لا يطلب) الذي هو العلامة الأولى من علامات عالم الاخرة، وان وما بعدها معطوف على ان لا يطلب الذي هو العلامة الاولى من علامات عالم الآخرة، و(معتنيا) خبر (يكون)، و(بعلم) متعلق بـ(معتنيا)، و(رغبا) بتشديد الغين فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على علم والألف للإطلاق والجملة في محل جر صفة لـ(علم)، (في طاعة) متعلق بـ(رغبا)، (ناه) صفة ثانية لـ(علم) مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهوره الثقل وأصله: ناهي استثقلت الكسرة على الياء فحذفت لالتقاء الساكنين، (عن الدنيا) متعلق بـ(ناه)، و(اجتلا) فعل ماض يعود على (علم)، والجملة صفة ثالثة أي بعلم موصوف بالاجتلا أي الظهور، والوضوح. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (متوقيا) خبر ثان لـ(يكون) أو معطوف عليه بحذف حرف العطف، و(علما) مفعوله، و(يكون) فعل مضارع، واسمها مستتر يعود على (علما)، و(مكثرا) خبرها، والجملة صفة لـ(علما)، و(قيلا) مفعول (مكثرا)، و(قالا) معطوف عليه، (والجدال) الواو عاطفة، و(الجدال) مفعول مقدم لـ(مسولا)، و(مسولا) معطوف على (مكثرا) أي ويكون مسولا الجدال أي مزينا له مع قلة نفعه. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

العلم؟ قال: وما رؤوس العلم، قال: هل عرفت الموت، قال: نعم، قال: فماذا أعددت له، قال: ما شاء الله، قال: اذهب فحكم ما هنالك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم. فهذا يدل على أن الواجب إحكام رؤوس العلم وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر فإنه هل عرفت الله وهل عرفت الموت.

من علامات علماء الآخرة اجتناب الترفه والميل إلى القناعة

(و) الثالثة أن (يَكُونَ مُجْتَنِباً تَرَفُّهَ مَطْعَمٍ)، أي الترفه في المطعم، (وبِمَسْكَنٍ وأثاثِ ذَاكَ تَجَمُّلا)[1]، أي وتجملا بمسكن وأثاثه، (و) يكون مجتنبا (تَنَعُّماً وتَزَيُّناً بِلِبَاسِهِ و) يكون (إلى القَنَاعَةِ والتَقَلُّلِ مائِلا)[2]، أي مائلا إليهما في ذلك ما أمكنه أخذا بالحزم واقتداءً بالسلف. وكلما ازداد في المباحات إلى طرق القلة ميله، ازداد من الله قربه وارتفع درجة. فإن علماء الآخرة/ يقنعون من الدنيا بقليل، ويتركون التجمل وإن كان مباحا، لعلمهم أن هذا المباح يدعوهم إلى الحرام. كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في الحرام). والمشاهدة تدل على هذا فإن التنعم لا يمكن إلا بكثرة الأسباب، ولا يمكن حفظها إلا بالجاه، ولا يتم الجاه إلا بمعاونة السلطان، ولا يتم ذلك إلا بملازمة خدمتهم وسكوت على ظلمهم.

---

(١) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، و(يكون) فعل مضارع منصوب بأن مقدرة، و(أن) وما بعدها معطوف على (أن) (لا يطلب) أيضا، و(مجتنبا) خبرها، و(ترفه) مفعوله، و(مطعم) مضاف إليه، (وبمسكن) الواو عاطفة، (بمسكن) متعلق بـ(تجملا)، و(أثاث) معطوف على (مسكن) وهو مضاف إلى اسم الإشارة العائد على المسكن، و(تجملا) معطوف على (ترفه). [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (تنعما) معطوف على (ترفه)، و(تزينا) معطوف على (تنعما)، و(بلباسه) متعلق بكل من (تنعما) و(تزينا)، (وإلى القناعة) الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلق بـ(مائلا)، و(التقلل) معطوف على (القناعة)، و(مائلا) معطوف على مجتنبا. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

من علامات علماء الآخرة: الانقباض عن السلاطين إلا للنصح أو دفع المضرة

(و) الرابعة أن (يَكُونَ مُنْقَبِضاً عن) مخالطة (السُّلْطَان) وزيارته[1] فإن المخالط له لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاته واستمالة قلبه مع ظلمه. (ذا) انقباضه عن السلطان (أَن لا يَكُونَ عَلَيهِ يَوْمَاً دَاخِلا)[2] فإن الداخل عليه إما أن يتفلت إلى تجمله[3] فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليه لما هو محرم فيكون مداهنا، أو يتكلف في كلام لمرضاته وتحسين حاله وذلك الجبت الصريح، أو يطمع نيل دنياه وذلك هو السحت.

(إلا لِنُصْحٍ) له وارشاده إلى مصلحته، (أو لِرَد مَظَالِم) إلى أربابها، (أو لِلشفَاعَةِ في المَرَاضِي) أي في مرضاة الله تعالى (فادْخُلا)[4] عليه لأجل هذه الأمور بشرط قطع طمعك عن ماله وجاهه حتى تنفذ نصيحتك وتقبل نصيحتك وتقبل شفاعتك. وقد احترز الأولون عن الدخول على السلاطين لما روي عن

---

(١) في الأصل (وزيارة) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، (يكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وأن وما بعدها معطوفان على (أن) (لا يطلب)، واسمها يعود على عالم الآخرة، (منقبضا) خبرها، (عن السلطان) متعلق به، (ذا) اسم اشارة مبتدأ وهو يعود على الانقباض المفهوم من (منقبضا)، (أن لا يكون) (أن) مصدرية، (لا) نافية، و(يكون) فعل مضارع منصوب بـ(أن)، واسمها يعود على عالم الآخرة، و(عليه يوما) متعلقان بـ(داخلا) وهو خبر يكون والتقدير ذا أي انقباضه هو عدم كونه داخلا على السلطان يوما. [من (ك) بتصرف]

(٣) في الأصل يتفلت إلى تجملهم ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٤) إعراب البيت: (إلا) اداة حصر ملغاة لا عمل لها، و(لنصح) متعلق بـ(داخلا)، (أو لدفع) معطوف على (لنصح)، و(مظالم) مضاف إليه صُرِف للضرورة وهو جمع مظلَمَة بفتح اللام لأنه بمعنى الحدث أي الظلم وكسر اللام غير مقيس، (أو للشفاعة) معطوف على (لنصح)، و(في المراضي) متعلق بالشفاعة وهو جمع مرضاة، والمراد في مرضاة الإله، (فادخلا) الفاء للتفريع، و(ادخلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا.. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (إن في جهنم واديا/ إذا فتح استجارت منه النار سبع مرات أعد للقراء المرائين وأشد القراء عذابا الذين يزورون الأمراء) وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (العلماء أمناء الرسل عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فإذا فعلوا ذلك فقد خالفوا الرسل وخافوهم فاحذروهم واعتزلوهم).

من علامات علماء الآخرة عدم الإسراع إلى الفتوى وقول لا أدري

(وإلى الفَتَاوِي لا يَكُونَ مُسَارِعَاً) أي والخامسة ألا يكون مسارعا إلى الفتاوي إذ التسرع إليها والاشتياق إلى أن يكون هو المسئول دلالة على طلب الجاه. بل يكون متوقفا محترزا عنها ما وجد إلى الخلاص سبيلا. (ويَقُولَ اسْأَل مَن يَكُونُ تَأَهَّلا)[1] دفعا عن نفسه احتياطا وجزما إن سئل عما يظنه تخمينا به.

(وأَبَي اجْتِهاداً لا يَكُونُ تَعَيَّنا) عليه بأن كان في غيره غنية؛ لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم. (ويَقُولُ لا أدْرِي إذا لَمْ يَسْهُلا)[2]، أي الاجتهاد عليه، ولا

---

(١) إعراب البيت: (وإلى الفتاوي) الواو عاطفة، والجار والمجرور متعلق بـ(مسارعا)، (لا يكون) (لا) نافية، و(يكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، واسمها مستتر يعود على عالم الآخرة، وأن وما بعدها معطوفان على (أن) (لا يطلب)، و(مسارعا) خبر (يكون)، (ويقول) الواو عاطفة، و(يقول) فعل مضارع منصوب بأن مقدرة، والمصدر المؤول معطوف على لفظ عدم المستفاد من النفي المضاف إلى المصدر المؤول والتقدير: من علامات عالم الآخرة عدم كونه مسارعا إلى الفتوى وقوله لمن يسأله اسأل من يكون متأهلا للفتوى، و(اسأل) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(من) اسم موصول مفعول أول لـ(اسأل)، ومفعوله الثاني محذوف أي عن الفتوى، و(يكون) فعل مضارع، واسمها يعود على (من)، و(تأهل) فعل ماض، وفاعله يعود على (من) والجملة صلة خبر (يكون). [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (وأبى) الواو واو الحال بتقدير قد، والجملة بعده في محل نصب حال من فاعل (يقول)، و(اجتهادا) مفعول (أبى) والتقدير: ويقول ذلك حال كونه ممتنعا عن اجتهاد، و(لا) نافية، و(يكون) فعل مضارع، و(اسمها) مستتر يعود على (اجتهادا)، و(تعينا) فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على (اجتهادا)، والجملة خبر (يكون)، وجملة=

Scanned by CamScanner

يستنكف عن قول لا أدري ففي الخبر: (العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري). وقال الشعبي: (لا أدري نصف العلم). ومن سكت لله تعالى حيث لا يدري فليس بأقل جزاء ممن نطق؛ لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس. وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف. وقال ابن مسعود رضي الله: (إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون). وقال إبراهيم بن أدهم: (ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت/ بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد على من كلامه).

من علامات علماء الآخرة: الحزن والانكسار والإطراق والصمت وآثار الخشية

والسادسة أن يكون حزينا، منكسرا، مطرقا، صامتا، تظهر آثار الخشية على حركته وسكونه ونطقه وسكوته، لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظرا مذكرا بالله تعالى وكانت صورته دليلا على علمه. فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة[1] والتواضع وقد قيل: (ما ألبس الله عبدا لبسة هي أحسن من خشوع في سكينة) فهي لبسة الأنبياء وسيماء الصديقين والعلماء.

١٢٥. وَيَكُونَ يَقْصِدُ بِالعُلُومِ وُجُودَهُ ... لِسَعَادَةِ العُقْبَى العَظِيمَةِ نَائِلا

١٢٦. فَيَكُونَ مُهْتَمّاً بِعِلمِ البَاطِنِ ... وَرِقَابُ قَلْبٍ لِلسِيَاسَةِ فَاعلا

١٢٧. مُتَوَقِّعاً لِطَرِيقِ عِلْمِ الآخِرة ... مِمَّا يَكُونُ مِنَ المُجَاهَدَةِ انْجَلا

= (يكون) الخ في محل نصب صفة لـ(اجتهادا)، (ويقول) الواو للاستئناف، و(يقول) فعل مضارع مرفوع، وفاعله يعود على عالم الآخرة، و(لا أدرى) مقول القول، (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، و(لم) جازمة، و(يسهل) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا، والتأكيد فيه قليل كما قال ابن مالك:

* وقل بعد ما ولم وبعد لا *

وفاعل (يسهل) ضمير يعود على الاجتهاد، وجواب (إذا) محذوف يدل عليه ما قبله. [من (ك) بتصرف].

(١) في الأصل يتفلت إلى تجملهم ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

من علامات علماء الآخرة قصد الآخرة بالعلم والاهتمام بعلم الباطن

(و) العلامة الثانية من علامات علماء الآخرة (يَكُونَ يَقْصِدُ بالعُلُوم)، أي يقصد بالاشتغال بالعلوم، (وُجُودَهُ لِسَعَادَةِ العُقْبَي العَظِيمةِ نَائِلا)[1]، أي وجوده[2] نائلا السعادة الآخرة التي هي وراء علم المكاشفة التي هي وراء علم المعاملة.

وإذا كان قصده ذلك (فَيَكُونُ مُهْتَمّاً بِعِلمِ البَاطِنِ) ليعرف به ما يفسد الأعمال ويشوش القلب (ورِقَابُ قَلْبٍ لِلسِيَاسَةِ) لنفسه (فَاعلا[3] مُتَوَقِّعاً لِطَرِيقِ عِلْمِ الآخِرة مِمَّا يَكُونُ مِنَ المُجَاهَدَةِ انْجِلا)[4] أي متوقعا انكشاف طرق الآخرة

---

(١) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، و(يكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وأن وما بعدها معطوفان على (أن) (لا يطلب) في بيت سابق، واسمها مستتر يعود على عالم الآخرة، وجملة (يقصد) خبرها، و(بالعلوم) الباء بمعنى من متعلقة بـ(يقصد)، و(وجوده) مفعوله، وضميره يعود على معلوم مما قبله وهو العلم أي وجود العلم، و(لسعادة) متعلق بـ(نائلا) وهي مضاف، و(العقبى) مضاف إليه، و(العظيمة) صفة لـ(سعادة)، و(نائلا) أي محصلا حال من الضمير في (وجوده) والتقدير: ويكون يقصد من العلوم حصول العلم الذي ينال به سعادة العقبى. [من (ك) بتصرف]

(٢) في الأصل كلمة تشبه (وجوب) ولعل الصواب هو ما أثبتناه. (ق)

(٣) إعراب البيت: (فيكون) الفاء عاطفة، و(يكون) معطوف على (يكون) قبله، واسمها يعود على عالم الآخرة، و(مهتما) خبرها، و(بعلم الباطن) متعلق بـ(مهتما)، (ورقاب) الواو عاطفة، و(رقاب) مفعول مقدم لـ(فاعلا) وهو مضاف، و(قلب) مضاف إليه، و(للسياسة) متعلق بـ(رقاب)؛ واللام تعليلية؛ و(فاعلا) معطوف على (مهتما). [من (ك) بتصرف]

(٤) إعراب البيت: (متوقعا) معطوف على مهتما بحذف حرف العطف، و(لطريق) متعلق بـ(انجلا) آخر البيت، و(مما يكون) (من) جارة، و(ما) اسم موصول، والجار والمجرور متعلق بـ(متوقعا)، و(يكون) فعل مضارع وهي تامة، وفاعلها ضمير يعود على (ما)، و(من المجاهدة) بيان لها فهو متعلق بمحذوف حال منها، و(انجلا) بكسر الجيم مصدر انجلى قصر للضرورة، والتقدير ويكون متوقعا انجلاء أي انشكافا لطريق علم الاخرة من المجاهدة التي تكون أي توجد منه. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[1] فإن المجاهدة والجلوس مع الله في الخلوة مع تطهير القلب عن شواغل الدنيا يكشف دقائق علوم الدين، ويفجر ينابيع الحكمة من القلب من غير عد ولا حصر. فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على/ مجاوزة مسموعه؟ وكم من مقتصر على المهم في التعلم متوفرا على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم ما تحار منه عقول ذوو الألباب؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» وفي بعض الكتب السالفة من قول الله تعالى: يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به، ولا تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحر من يعبر به فيأتي به. العلم مجعول في قلوبكم. تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين. أظهروا العلم في قلوبكم حتى يغطيكم فيعمركم. فكم من معادن دقيقة من أسرار القرآن يخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر يخلو عنها كتب أنفاسي ولا يطلع عليها أهلها. ولولا أن النور الباطن في القلب مستول وحالم على العلم الظاهر لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (استفت قلبك).

١٢٨. وَيَكُونَ مُعتَمِداً على تَقْلِيدِهِ ... لِشَرِيعَةٍ وعلى بَصِيرَته الجلا

من علامات علماء الآخرة: الاعتماد على تقليد الشريعة مع البحث في أسرارها

(و) العلامة الثالثة أن (يَكُونَ مُعتَمِداً) في معلوم (على تَقْلِيدِهِ لِشَرِيعَةٍ)، أي لصاحبها في أقواله وأفعاله، (وعلى بَصِيرَته الجلا)[2]، أي الجليلة وإدراكه

(١) العنكبوت: ٦٩

(٢) إعراب البيت: (ويكون) الواو عاطفة، و(يكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وأن وما بعدها معطوفان على (أن) (لا يطلب) السابق ذكرها، وهو أول العلامات وهذا آخرها، واسمها ضمير مستتر يعود على عالم الآخرة، و(معتمدا) خبرها، ومتعلقه محذوف أي في=

Scanned by CamScanner

بسواء قلبه لا على تقليد ما يسمعه من غيره، ولا على الكتب. فإذا قلد صاحب شريعة، فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره. فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعله، وهو لم يفعله إلا لسر فيه، فيكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال. فإن اكتفي بحفظ/ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما.

١٢٩. وأَئِمَّةٌ كالشَّافِعِيِّ ونَحْوِهِ ... كَانُوا على سِتٍ خِصَالٍ كُمَّلا

١٣٠. زُهْدٌ صَلاحٌ والعِبَادَةُ عِلْمُهُم ... بِعُلُومِ عُقْبَى نَافِعَاتٍ لِلمَلا

١٣١. وكَذَا الفَقَاهَةُ فِي مَصَالِحِ دِينِنَا ... وإرَادَةٌ بِتَفَقُّهٍ رَبَّ العُلا

١٣٢. فُقَهَاؤنا قَدْ تَابَعُوا في فِقْهِهِم ... لا غَيْرَ فاتْبَع فِي الجَمِيعِ لتَفْضُلا

أصحاب المذاهب المتبوعة كانوا متصفين بصفات علماء الآخرة

ولما كان أئمة المذاهب المتبوعة من علماء الآخرة جامعين لعلاماتهم وكان أكثر المقتدين بهم في مذاهبهم مخالفين لهم في مسيرهم، صرح بكونهم متصفين بصفات علماء الآخرة ليقتدي بهم أتباعهم فقال: (وأَئِمَّةٌ كالشَّافِعِيِّ[1] ونَحْوِهِ)، من أصحاب المذاهب المتبوعة مثل مالك[2].....

= علومه، و(على تقليده) متعلق بـ(معتمدا)، و(لشريعة) متعلق بـ(تقليد) وهو على حذف مضاف قبل شريعة وبعد اللام أي لذي شريعة، و(على بصيرته) معطوف على (تقليده)، و(الجلا) منصوب بنزع الخافض متعلق بمعتمد المقدر وهو بكسر الجيم وفتحها الكشف أي ومعتمدا في الجلاء على بصيرته. [من (ك) بتصرف].

(١) سبقت ترجمته وهو أشهر من أن يترجم له رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) هو: حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أَبُو عَبْدِ اللهِ: مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ [٩٣ ـ ١٧٩هـ]، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. روى عن نَافِعٍ، وَسَعِيْدٍ المَقْبُرِيِّ، وَعَامِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ المُنْكَدِرِ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ=

Scanned by CamScanner

وأبي حنيفة[1] وأحمد بن حنبل[2] .....

= دِينَارٍ، وخلق. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف «الموطأ ـ ط». وله رسالة في «الوعظ ـ ظ» وكتاب في «المسائل ـ خ» ورسالة في «الرد على القدرية» وكتاب في «النجوم» و«تفسير غريب القرآن» وأخباره كثيرة. ولجلال الدين السيوطي «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ـ ط». قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالكٌ النَجم. انظر الأعلام للزركلي (٢٥٧/٥)، سير أعلام النبلاء: (٤٩/٨)

(١) الإمام، فقيه الأمة، عالم العراق، أَبُو حَنِيْفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ بنِ زُوْطَى التَّيْمِيُّ، الكُوْفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ] ٨٠ ـ ١٥٠هـ [. الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. أخذ عن: عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، والشَّعْبِيِّ، وغيرهم كثير. أراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبـه إلى أن مات (قال ابن خلكان: هذا هو الصحيح). وكان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته! وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوريّ الصوت، إذا حدّث انطلق في القول وكان لكلامه دويّ، وعن الإمام الشافعيّ: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له «مسند ـ ط» في الحديث، جمعه تلاميذه، و«المخارج ـ خ» في الفقه، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. وتنسب إليه رسالة «الفقه الأكبر ـ ط» ولم تصح النسبة. توفي ببغداد وأخباره كثيرة. ولابن عُقْدة، أحمد بن محمد، كتاب «أخبار أبي حنيفة» ومثله لابن همام، محمد بن عبد الله الشيبانيّ، وكذلك للمرزباني، محمد بن عمران. انظر الأعلام للزركلي (٣٦/٨)، سير أعلام النبلاء: (٣٩٢/٦)

(٢) هو: الإمام حقا، شيخ الإسلام صدقا، أَبُو عَبْدِ اللهِ: أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلاَلِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ=

Scanned by CamScanner

وسفيان الثوري،[1] رضي الله عنهم ونفعنا بهم، (كَانُوا على سِتِ خِصَالٍ كُمَّلا)[2]، أي كانوا كاملين على هذه الخصال:

(زُهْدٌ صَلاحٌ)، أي وصلاح، (والعِبَادَةُ) لله تعالى[3] (عِلْمُهُم)، أي وعلمهم، (بِعُلُومِ عُقْبَي نَافِعَاتٍ لِلمَلا)[4]، أي للخلق في سعادة الآخرة. فإنهم

= شَيْبَانَ الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، [١٤٦ ـ ٢٤١هـ]، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه ينسب الحنابلة». انظر الأعلام للزركلي (٢٥٧/٥)، سير أعلام النبلاء: (٤٩/٨)

(١) هو: أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر [٩٧ ـ ١٦١هـ]. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة. وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، (الفرائض) وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئا. فنسيته. ولابن الجوزي كتاب في مناقبه. انظر الأعلام للزركلي (١٠٤/٣).

(٢) إعراب البيت: (أئمة) مبتدأ خبره جملة (كانوا)، (كالشافعي) متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي وذلك كالشافعي ونحوه معطوف على الشافعي، (كانوا) فعل ماض ناقص، والواو اسمها، و(على ست) يقرأ بالتنوين وهو متعلق بـ(كُمَّلا)، و(خصال) نعت له، و(كُمَّلا) بضم الكاف وتشديد الميم المفتوحة خبر كان، ويحتمل أن يكون (على ست) متعلقا بمحذوف خبر كان أي كانوا مشتملين على ست و(كملا) نعت مقطوع لـ(خصال) فهو مفعول لفعل محذوف أي أعني كمَّلا. [من (ك) بتصرف]

(٣) قال السيد البكري: (كان الأولى أن يقول على خمس خصال، لأن الصلاح والعبادة متحدان، إذ لا يخلو أحدهما عن الآخر. إلا أن يقال أن العبادة أعم لأنها قد تكون مع صلاح في الباطن وقد لا تكون معه).

(٤) إعراب البيت: (زهد) بالجر بدل من (ست) أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أي وهي زهد الخ، و(صلاح) معطوف على زهد بحذف العاطف، و(العبادة) معطوف على (زهد)، و(علمهم) معطوف أيضا عليه، (بعلوم) متعلق بـ(علمهم) وهي مضاف، و(عقبى) مضاف=

Scanned by CamScanner

كانوا منشغلين بعلوم القلوب، ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع اشتغالهم بعلم الفتاوي. (وكَذَا الفَقَاهَةُ فِي مَصَالِحِ دِينِنَا) ومعاملات الدنيا (وإرَادَةٌ بِتَفَقُّهِ رَبَّ العُلا)[1] كما علم من أقوالهم وشوهد من أفعالهم[2] والكتب مشحونة بسيرهم وأحوالهم.

علماء هذه الأزمان قد تابعوا الأئمة في الفقه فقط دون الخصال المذكورة

(فُقَهَاؤنا) من جميع الفرق (قَدْ تَابَعُوا) الأئمة المذكورين (في فِقْهِهِم) وتفاريعه (لا غَيْرَ)، أي لا غير الفقه من الخصال المتقدمة، فإنّ الفقه يصلح في الدنيا والآخرة أيضا/ إذا أريد به وجه الله بخلاف البواقي فإنها لا يصلح إلا الآخرة. (فاتْبَع)، أي أنت، (فِي الجَمِيعِ)، أي في جميع الخصال المذكورة اقتداء بالأئمة المتبوعة، (لتَفْضُلا)[3] بذلك فإن شرفهم وعلو درجاتهم عند الله

= إليه، (نافعات) صفة لـ(علوم) والأفصح نافعة بالإفراد لأن علوم جمع كثرة والافصح فيه إفراد صفته، و(للملا) متعلق بـ(نافعات) والمراد بهم الخلق. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (زهد) بالجر بدل من (ست) أو بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أي وهي زهد الخ، و(صلاح) معطوف على زهد بحذف العاطف، و(العبادة) معطوف على (زهد)، و(علمهم) معطوف أيضا عليه، (بعلوم) متعلق بـ(علمهم) وهي مضاف، و(عقبى) مضاف إليه، (نافعات) صفة لـ(علوم) والأفصح نافعة بالإفراد لأن علوم جمع كثرة والافصح فيه إفراد صفته، و(للملا) متعلق بـ(نافعات) والمراد بهم الخلق. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل (وشواهد من أقوالهم) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) إعراب البيت: (فقهاؤنا) مبتدأ، (قد تابعوا) الجملة خبر، ومفعوله محذوف أي تابعوهم أي الأئمة، (في فقههم) متعلق بـ(تابعوا)، (لا غير) (لا) نافية تعمل عمل (إن)، و(غير) اسمها، والخبر محذوف أي لا غير ذلك موجود، (فاتبع) الفاء فاء الفصيحة أي إذا علمت أحوالهم فاتبع الخ، و(اتبع) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(للجميع) اللام زائدة، و(الجميع) مفعول (اتبع)، (لتفضلا) اللام لام كي، و(تفضلا) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا والفاعل مستتر تقديره أنت. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

لم يكن بمجرد علم الظاهر والتوسع في تفاريع المسائل الفقهية، بل لكونهم من علماء الآخرة جامعهم بعلاماتهم مستأنسين فيها بالصحابة والتابعين والسلف الصالحين[1] رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم. فإن أردت أن تطلع على أحوالهم فعليك بالإحياء وغيره.

١٣٣. فَتَعَلَّمَن لِلّٰهِ عِلْمَاً نَافِعَاً ... إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مُلْكَ دارَيْنِ اعْتِلا

١٣٤. تَعْلِيمُهُ لِلّٰهِ خَيْرُ عِبَادَةٍ ... وخِلَافَةٍ وَوِرَاثَةٍ فتَوَسَّلا

الحث على تعلم العلم النافع وتعليمه لله

فإذا عرفت ما ذكرنا (فَتَعَلَّمَن لِلَّهِ) لا لغيره من مصالح الدنيا (عِلْمَاً نَافِعَاً) لك في الآخرة وهو العلم الذي يعرفك حقارة الدنيا ويدعوك إلى الآخرة (إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مُلْكَ دارَيْنِ)، أي الدنيا والآخرة، (اعْتِلا)[2]؛ فإن ثمرة العلم في الآخرة القرب من الله، ومقارنة الملائكة وفي الدنيا العزز والوقار، ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام الطبائع حتى على أغنياء الترك وأجلاف العرب.

قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم). (تَعْلِيمُهُ)، أي العلم النافع محتاجا إلى التعلم، (لِلَّهِ خَيْرُ عِبَادَةٍ)

---

(١) في الأصل (السلف صالحين) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (فتعلمن) الفاء للتفريع، و(تعلمن) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة، والفاعل مستتر تقديره أنت، (لله) متعلق بـ(تعلمن)، و(علماً) مفعول (تعلمن)، و(نافعاً) صفته، (إن كنت) (إن) شرطية، و(كنت) فعل الشرط، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فتعلمن الخ، و(تطلب) فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(ملك) بضم الميم مفعول (تطلب وهو مضاف، و(دارين) مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى، و(اعتلا) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على (ملك)، والجملة في محل نصب صفة لـ(ملك) أو حال منه. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

له سبحانه إذ هو نفع متعد (و) خير (خِلَافَةٍ) له، فإنه كالخازن لا تنفي خزائنه ثم هو مأذون له في الإنفاق على كل محتاج إليه، فأي مرتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين/ خلقه في تقريبهم إلى الله زلفي وسياقهم إلى جنة المأوى؟ (و) خير (وِرَاثَةٍ) لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن العلماء ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم. ومعلوم ألا رتبة فوق النبوة، ولا منصب فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة. وإذا كان تعليمٌ بهذه المرتبة العلية (فَتَوَسَّلا)[1] إلى الله بالتعليم لله تعالى حتى ترتفع درجتك. وإن التعليم أشرف من التعلم لتعدي نفعه.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير».

١٣٥. وَجِّــهْ كَلامَ القَــوْمِ غَــيْرَ مُخَطِّــئٍ ومُعَلِّمَــاً وَقِّــرْ وَلَسْــتَ مُجَــادِلا

من آداب المتعلم: عدم تخطئة القوم، وتوقير المعلم وترك الجدال

ولما فرغ من ذكر علامات علماء الآخرة شرع في ذكر آداب المتعلم التي لابد منها ليتأدب بها فقال: (وَجِّه كَلامَ القَوْمِ)، أي اجعل له وجها، (غَيْرَ مُخَطِّئٍ) لهم معترض عليهم؛ فإن ذلك يكدر القلب ويبلّد الذهن. فربما تعترض اعتراضا ليس بوارد فتصير ضحكة المتعدين[2] ومسخرة العلماء المحققين. (ومُعَلِّمَاً وَقِّرْ)، أي عظمه، فإن تعظيمه من تعظيم العلم ولا ينال العلم إلا بتعظيم العلم وأهله (وَ) الحال أنك (لَسْتَ مُجَادِلا)[3] فإنه أقرب إلى انتفاعك

(١) إعراب البيت: (تعليمه) مبتدأ، و(خير) خبره، و(عبادة) مضاف إليه، و(خلافة) معطوف على (عبادة)، و(وراثة) بكسر الواو معطوف أيضاً على (عبادة)، (فتوسلا) الفاء فاء الفصيحة واقعه في جواب شرط مقدر، و(توسلا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل النون الخفيفة المنقلبة ألفا. [من (ك) بتصرف]

(٢) كذا في الأصل وهي بعيدة في هذا السياق. والله أعلم

(٣) إعراب البيت: (وجه) فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(كلام) مفعوله، و(القوم)=

Scanned by CamScanner

به، ورسوخ ما سمعته منه في ذهنك.

١٣٦. واسْتَفْسِرْ الأُسْتَاذِ تَتْرُكُ مَا بَدَا لبَدِيهِ فَهْمِكَ مِنْ كِتَابٍ واسْأَلا

من آداب المتعلم: الاستفسار وترك ما يظهر لبديهة الفهم

(واسْتَفْسِرْ الأُسْتَاذِ) فيما اشتبه عليك طالبا لفهمه مفتشا تفتيشا (تَتْرُكُ مَا بَدَا لبَدِيهِ فَهْمِكَ مِنْ) مطالعة (كِتَابٍ واسْأَلا)[1] أي واسأله حتى يتحقق عندك/ من غير معارضة. وأصْغِ بإلقاء السمع وحضور العقل إلى ما يقرر الأستاذ. فربما طالعت وفهمت ما ليس بمراد المصنف أو الشارح ولا يتمكن[2] الأستاذ من التقرير والتحقيق بمعارضتك وجدالك. فمثل هذ المتعلم لا ينتهي بل ربما يتراجع. وفي الرسالة القدسية: (ولقد رينا كثيرا من الطلبة المتعنتين لم يرعوا حرمة الأساتذة وجادلوا معهم جدالات المراآة والمفاخرة عند الأقران فتراجعوا ولم ينتفعوا بعلمهم بل صاروا أذلة متراجعين عندهم).

= مضاف إليه، (غير) منصوب على الحال من (كلام)، و(مخطئ) بضم الميم وفتح الخاء وتشديد الطاء المكسورة مضاف إليه، و(معلماً) مفعول مقدم لـ(وقر) وهو فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(لست) الواو الحال، وليس فعل ماض ناقص، والتاء اسمها مبني على الفتح، و(مجادلا) خبرها. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (واستفسر) الواو عاطفة، و(استفسر) فعل أمر، والسين والتاء للطلب، و(الأستاذ) مفعوله، و(اترك) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب، و(بدا) فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر، والفاعل ضمير مستتر يعود على (ما)، والجملة صلة الموصول، و(لبديه) متعلق بـ(بدا) وهو مضاف، و(فهم) مضاف إليه من إضافة الصفة للموصوف وهو مضاف، والكاف مضاف إليه مبني على الفتح، و(من كتاب) متعلق بـ(بدا)، و(اسألا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المتقلبة ألفا وهو معطوف على (استفسر) ذكر للتأكيد. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل (ولا يمكن) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

١٣٧. قَابِلِ كِتَابَكَ قَبْلَ وَقْتِ مُطَالَعَةْ بِصَحِيحِ كُتْبٍ وَاضِحٍ قَدْ عُوِّلا

١٣٨. طَالِعْ مِرَاراً مَتْنَهُ قَبْلَ الشُّرُو ح فَإِنَّهُ أَوْلَى وأَحْسَنَ مَوئِلا

١٣٩. ولِفَهْمِ سَطْرٍ مِنْ مُتُونٍ أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِ أَسْطُرْ مِنْ شُرُوحٍ فَاقْبَلا

الحث على تصحيح الكتاب قبل المطالعة والبدء بالمتون قبل الشروح

(قَابِلِ كِتَابَكَ) وصححه (قَبْلَ وَقْتِ مُطَالَعَةْ بِصَحِيحِ كُتْبٍ وَاضِحٍ قَدْ عُوِّلا)[١]، أي قد اعتمد عليه حتى يصح كتابك. وبعد ذلك (طَالِعْ مِرَاراً مَتْنَهُ)، أي متن الكتاب، (قَبْلَ) مطالعة (الشُّرُوحِ فإِنَّهُ أَوْلَى) لحصول الفائدة ذلك[٢] (وأَحْسَنَ مَوئِلا)[٣]، أي مرجعا، ليتمكن في ذهنك. (ولِفَهْمِ سَطْرٍ مِنْ مُتُونٍ أَحْسَنُ) للمتعلم وأنفع (مِنْ) فهم (عَشْرِ أَسْطُرْ مِنْ شُرُوحٍ فَاقْبَلا)[٤] ما ذكرناه من

---

(١) إعراب البيت: (قابل) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، (كتابك) مفعوله، (قبل) ظرف متعلق بـ(قابل) وهو مضاف، و(وقت) مضاف إليه وهو مضاف، و(مطالعة) مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة منع من ظهورها سكون الضرورة، (بصحيح) متعلق بـ(قابل) وهو مضاف، و(كتب) مضاف إليه، والإضافة على معنى (من) أي الصحيح من الكتب، و(واضح) صفة لـ(صحيح)، (قد عولا) (قد) حرف تحقيق، و(عولا) فعل ماض، ونائب الفاعل يعود على (صحيح) والأصل قد عول عليه فحذف الجار واتصل الضمير بعامله واستتر. [من (ك) بتصرف].

(٢) كذا في الأصل ولا أرى لكلمة (ذلك) موقعا من الجملة.

(٣) إعراب البيت: (طالع) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، (مرارا) نائب عن المفعول المطلق والأصل مطالعات مرار أي متكررة، و(متنه) مفعول (طالع)، و(قبل) ظرف مكان متعلق بـ(طالع) وهو مضاف، و(الشروح) مضاف إليه، (فإنه) الفاء للتعليل، و(إن) حرف توكيد ونصب، والهاء اسمها، و(أولى) خبرها، و(أحسن) معطوف على (أولى)، و(موئلا) تمييز أو منصوب بإسقاط الخافض. [من (ك) بتصرف].

(٤) إعراب البيت: (ولفهم) اللام لام الابتداء، و(فهم) مبتدأ وهو مضاف، و(سطر) مضاف إليه، و(من متون) متعلق بمحذوف صفة لـ(سطر) أي سطر كائن من متون، و(أحسن) خبر المبتدأ، و(من عشر) متعلق بـ(أحسن) ولابد من تقدير مضاف بعد (من) وقبل (عشر)=

Scanned by CamScanner

الآداب. ولإعمال[1] الذهن وتقوية القريحة اختصر العلماء المطولات وقل من تعود قراءة الشهور بدون مراجعة المتن وتطبيق وهذا[2]. بذلك يحصل له فهم ذلك الفن كما ينبغي. إذ الشرح نشر الكلام والمتن مضبوط النظام. وربما لا يستحضر الذهن جميع كلام الشرح فيفوته استحضار المهم من الفن. فإن وجد طالب العلم هذه المعاني وجب عليه أن يتوب إلى الله/ تعالى وكذلك المدرس.

الترتيب الواجب في طلب العلم

١٤٠. وابْدَأْ بِفَرْضِ العَيْنِ ثُمَّ اعْمَلْ بِهِ ... ثُمَّ الكِتَابِ فَسُنَّةٍ مُتَرَتِّلا

١٤١. واتْبِعْ بِعِلْمِ الفِقْهِ ثُمَّ أُصُولِهِ ... ثُمَّ البَوَاقِي رَاعِ تَدْرِيجاً بلا

١٤٢. وعُلُومُ آدابٍ ثَمَانِيَةٌ لغة ... صَرْفٌ ونَحْوٌ والمَعَانِي المفضَلا

١٤٣. وكَذَا بَيَانٌ والبَدِيعُ وقَافِيَة ... وكَذَا عَرُوضٌ فَاطْلُبَنْهَا مُجْمَلا

١٤٤. وفُرُوعُهَا انْشَاءُ نثرٍ والنِظَامْ ... ومُحَاضَراتٍ والخُطُوطُ فأجْمِلا

(وابْدَأْ) في التعلم إن أردت إصلاح نفسك (بِفَرْضِ العَيْنِ) وهو كما تقدم ما يصح به طاعتك بحسب ما يقتضيه حالك تقدم الأهم فالأهم، وصفات القلب ما يحمد منها وما يذم، بل تعلم هذه الأهم؛ إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأمثالها. واهمالها مع

= أي من فهم عشر، و(أسطر) مضاف إليه وهو يقرأ بسكون الراء لأجل الوزن، و(من شروح) متعلق بمحذوف صفة لـ(أسطر)، (فاقبلا) الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ذلك فاقبلن وصيتي لك واعمل بها. [من (ك) بتصرف].

(١) في الأصل (والأعمال) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) هذا هو المكتوب في الأصل. ولعل هناك سقطا أو تصحيفا. وربما يكون التقدير: (وقل من تعود قراءة الشروح بدون مراجعة المتن والتطبيق بين هذا وهذا) أو ما شابه. والله أعلم.

Scanned by CamScanner

الاشتغال بالأعمال الظاهرة بل[1] يضاهي الاشتغال بطِلا ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والاسهال.

(ثُمَّ اعْمَلْ بِهِ)، أي بفرض العين، فإن المراد من العلم العمل به. وما لم تفرغ من فرض العين علما وعملا فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي الخلق من قام به فإن مهلك نفسه في طلب الصلاح غير سفيه. فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب داخل ثيابه، وهمت بقتله، وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا ينجيه من تلك الحيات والعقارب، إذا هممت به!

(ثُمَّ الكِتَابِ)، أي إذا فرغت من فرض العين فاشتغل بكتاب الله تعالى، (فَسُنَّةٍ)، أي ثم بسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (مُتَرَتِّلا)[2] في الاشتغال بالتدريج بأن لا يشتغل بالحديث قبل القرآن استعجالا ثم بعلمي التفسير وما يتعلق بهما من علم الناسخ والمنسوخ والمحكم/ والمتشابه وغيرها.

(واتْبَعْ) العلوم المذكورة (بِعِلْمِ الفِقْهِ)، أي فروعه دون الخلاف، (ثُمَّ أُصُولِهِ ثُمَّ البَوَاقِي) من العلوم كاللغة والنحو (رَاعٍ) فيها (تَدْرِيجاً بلا)[3] على ما

---

(١) كذا في الأصل. ولا أرى معنى كلمة (بل) في هذا السياق. ولعل الصواب خلو النص عنها. والله أعلم

(٢) إعراب البيت: (وابدأ) الواو للاستئناف، و(ابدأ) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(بفرض) مستتر، والجملة معطوفة على جملة ابدأ، و(به) متعلق بـ(اعمل)، وضميره يعود على (فرض العين)، (ثم الكتاب) (ثم) حرف عطف، و(الكتاب) يحتمل قراءته بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره تعلم الكتاب والعطف من عطف الجمل، ويحتمل قراءته بالجر على أنه معطوف على (فرض العين) ويقدر له متعلق يناسبه أي ثم اشتغل بالكتاب والأول أولى، (فسنة) يقرأ بالنصب على الاحتمال الأول وبالجر على الاحتمال الثاني، و(مترتلا) حال من فاعل (تعلم) على الاحتمال الأول أو من فاعل (ابدأ) على الاحتمال الثاني. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: و(اتبع) فعل أمر من أتْبَعَ فهمزته همزة قطع، لكن حذفت للوزن وباؤه=

Scanned by CamScanner

يتسع له وقتك. ولا تستغرق عمرك في واحد منها طالبا للاستقصاء؛ فإن العلم كثير والعمر قصير، وهذه العلوم آلات وليس مطلوبة لعينها بل لغيرها.

وبين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من العلوم بقوله «ثم البواقي» حيث قال: **(وعُلُومُ آدابٍ ثَمَانِيَةٌ لغةٌ صَرْفٌ)**، أي وصرف، **(ونَحْوٌ[1] والمَعَانِي المفضَلا)[2]**، أي مفضلة بحذف التاء للوزن، **(وكَذَا بَيَانٌ والبَدِيعُ وقَافِيَةْ وكَذَا عَرُوضٌ فَاطْلُبَنْهَا)**، أي هذه العلوم، **(مُجْمَلا[3] وفُرُوعُهَا)**، أي فروع علوم الأدب، **(انْشَاءُ نثرٍ**

= مكسورة، ومفعوله محذوف أي: ما ذكر من فرض العين والكتاب والسنة، و(بعلم) متعلق بـ(اتبع)، و(الفقه) مضاف إليه، (ثم) حرف عطف، و(أصوله) معطوف على (علم الفقه)، (ثم) حرف عطف، و(البواقي) معطوف على (علم الفقه) مجرور بكسرة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، و(راع) فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره أنت، و(تدريجا) مفعوله، ومتعلقه محذوف أي راع تدريجا في العلوم المذكورة، و(بلا) بكسر الباء مصدر بلا يبلو بمعنى اختبر وهو منصوب على الحال من فاعل (راع) بتأويله باسم الفاعل أي راع التدريج فيها حال كونك مختبرا، ومتعلقه محذوف أي للأهم فالأهم. [من (ك) بتصرف]

(١) في الأصل تكرار (ونحو) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) إعراب البيت: (علوم) مبتدأ، و(آداب) مضاف إليه، و(ثمانية) خبر المبتدأ، و(لغة) بدل من (ثمانية أو خبر ابتداء محذوف أي أحدها لغة، و(صرف) معطوف على (لغة) بحذف العاطف، و(نحو) معطوف على (لغة)، و(المعاني) معطوف أيضا على (لغة)، و(المفضلا) صفة للمعاني، ولما كان المراد به العلم وهو مذكر لم يدخل التاء على صفته. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (وكذا) خبر مقدم، و(بيان) مبتدأ مؤخر أو معطوف على (لغة) و(كذا) متعلق بمحذوف حال منه، و(البديع وقافية) معطوفان عليه، (وكذا عروض) يقال فيه مثل ما قيل فيما قبله فاطلبنها الفاء فاء الفصيحة وهي واقعة في جواب شرط مقدر أي وإذا عرفت أن علوم الآداب هذه الثمانية فاطلبنها أي من مواضعها، و(اطلبنها) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، وفاعله مستتر، و(ها) مفعوله، و(مجملا) يقرأ إما بصيغة اسم المفعول وعليه يكون حالا من مفعول (اطلبنها) ويكون بحذف التاء للوزن، وإما بصيغة اسم الفاعل=

Scanned by CamScanner

والنِظَامْ)، أي علم انشائها، (ومُحَاضَراتٌ)، أي وعلم المحاضرات من القصص والحكايات ومن التواريخ، (والخُطُوطُ)، أي وعلم الخط، (فاجْمِلا)[1]، أي فاجمعا ـ من أجمل الشيء إذا جمعه عن تفرق ـ. فهذه الاثنا عشر قسما. ولم يذكر علم الاشتقاق اتّباعا لمن جعله من علم الصرف.

النهي عن الاشتغال بالمسائل التي لا يحتاج إليها من المنطق والكلام

١٤٥. لا تَغْتَرِر بِوُقُوعِ أَهْلِ زَمَانِنَا ... فِي مَنْطِقٍ ثُمَّ الكَلامُ تَوَغَّلا

ولما فرغ من عد العلوم المحتاج إليها، عقب بالنهي عن الاشتغال بما لا يحتاج إليه فقال: (لا تَغْتَرِر بِوُقُوعِ أَهْلِ زَمَانِنَا فِي مَنْطِقٍ ثُمَّ الكَلامُ تَوَغُّلا)[2]، أي ممعنا فيهما.

العلم بالله وصفاته ما يجب منها وما يستحيل وما يجوز من أجل علوم الشريعة وهو فرض عين

وأما العلم بالله وصفاته وما يجب له وما يستحيل عليه وهو علم الاعتقاد فمن أجل علوم الشريعة/ بل هو فرض عين كما تقدم والعالم به من أفضل العلماء ويصرف له من الوصية للعلماء والوقف عليهم.

= وعليه يكون حالا من فاعل (اطلب) ومعناه على الأول مجموعة وعلى الثاني متقنا ومحسنا. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (وفروعها) مبتدأ، و(انشاء) وما عطف عليه خبر المبتدأ وهو مضاف، و(نثر) مضاف إليه، و(النظام) معطوف على (نثر)، (فأجملا) الفاء فاء الفصيحة، و(أجمل) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة وهو بمعنى أحسن وأتقن. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (لا) ناهية، و(تغترر) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(بوقوع) متعلق بـ(تغترر) وهو مضاف، و(أهل) مضاف إليه وهو مضاف، و(زماننا) مضاف إليه، و(في منطق) متعلق بـ(وقوع)، (ثم الكلام) (ثم) حرف عطف، و(الكلام) منصوب بإسقاط الخافض متعلق بما بعده، و(توغلا) فعل مضارع مؤكد بالنون فأصله تتوغلا بتائين حذفت إحداهما وهو معطوف على (تغترر) فتكون لا الناهية مسلطه عليه وأعرب في الشرح: (توغلا) منصوب على الحال من (أهل زماننا) بتأويله باسم الفاعل، أو منصوب على أنه نائب عن المفعول المطلق والأصل وقوع توغل وعلى إعرابه المذكور يكون (توغلا) مصدر توغل ويكون الكلام بالجر معطوفا على (منطق). [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

١٤٦. طَـالِعْ أخي إحيـاء غَـزَّال تَنَـلْ فِيـهِ الشِـفَا مِـن كُلّ دَاءٍ أَعْضَـلَا

الحث على مطالعة (الإحياء) للإمام الغزالي

(طالِعْ أخي إحياء غَزَّال)، أي إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام محمد الغزّالي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا بعلومه، (تَنَلْ فِيهِ الشِفَا مِن كُلّ دَاءٍ أَعْضَلَا)[٢] فإنه قسم العلوم إلى شرعية [وغير شرعية][٣]، وغير الشرعية إلى محمود ومذموم، وبين ما يحتاج إليه من العلوم وما لا يحتاج إليه، وحد الاقتصار والاقتصاد والاستقصاء في المحتاج إليه، وقسم علوم الآخرة إلى علوم معاملة وهو ما يراد به من علمه العمل ويرجع إلى معرفة أحوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والرضا والزهد والخوف والرجاء وما يذم منها كخوف الفقر والحسد والغل والكبر والرياء والطمع، وإلى علوم مكاشفة وهو ما يراد منه كشف العلوم فقط دون العمل وهو غاية العلوم بل هو المراد من جميع العلوم، وجميع العلوم إنما تراد للتوسل بها إليه.

قال بعض العارفين (من لم يكن له نصيب من هذا العلم خاف[٤] عليه سوء الخاتمة وأدني النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) إعراب البيت: (طالع) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(أخي) منادى حذف منه حرف النداء والأصل: يا أخي، و(إحياء) مفعوله وهو بكسر الهمزة والمد مضاف، و(غزّال) بتشديد الزاي وحذف ياء النسبة للوزن مضاف إليه، وفي بعض النسخ: إحيا غزاليٍّ بقصر (إحياء) وتخفيف زاي غزاليّ وثبوت ياء النسبة، (تنل) فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وفعله مستتر تقديره أنت، و(فيه) متعلق بـ(تنل)، و(الشفا) مفعول (تنل)، و(من كل داء) متعلق بـ(الشفا)، و(أعضلا) فعل ماض، وفاعله يعود على (داء)، والجملة صفة له أي كل داء موصوف بكونه أعضل أي اشتد. [من (ك) بتصرف.

(٣) ما بين المعقوفتين من زيادتي. ولعله سقط من الأصل. وهكذا قسم الغزالي العلوم. (ق).

(٤) كذا في الأصل. ولعل الصواب (خيف).

Scanned by CamScanner

ينكره ألا يزرق منه شيئا. وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبادة من نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة بالرياضة/ الصادقة ينكشف في ذلك النور حقائق أمور كان يسمع قبل أسمائها، حتى يحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله العجيبة في خلق السماوات والأرض وبحكمة خلق الدنيا والآخرة والمعرفة بحقيقة الآخرة وهو الجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب إلى غير ذلك مما تفصيله. فيرفع الحجاب عن قلبه حتى يتضح له حيلة الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجري العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم خبثها وصدؤها بقاذورات الدنيا.

وإليه أشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء». وإليه الإشارة بما تقدم من وحيه تعالى إلى بعض الأنبياء: (لا تقولوا العلم وراء البحار من يعبر فيأتي به إنما العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بآداب الروحانيين) إلى آخره. ولا سبيل إليه إلا بعد إحكام علم المعاملة ولا يكفي علم المعاملة دون المعاملة. وفي المعاملة تستقيل مرآة القلب عن كدورات الدنيا وخبائث الأخلاق وظلمات الشهوات التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وأفعاله. ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرياضة وهو تزكية القلب من الصفات المذكورة وتحليتها بالصفات المحمودة.

١٤٧. كُلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِن حَلَالٍ لا شُبَهْ ... ما لَمْ يَذُمَّ الشرعُ ذَلِكَ حَلِّلَا

١٤٨. لا شَيءَ أَنْفَعُ مِن تَقَلُّلِ أَكْلِهِ ... وشَرَابِهِ للجِسْمِ والدِينِ اعْتِلَا

١٤٩. آفَاتُ شَبعٍ ثُقْلُ جِسْمٍ قَسْوَةُ الـ ... ـقَلْبِ الإزَالَةُ فِطْنَةً مُتَمَلْمِلَا

١٥٠. تَضْعِيفُ جِسْمٍ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ ... جَلْبٌ لِنَوْمٍ فاحْذَرَنْهُ وعَبْهِلَا

Scanned by CamScanner

بيان آداب الأكل

ولما نجز/ الكلام في الأشغال التي بعد صلاة الضحى شرع في آداب الأكل الذي بعدها فقال:

(كُلْ) أيها السالك (بَعْدَ ذَلِكَ)، أي بعد تمام الشغل الذي بعد صلاة الضحى، (مِن حَلَالٍ) برعاية آدابه التي بعده وقبله ومعه (لا شُبَهْ). قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). فالاجتناب عن الشبهات ورع الصالحين. وهو مستحب الواجب في فتوى المفتي بناءا على الظاهر. فالاجتناب عن الحرام واجب. ودرجات الحلال كثيرة وبعضها أعلى من بعض لكن (ما لَمْ يَذُمَّ الشرعُ ذَلِكَ حَلَّلَا)[1]، أي فهو حلال رحمة من الله تعالى على عباده. كما قال شيخ الشيوخ الشيخ شهاب الدين السهروردي[2] قدس الله سره: (والاستقصاء البالغ في الحلال على قانون الورع الأعلى مما يفضي إلى الجرح)[3].

ومن آداب الأكل تقليل الطعام ليكون صادقا في نية التقوي للعبادة فإن الشبع يمنع من العبادة، ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا شَيءَ أَنْفَعُ) للسالك (مِن تَقَلُّلِ أَكْلِهِ وشَرَابِهِ) والاقتصار على ما دون الشبع (للجِسْمِ والدِينِ اعْتِلَا)[4] فإن

---

(١) إعراب البيت: (كل) فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، و(بعد) ظرف متعلق به وهو مضاف، واسم الإشارة مضاف إليه، و(من حلال) متعلق بالفعل أيضاً، (لا شبه) (لا) عاطفة، و(شبه) معطوف على (حلال)، (ما) اسم موصول مبتدأ أول، و(لا) نافية، و(يذم) فعل مضارع، و(الشرع) فاعله، والجملة صلة (ما) وعائدها محذوف أي يذمه، (ذلك) اسم اشاره مبتدأ ثان، و(حلل) فعل ماض مبني للمجهول، نائب فاعله يعود على اسم الإشارة، والجملة خبر عنه، واسم الإشارة وخبره خبر المبتدأ الاول. [من (ك) بتصرف].

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) ومعنى قول الشيخ السهروردي أن بذل الجهد البالغ في طلب الحلال وترك كل شيء لاحتمال شبهة أن يكون حراما غير مطلوب، بل يفضي إلى الجرح أي القدح والذم. والله أعلم.

(٤) إعراب البيت: (لا شيء) (لا) نافية للجنس تعمل عمل إن، وشيء اسمها، وخبره=

Scanned by CamScanner

الشبع يمنع من البعادة. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما ملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبا فإن لم يفعل فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس) وفي قلة الأكل صحة البدن/ ودفع المرض وصحة القلوب من الطغيان بما فضل من الأطعمة على اليتامي والمساكين ودفع النوم وتيسير المواظبة على العبادة وكسر شهوات المعاصي وغير ذلك.

بيان آفات الشبع

ثم ذكر آفات الشبع بقوله: (آفَاتُ شَبعٍ ثُقْلُ جِسْمٍ) فإنه إذا ثقل غلبت عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء ولذا قيل: (إذا كنت بطينا فعد نفسك زمنان).

(قَسْوَةُ القَلْبِ) أي قسوته وذهاب نوره. روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء يموت وإنما صفاؤها بالجوع). (الإِزَالَةُ فِطْنَةً) أي ازالتها وافسادها (مُتَمَلْمِلَا)[1] فإن البطنة تذهب الفطنة. ولقد صدق الداراني[2] حيث يقول: (إذا

= محذوف أي موجود، و(أنفع) يقرأ بالنصب صفة لـ(شيء)، و(من تقلل) متعلق بـ(أنفع) وهو مضاف، و(أكله) مضاف إليه، و(شرابه) معطوف على (أكله)، و(للجسم) متعلق بـ(أنفع)، و(الدين) معطوف على (الجسم)، و(اعتلا) فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر يعود على الدين، والجملة في محل نصب حال من الدين أي حال كونه معتليا وهي حال لازمة. [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (آفات) مبتدأ، و(شبع) بكسر الشين وسكون الباء مضاف إليه، و(ثقل) بكسر الثاء وسكون القاف خبر المبتدأ، و(جسم) مضاف إليه، و(قسوة القلب) بالرفع معطوف على (ثقل) وهي مضاف، و(القلب) مضاف إليه، و(الإزالة) بالرفع معطوف أيضا على (ثقل)، و(فطنة) مفعول (الإزالة) لجواز عمل المصدر المحلي بالألف واللام، أو منصوب بإسقاط الخافض أي للفطنة، و(متمللا) خبر يكون مقدرة مع اسمها أي ويكون كثير الأكل متململا أي متقلبا ليس بثابت. [من (ك) بتصرف]

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل=

Scanned by CamScanner

أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة حتى تقتضيها فإن الأكل العقل) وهذا أمر ظاهر، علمه من اختبره.

(تَضْعِيفُ جِسْمٍ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ) فإن المعلوم يقينا أن العبادة لا يجيء شيء منها إذا امتلأ البطن وإن أكرهت النفوس[1] على ذلك وجوهدت على ذلك بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة وحلاوة ولذا قيل: (لا مطمع بحلاوة في العبادة مع كثرة الأكل وأي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة وحلاوة)

(جَلْبٌ لِنَوْمٍ) فإن من شبع شرب كثيرا[2] ومن كثر شربه/ كثر نومه. وكذلك كان يقول بعض الشيوخ على السفرة: (معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثرا فتخسروا كثيرا) وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب. والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد، فيه يتّجر، والنوم موت فبكثرته ينقص من العمر وإذا عرفت ما في الشبع من الآفات (فاحْذَرَنْهُ) أي الشبع (وعَبْهِلَا)[3] أي أهمله. قال سهل بن عبد الله:

= داريّا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده. كان من كبار المتصوفين. له أخبار في الزهد. انظر الرسالة القشيرية (٦١/١)، وطبقات الصوفية (٧٤/١)، الأعلام للزركلي (٢٩٣/٣).

(١) في الأصل (نفوس) ولعل الصواب هو ما ذكرناه من جعلها معرفة. (ق).

(٢) في الأصل (شرب كثير) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) إعراب البيت: (تضعيف) معطوف على (ثقل) في البيت السابق أيضاً بحذف حرف العطف، و(جسم) مضاف إليه، (عن عبادة) متعلق بـ(تضعيف) وهي مضاف، و(ربه) مضاف إليه، (جلب) معطوف أيضا على (ثقل) بحذف حرف العطف، و(لنوم) متعلق بـ(جلب)، (فاحذرنه) الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعه في جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت آفات الشبع فاحذرنه، و(احذرنه) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره=

Scanned by CamScanner

(لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وفي الجوع[1] العلم والحكمة). وقال يحيي بن معاذ الجبل[2]: (الجوع نور والشبع نار والشبهة مثل الحطب يتولد منه الإحراق، ولا ينطفي ناره حتى يحرق صاحبه).

١٥١. قِـلْ بَعـدَ ذَلِـكَ للسُـهَادِ لطَاعَـةٍ ... ثُـمَّ انْتَبِـه قَبْـلَ الـزَوَالِ تَسَـلْلَا

١٥٢. والظُهْـرَ صَـلِّ جَمَاعَـةً مـع سُـنَّةٍ ... ثُمَّ اشْـتَغِلْ بـالخَيْرِ مِمَّـا قَـد خَـلَا

١٥٣. فلِطَالِـبٍ عِلْمَـاً بِعِلْـمٍ يَشْـتَغِلْ ... ولِعَابِـدٍ صَـلِّي تَـلَا أو هَلَّـلَا

١٥٤. وكَـذَا إلى وقـتِ الرُّقَـادِ فـواظِبَن ... جِـدّاً على هَـذَا ولا تَـكُ ذَاهِـلَا

الحث على القيلولة

وإذا فرغت من الأكل بالآداب التي تقدمت، فإن كان لك قيام بالليل وسهرت في الخير فقِل وإلى[3] ذلك أشار بقوله: (قِلْ بَعدَ ذَلِكَ)، أي بعد الفراغ من الأكل، (للسُهَادِ لطَاعَةٍ)، أي على نية العون في السهر للطاعة. والقيلولة لأجل ذلك سنة وإن لم يكن لك شغل في الليل بالطاعة. لكن لو لم تشغل بخير وربما خالطت أهل الغفلة وتحدثت معهم فالنوم أولي إذ في النوم

= الفتحة التي أتي بها لأجل النون الخفيفة، و(عبهلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا لأجل الوقف. [من (ك) بتصرف].

(١) في الأصل (في الجوع). ولعل ما أثبتناه من اضافة الواو هو الصواب.

(٢) كذا في الأصل. ولا أقف على معرفة من هو يحيى بن معاذ الجبل. ولعل المقصود هو يحيى بن معاذ الرازي، الواع المشهور. وترجمته:

هو: الواعظ، الزاهد، أبو زكريا: يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي [٢٥٨هـ]، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور. ولم يكن له نظير في وقته. له كلام جيد ومواعظ مشهورة، تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه. انظر سير أعلام النبلاء: (١٣/١٦) وطبقات الصوفية: (٩٨/١) والأعلام للزركلي: (١٧٢/٨) والرسالة القشيرية: (٦٥/١).

(٣) في الأصل (وإذا ذلك) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

الصمت والسلامة. قال سفيان الثوري: (كانت نهجهم[1] إذا فرغوا أن ينامو طلبا للسلامة). ففي هذا النوم إعانة على قيام الليل، واستراحة النفس، وصفاء القلب لعمل بقية النهار. (ثُمَّ انْتَبِه) من النوم (قَبْلَ الزَّوَالِ تَسَلُّلَا)[2]، أي تسللا منه بمقدار يتمكن فيه للاستعداد للصلاة/ بالوضوء حتى تكون قبل دخول الوقت مستقبلا للقبلة ذاكرا ومسبحا وتاليا فإن ذلك من فضائل الأعمال.

صلاة الظهر

(والظُهْرَ صَلِّ جَمَاعَةً مع سُنَّةٍ) لما قبل الوضوء وبعده (ثُمَّ)، أي إذا فرغت من صلاة الظهر، (اشْتَغِلْ بالخَيْرِ مِمَّا قَد خَلَا)[3]، أي مضي ذكره مما تشتغل به بعد صلاة الضحى فاشتغل به إلى وقت العصر. (فلِطَالِبٍ عِلْمَاً بِعِلْمٍ يَشْتَغِلْ) مطالعة أو كتابة، والمعلم يشتغل بالتعليم، (ولِعَابِدٍ صَلِّي تَلاَ أو هَلَّلَا)[4]، أو اشتغل بما يصل به خير للمسلمين وسترهم، والمحترف يشتغل

(١) في الأصل كلمة غامضة تشبه (تهجيهم) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) إعراب البيت: (قل) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت وهو بكسر القاف من قال يقيل قيلا وقيلولة أي نام نصف النهار كذا في المصباح، و(بعد) ظرف متعلق بـ(قِل) وهو مضاف، و(ذا) اسم اشارة يضاف إليه مبني على السكون في محل جر، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، و(للسهاد) اللام تعليلية متعلقة بـ(قل)، و(السهاد) بمعنى السهر مجرور باللام، و(لطاعة) متعلقة بـ(السهاد) ثم حرف عطف، و(انتبه) فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(قبل الزوال) متعلق بـ(انتبه)، و(تسللا) مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل (انتبه). [من (ك) بتصرف].

(٣) إعراب البيت: (الظهر) مفعول مقدم بـ(صل)، و(جماعة) حال من (الظهر) أو منصوب بإسقاط الخافض، (مع) ظرف متعلق بـ(صل) مبني على السكون وهو مضاف، و(سنة) مضاف إليه، (ثم) حرف عطف، و(اشتغل) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(بالخير) متعلق به، و(مما) (من) جارة، و(ما) موصولة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من (الخير)، و(قد خلا) (قد) حرف تحقيق، و(خلا) فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على (ما) والجملة صلة وهو بمعنى مضى. [من (ك) بتصرف].

(٤) إعراب البيت: (فلطالب) الفاء فاء الفصيحة، واللام لام الابتداء، و(طالب) مبتدأ،=

Scanned by CamScanner

بحرفة. ويستحب العكوف فيه في المسجد مشغولا بالخير فيكون في انتظار الصلاة معتكفا. (وكَذَا إلى وقتِ الرُّقَادِ) في الليل (فواظِبَن جِدًّا على هَذَا) التوزيع الذي وزعنا (ولا تَكُ ذَاهِلَا)[1]، أي غافلا عن توزيع الأوقات بالترتيب الذي ذكرناه فيفوتك الربح وتتحسر. فإن شق عليك المواظبة على ذلك فاصبر صبر المريض على مر الدواء انتظارا للشفاء.

فإذا دخل وقت العصر فصل سنة العصر ثم الفرض جماعة، ثم يشتغل بالورد الذي بعده، ثم يمتثل ما تقدم ذكره من الأشغال المثلثة[2]، واجتنبَ النفل بالصلاة في هذا الوقت. فإذا اصفرت الشمس فاشتغل بالتسبيح والاستغفار إلى الغروب، فإذا دخل وقت المغرب فصل جماعة فرض مع السنة المتقدمة والمتأخرة، ثم اشتغل بإحياء ما بين العشاء إما بالذكر على الهيئة المتقدمة وإما بالصلاة. وإن طالب/ العلم فاشتغل بالمطالعات والتكرار ولا

= و(علما) مفعوله، و(بعلم) متعلق بـ(يشتغل) وهو فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على (طالب)، والجملة خبره، و(لعابد) اللام لام الابتداء، و(عابد) مبتدأ، و(صلى) فعل ماض، وفاعله يعود على (عابد)، والجملة خبره، و(تلا) معطوف على (صلى) بحذف العاطف، (أو هللا) معطوف أيضا على (صلى). [من (ك) بتصرف]

(١) إعراب البيت: (وكذا) الواو عاطفة، و(كذا) متعلق بمحذوف صفة لمصدر (واظبن) أي واظبن مواظبة كائنة كذا أي على هذا التوزيع، و(إلى وقت) متعلق بـ(واظبن)، و(الرقاد) مضاف إليه، (فواظبن) الفاء زائدة، و(واظبن) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، و(جدا) حال من فاعل (واظبن) على تأويله باسم الفاعل، أو نائب عن المفعول المطلق أي واظبن حال كونك مجدا أو مواظبة جدا، و(على هذا) متعلق بـ(واظبن) أيضا، واسم الإشارة يعود على المذكور من الاشتغال بالعلم إن كان طلب علم أو الصلاة أو التلاوة أو التهليل إن كان عابدا، (ولا) الواو عاطفة، و(لا) ناهية، و(تك) مجزوم بـ(لا) الناهية وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمها مستتر تقديره أنت، و(ذاهلا) خبرها. [من (ك) بتصرف].

(٢) كذا في الأصل. ولا أفهم معنى (المثلثة) ولعلها تصحيف. والله أعلم. (ق)

Scanned by CamScanner

تتكلم في هذا الوقت فلا يصفو إلى آخر الليل.

وإذا دخل وقت العشاء فصل فرضها جماعة مع سنن المتقدمة والمتأخرة، ثم صل الوتر، فإذا صار الانتباه في آخر الليل عادة لك فالأفضل تأخيره، ثم إن كنت طالب علم فاشتغل بالمطالعات، أو سالكا فاشتغل بالذكر والصلاة إلى أن يغلبك النوم حتى يشغلك عن أعمالك. ولا تدفع النوم حينئذ؛ لأنه يضرك في تهجدك، ولا تشتغل بالكلام في هذا الوقت إلا لضرورة أو حاجة.

١٥٥. وكِتَابُ أَذْكَارِ النَّوَاوِي طَالِعَن ... واعْمَلْ بِمَا فِيهِ تَنَلْ خَيْرَاً جَلا

الحث على مطالعة كتاب (الأذكار) للنووي والعمل بما فيه

(وكِتَابُ أَذْكَارِ النَوَاوِي) الإمام الجليل الزاهد الورع محيي الدين بن يحيى النواوي رَحِمَهُ اللَّهُ ونفعنا به الذي جمعه لأذكار الليل والنهار (طَالِعَن واعْمَلْ بِمَا فِيهِ) من الأذكار والدعوات في جميع أوقاتك من أول نهارك إلى أن تنتبه من نومك ـ (تَنَلْ خَيْرَاً جَلا)[1] لحيازة الثواب والمنافع الكثيرة في الدنيا والآخرة؛ فإن في كل واحد من الأدعية والأذكار ما لا يحصى من الفوائد.

١٥٦. لا تَجْلِسَنْ نَوْمَاً ولا تَسْكُ نَائِمَا ... إلا على ذِكْرٍ وطُهْرٍ كَامِلا

١٥٧. لا بَأْسَ إن ضَاجَعْتَ زَوْجَكَ لَمْ تَصِرْ ... في غَفْلَةٍ وتَلَامُسٍ مُسْتَرْسِلا

آداب النوم

ولما أتم الأوراد التي من أول النهار إلى وقت النوم بالليل، شرع في ذكر

(١) إعراب البيت: (كتاب) مفعول مقدم لـ(طالعن)، و(أذكار) مضاف إليه وهي مضاف، و(النواوي) مضاف إليه، و(طالعن) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(اعمل) فعل أمر، وفاعله مستتر، و(بما) الباء جارة، و(ما) موصول مبني على السكون محل جر، و(فيه) متعلق بمحذوف صلة (ما)، و(تنل) فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(خيرا) مفعوله، و(جلا) فعل ماض، وفاعله يعود على (خيرا)، والجملة صفته أي خيرا موصوفا بكونه جلا أي ظهر. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

آداب النوم فقال: (لا تَجْلِبَنْ نَوْمًا) تكلفا بتمهيد الفرش الناعمة، وقد كان بعض السلف يكره التمهيد ويري ذلك تكلفا للنوم. ولا تنم ما لم يغلبك النوم إلا إذا قصدت به الاستعانة على قيام آخر الليل. وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يكره النوم قاعدا.

(ولا تَكُ نَائِمًا إلا على ذِكْرٍ) الله تعالى (و) إلا على (طُهْرٍ كَامِلا)[1]. فقد نقل أنه إذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله دعي له/ الملك واستغفر. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش وكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق». هذا في العوام فكيف بالعلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم.

والمراد بالطهارة طهارة الظاهر والباطن جميعا. فطهارة الباطن عن الهوي ومحبة الدنيا والغل والحقد والحسد وهي المؤثر في انكشاف حجب الغيب. وقد روي: من أوي إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد، ولا يحقد على أحد، غفر له ما اجترم. وإذ طهارة النفس عن الرذائل انجلا مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتفش[2] فيه عجائب الغيب وغرائب الأنبياء. ففي الصديقين من

(١) إعراب البيت: (لا تجلبن) (لا) ناهية، و(تجلبن) فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(نوما) مفعوله، و(لا تك) الواو عاطفة، و(لا) ناهية، و(تك) فعل مضارع مجزوم بـ(لا) الناهية وعلامة جزمه سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمها مستتر تقديره أنت، و(نائما) خبرها، (إلا) أداة حصر ملغاة لا عمل لها، و(على ذكر) متعلق بـ(نائما)، و(طهر) معطوف على (ذكر)، و(كاملا) مفعول لفعل محذوف تقديره: أعنى كاملا. [من (ك) بتصرف].

(٢) كذا في الأصل. ولم أفهم معنى الكلمة في هذا السياق.

Scanned by CamScanner

يأمره الله في منامه وينهاه ويفقهه في المنام ويعرفه.

مضاجعة الزوجة لا ينقض النوم على طهر

(لا بَأسَ إن ضَاجَعْتَ زَوْجَكَ) في فراش عند النوم فلا يفوتك [أنه][1] ينقض الوضوء بلمسها فائدة النوم على الطهارة والحال أنك (لَمْ تَصِرْ في غَفْلَةٍ وتَلَامُسٍ مُسْتَرسِلا[2])[3]، أي منبسطا ومستأنسا في عدم يقظة القلب والتذاذ في النفس باللمس. وأما إذا استرسلت في الالتذاذ والغفلة انحجبت الروح لمكان صلافة[4]. وليكن بنيتك عند النوم القيام للعبادة عند التيقظ. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أوى إلى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح، كتب له ما نوي وكان نومه صدقة من الله عليه». ولتكن تائبا من كل ذنب مع كون وصيتك مكتوبة عندك/، سليم القلب، عازما على الخير لجميع المسلمين، وأن يراك[5] الله مستقبل القبلة، ناويا به العون على الطاعة والايتاء لحق النفس، ناظرا إلى نظر الله إليك، باذلا نفسك كأنها تموت، مسلما روحك إلى الله تعالى.

١٥٨. فـإذا انْتَبَهْـتَ بِلَيْلَـةٍ فَتَهَجَّـدَا ... واسْـتَغْفِرَنْ للمُـؤمِنِينَ وأعْـوِلَا

١٥٩. فَلَرَكْعَتَـانِ مِـنَ الصَّـلاةِ بِلَيْلَـةٍ ... كِـنْزٌ بِـدَارِ الخُـلْدِ أدومَ أنْـبَلا

---

(١) ما بين المعقوفتين من زيادتي. ولعله سقط من الأصل.

(٢) والاسترسال هو الانبساط او الاستئناس كما في المختار.

(٣) إعراب البيت: (لا بأس) (لا) نافية للجنس تعمل عمل (إن)، و(بأس) اسمها، وخبرها محذوف أي عليك، و(إن) شرطية، و(ضاجعت) فعل، و(تصر) مجزوم بـ(لم)، واسمه ضمير مستتر تقديره أنت، والجملة في محل نصب حال من فاعل (ضاجع)، (في غفلة) متعلق بـ(مسترسلا)، و(تلامس) معطوف على (غفلة)، و(مسترسلا) خبر (تصر) أي ضاجعت زوجك والحال أنك لم تصر مسترسلا في غفلة وتلامس. [من (ك) بتصرف]

(٤) هكذا في الأصل. ولم أتبين معنى هذه الكلمة. ولعلها تصحيف.

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل. ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

١٦٠. فاسْتَكْثِرَنْ مِنَ الكُنُوزِ لِفَاقَةٍ ... تَأْتِي عَلَيْكَ ولا نَسِيبَ وَلَا وِلَا

الحث على التهجد والقيام

ولما فرغ من آداب النوم نبه على الآداب بعد الانتباه، فقال: (فإذا انْتَبَهْتَ بِلَيْلَةٍ) وكان ذلك وقت استيفاء حق التهجد (فَتَهَجَّدَا) بعد أن تذكر الله تعالى وتسبحه وتستغفره وينبغي أن تجلس قليلا بعد كل ركعتين، وتسبح، وتستغفر، وتصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فإنك تجد بذلك ترويحا وقوة على القيام. ثم انشغل بالذكر على الطريقة المتقدمة إلى السحر الأدنى وهو الوقت الذي يتسحر فيه (واسْتَغْفِرَنْ)، أي الله تعالى بعد الفراغ من الصلاة والذكر (للمُؤمِنِينَ)، أي والمؤمنات، مع نفسك ووالديك خمسا وعشرين مرة فتكون مؤديا بهذا الاستغفار لجميع[1] حقوق المؤمنين والمؤمنات، (وأعْوِلَا[2])[3] أي ابك في هذا الوقت على ذنوبك وتفريطك في أعمالك.

(فَلَرَكْعَتَانِ مِنَ الصَّلاةِ بِلَيْلَةٍ)، أي في جوف الليل (كِنْزٌ) من كنوز البر (بِدَارِ الخُلْدِ) أي الجنة (أدوَمَ أنْبَلا)[4] أي أعظم. قال النبي صلى الله عليه

---

(١) وفي الأصل (وجميع) ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٢) وفي المختار العول والعولة والعويل رفع الصوت بالبكاء تقول منه أعول أعوالا اهـ.

(٣) إعراب البيت: (فإذا) الفاء عاطفة، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، و(انتبهت) فعل الشرط، و(بليلة) متعلق به، (فتهجد) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(تهجدا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل النون الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله مستتر تقديره أنت، (واستغفرن) الواو عاطفة، و(استغفرن) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة المأتي بها لأجل نون التوكيد الخفيفة، وفاعله مستتر تقديره أنت، و(للمؤمنين) متعلق به، (وأعولا) الواو عاطفة، و(أعولا) بقطع الهمزة فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وهو يقرأ بقطع الهمزة. [من (ك) بتصرف]

(٤) إعراب البيت: (فلركعتان) الفاء للتعليل، واللام لام الابتداء، و(ركعتان) مبتدأ،=

Scanned by CamScanner

[وسلم][1]: (ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم). وفي الخبر: عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الإثم وملغاة للوزر[2] ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد). وقال الحسن[3]: (ما نعلم عملا أشد/ من مكابدة الليل ونفقة هذا المال. فقيل له: ما للمتهجدين منا أحسن الناس وجوها. قال: إنهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نورا من نوره).

وإذا كانت ركعتان في جوف الليل من كنز الجنة (فَاسْتَكْثِرَنّ مِنَ الكُنُوزِ لِفَاقَةٍ) عظيمة (تَأتِي عَلَيكَ) يوم القيامة (ولا نَسِيبَ وَلَا وِلَا)[4] أي ولا ذا ولا

= و(من الصلاة) متعلق بمحذوف حال لازمة من المبتدأ، و(بليلة) متعلق بـ(الصلاة)، و(كنز) خبر المبتدأ، و(بدار الخلد) متعلق بمحذوف صفة لـ(كنز) أي كنز كائن بدار الخلد، (أدوم أنبلا) حالان من الضمير المستتر في الجار والمجرور أي كائن هو أي ذلك الكنز حال كونه أدوم أي أبقى لك وحال كونه أنبلا أي أشرف وأفضل وأحسن. [من (ك) بتصرف].

(١) ما بين المعقوفتين من زيادتي. ولعله سقط من الأصل. وكما قيل: الأدب مقدم علي الاتباع!

(٢) في الأصل (الوزير) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) إعراب البيت: (فاستكثرن) الفاء فاء الفصيحة لأنها واقعه في جواب شرط مقدر تقديره: وإذا كانت الركعتان كنزا من كنوز الجنة فاستكثرن، وهو فعل أمر مؤكد بالنون الثقيلة، وفاعله مستتر فيه، و(من الكنوز) و(لفاقة) متعلقان بـ(استكثرن)، و(تأتي) فعل مضارع، وفاعله يعود على فاقة، والجملة صفة لها، و(عليك) متعلق بـ(تأتي)، (ولا نسيب) الواو للحال، و(لا) نافية للجنس تعمل عمل إن، و(نسيب) بمعنى قريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب، وخبر (لا) محذوف أي ينفعك، (ولا ولا) الواو عاطفة، و(لا) نافية للجنس، و(ولا) اسمها وهو على حذف مضاف أي ذا ولاء، وخبر (لا) محذوف أي ولا ذا ولا موجود. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

فيه حتى ينفعك ولا يؤدي[1] عنك كنوز الدنيا حينئذ. ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليبك عليه، قطع عليه طريق كبير من الخير. وأقل المراتب في قيام الليل مقدار أربع ركعات أو ركعتين. وقد جاء في الأثر: (صل من الليل ولو قدر حلب شاة)[2] وفي النهار[3]، وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات[4] وقيل قدر ركعتين).

١٦١. وَيَفُوتُ هَذَا بِالكَثِيرِ مِنَ اهْتِمَا ... مِكَ واشْتِغَالِكَ بِالدُّنَا مُتَغَافِلاً

١٦٢. وحَدِيثِ دُنْيَا ثُمَّ لَغْوٍ واللَغَط ... وكَذَا باتْعَابِ الجَوَارِحِ وامْتِلَا

ولما حض الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على التهجد ذكر ما يكون سببا لفواته ليحذر منه فقال: (وَيَفُوتُ هَذَا)، أي التهجد، (بِالكَثِيرِ مِنَ اهْتِمَامِكَ و) من (اشْتِغَالِكَ بِالدُّنَا مُتَغَافِلاً)[5] أي غافلا (و) بالكثير من (حَدِيثِ دُنْيَا ثُمَّ لَغْوٍ)، أي بالكثير من اللغو، (واللغط وكَذَا باتْعَابِ الجَوَارِحِ)، أي باتعاب النفس بالأعمال التي

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل كذلك. وما أثبتناه هو أقرب شيء أدى إليه الاجتهاد في قراءة النص وفهم المعنى.

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولأبي الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلا لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاه.

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل. ولعل ما أثبتناه يكون صوابا وإن كان فيه بعد.

(٤) في الأصل (أربع ركعة) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٥) إعراب البيت: (ويفوت) الواو عاطفة، و(يفوت) فعل مضارع، و(هذا) اسم إشاره فاعله مبني على السكون في محل رفع، و(بالكثير) متعلق بـ(يفوت)، و(من اهتمامك) متعلق بـ(الكثير)، و(اشتغالك) معطوف على (اهتمامك)، و(بالدنا) أي الدنيا متعلق بكل من (اهتمام) و(اشتغال)، و(متغافلا) حال من كاف الخطاب، ومعلقه محذوف أي حال كونك متغافلا عن أهوال الآخرة. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

يتعب للجوارح في النهار.

(وامْتِلَا)[1]، أي امتلأ البطن من الطعام، فإنها مجلبة للنوم. فإن وجدت للطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار. يقول بعضهم: (لأن أنقص من عشائي لقمة أحب إلى من تقوم ليلة). ومما يفوته إهمال القيلولة فإن الموفق ينقسم وقته ويغزر دائه ودوائه[2]. ومنه/ ارتكاب الذنب بالنهار فإن ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين انبات الرحمة. قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبيت معافا وأحب قيام الليل وأعد طهوري فمالي لا أقوم؟ فقال: (ذنوبك قيدتك).

١٦٣. وَيُعِينُ تَجْدِيدُ الوُضُوءِ وذِكْرُكَا قَبْلَ الغُرُوبِ مُسَبِّحًا مُسْتَقْبِلَا

١٦٤. وعِبَادَةٌ بَيْنَ العِشَاءِ ومَغْرِبٍ تَرْكُ كَلَامًا بَعْدَ ذَلِكَ غَافِلَا

ذكر ما يعين على التهجد

ثم شرع في ذكر ما يعين على التهجد فقال، أي على القيام للتهجد: (ويُعِينُ تَجْدِيدُ الوُضُوءِ)، أي بعد العشاء الآخرة، فللوضوء والغسل بعد العشاء أثر ظاهر في تيسير قيام الليل (وذِكْرُكَا) لله تعالى (قَبْلَ الغُرُوبِ)، أي غروب الشمس، (مُسَبِّحًا) ومستغفرا (مُسْتَقْبِلًا)[3] للقبلة، قاعدا منتظرا مجيء

(١) إعراب البيت: (حديث) معطوف على (الكثير) أو (اهتمامك) في البيت السابق وهو مضاف، و(دنيا) مضاف إليه مجرور بكسرة مقدر على الألف منع من ظهورها التعذر، (ثم لغو) (ثم) حرف عطف بمعنى الواو، و(لغو) معطوف على (حديث)، و(اللغط) معطوف عليه أيضا، (وكذا) الواو عاطفة، و(كذا) خبر مقدم، (باتعاب) الباء زائدة، و(اتعاب) مبتدأ مؤخر أي اتعاب الجوارح كائن كذا أي كالمذكور من اشتغالك الخ في تفويت والتهجد، و(امتلا) معطوف على (اتعاب). [من (ك) بتصرف].

(٢) هذه الجملة من أول (فإن الموفق) الخ غير واضحة المعنى. وهذا ما أدى إليه الاجتهاد في قراءة الأصل. والله أعلم بالصواب.

(٣) إعراب البيت: (يعين) فعل مضارع، و(تجديد) فاعله، و(الوضوء) مضاف إليه، ومتعلقه=

Scanned by CamScanner

الليل وصلاة المغرب.

(وعِبَادَةٌ) من صلاة وتلاوة وذكر (بَيْنَ العِشَاءِ ومَغْرِبٍ) فإنك إذا وصلت بينهما تنغسل عن باطنك آثار الكدورة الحاصلة في النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فإن ذلك كله له أثر وخدش[1] في القلوب وبالمواصلة بين العشاءين يرجي زوال ذلك الأثر (تركٌ كَلَاماً بَعْدَ ذَلِكَ)، أي بعد العشاء الأخيرة، (غَافِلَا)[2] لله تعالى ـ حال من المضاف إليه المحذوف ـ من كل ما هو فاعله؛ فإن الكلام في ذلك الوقت يذهب طرأة النور الحادث في القلب من المواصلة بين العشاءين، ويقيِّد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا من يقظة القلب.

ومما يعين على القيام له القعود على الذكر والقيام للصلاة حتى يغلب النوم، فإن ذلك يعين على سرعة[3] الانتباه، إلا أن يكون واثقا من عبادته فيستجلب النوم ليقوم في وقته المعهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح

= محذوف أي بعد العشاء الآخرة، و(ذكر) بالرفع معطوف على تجديد، وهو مضاف وكاف الخطاب مضاف إليه قبل الغروب متعلق بـ(ذكر)، (مسبحا) حال من كاف الخطاب وهي حال مؤكده للعامل أعنى لفظ ذكر إذ هو يشمل التسبيح وغيره، (مستقبلا) حال ثانية من كاف الخطاب أيضا مؤسسة. [من (ك) بتصرف].

(١) في الأصل (وخدس) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) **إعراب البيت:** (عبادة) معطوف على (تجديد) في البيت السابق، (بين) ظرف متعلق بمحذوف صفة لعبادة أي عبادة كائنة بين المغرب والعشاء، و(ترك) معطوف أيضاً على (تجديد) بحذف العاطف، و(كلاما) مفعول (ترك)، و(بعد) متعلق به وهو مضاف، واسم الإشارة مضاف إليه وهو عائد على المذكور من العبادة بين المغرب والعشاء، و(غافلا) حال من فاعل المصدر المحذوف أي ترك الكلام حال كونك غافلا أي عن أمور الدنيا وكل ما يشغلك عن الله المراد غير متفكر في ذلك. [من (ك) بتصرف].

(٣) في الأصل كلمة تشبه (شريعة الانتباه). ولعل الصواب هو ما أثبتناه. (ق).

Scanned by CamScanner

للمريدين فمن نام عن غلبةٍ بهمٍّ/ مجتمعٍ متعلقٍ بقيام الليل وفق للقيام. ومنه تغير العادة كترك الوسادة والوطاء.

واعلم أنه لا يليق بالطالب أن يطلع الفجر وهو نائم إلا أن يكون في الليل قيام طويل مع أنه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل في الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر. فينبغي أن يكون مستعدا لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر، وأن يجدد الشهادة إذا طلع الفجر الصادق، ويدعو بالدعوات المأثورات ويستغفر الله من كل تقصير جرى منه.

١٦٥. واظِبْ على هَذَا بَقِيَّةَ عُمْرِكَ ... واقْصُرْ لآمَالٍ وجَاهِد تُقْبَلَا

الأمر بالمواظبة على هذا السلوك وقصر الآمال

فلما فرغ من ترتيب الأوراد أمر بالمواظبة على ذلك فيما بقي من العمر فقال: (واظِبْ) أيها المريد سلوك طريق الأولياء (عَلَى هَذَا بَقِيَّةَ عُمْرِكَ) فإن ما بقي من العمر وهو الكبريت الأحمر، فإن شق عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارات الدواء انتظارا للشفاء، (واقْصُرْ لآمَالٍ)، واجعل الموت نصب عينيك لئلا يثقل عليك عملك، وقل في نفسك إني أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت غدا، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص فلابد من هجومه فالاستعداد له أولي من الاستعداد للدنيا. ولو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله لفرّت واستعصت عليك. (وجَاهِد) في الأعمال الصالحات، وألزم نفسك الصبر عليها (تُقْبَلَا)[1]، أي تعظم أنت بكثرة الثواب

(١) إعراب البيت: (واظب) فعل أمر، وفاعله أنت، و(على هذا) متعلق به، و(بقية) مفعوله وهو مضاف، و(عمر) مضاف إليه وهو مضاف، وكاف الخطاب مضاف إليه، و(اقصر) بضم الصاد فعل أمر، وفاعله أنت، و(لآمال) اللام زائدة، و(آمال) مفعول (اقصر) منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة الحرف الزائد، وجملة (اقصر) معطوفة على (واظب) وكذا جملة (جاهد)، و(تقبلا) بضم الباء فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة=

Scanned by CamScanner

ورفعة الدرجات وتفرح فرحا لا آخر له، وإن تساهلت وسوّفت جائك الموت في الوقت لانتحبت وتحسرت تحسرا لا آخر له.

١٦٦. مَنْ لا لَهُ شُغْلٌ بِدُنيا تَارِكا ... دُنْيَا لَهُم مَا بَالُ ذَلِكَ يَبْطُلا

١٦٧. فبِخِدْمَةِ اللهِ العلى تَنَعُّماً ... بِصَلاتِهِ وعِبَادةٍ مُتَشَاغِلاً

١٦٨. وإذا السَآمَةُ في الصَلاةِ تَعَرَّضَتْ ... فاتْلُ القُرانَ بِرَهبَةٍ مُتَأمِّلا

١٦٩. وإذا سَئِمْتَ تِلَاوَةً فانزِلْ إلى ... ذِكْرٍ بِقَلْبٍ واللِسَانِ مُكَمِّلا

١٧٠. ثم اذكُرَنْ بالقَلْبِ وهو مُرَاقَبَة ... لا تَشْتَغِل بِحَدِيثِ نَفْسٍ مُهْمَلا

١٧١. فحَدِيثُ نَفْسٍ كَالكَلَامِ بألسُنٍ ... يَقْسُو بِهِ قَلْبٌ فَلا تَكُ غَافِلا

المتبحر يستغرق أوقاته في العبادة

ولما نجز الكلام في توزيع الأوقات/ وتوزيع الأشغال وتخيير الأفضل، نبه على أن ذلك إنما يكون في حق من له تعلق وشغل بالعلم وبأسباب الدنيا، وأما المتبحر الذي لا يشغل إلا بها ولو ترك العبادة فجلس بطالا فحقه أن يستغرق أوقاته في العبادة فقال: (مَنْ لا لَهُ شُغْلٌ بِدُنيا) أصلا (تَارِكا دُنْيَا لَهُم)، أي لأهلها، (مَا بَالُ ذَلِكَ يَبْطُلا)[1]، أي يبطلن عن العبادة فهو من البطالة لا من البطلان، ولا يتنعم بخدمة الله تعالى (فبِخِدْمَةِ اللهِ العَلِيِّ تَنَعُّماً)، أي يتنعم

= المنقلبة ألفا مجزوم في جواب (واظب) وما بعده، وفاعله أنت. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (من) اسم موصول مبتدأ، و(لا) نافية ملغاة أو عاملة عمل ليس، و(له) خبر مقدم، و(شغل) مبتدأ مؤخر أو اسم (لا)، و(بدنيا) متعلق بـ(شغل)، و(تاركا) حال من الضمير في (له)، و(دنيا) مفعوله، و(لهم) متعلق بـ(تاركا)، والضمير يعود لمعلوم من المقام وهو أهل الدنيا، و(ما) اسم استفهام إنكاري مبتدأ، و(بال) خبره وهو مضاف، واسم الاشارة مضاف إليه، (يبطلا) فعل مضارع مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا على ندور، والجملة في محل نصب على الحال من اسم الاشارة وهو مأخوذ من البطالة لا من البطلان، وجملة ما بال الخ خبر المبتدأ وهو (من) الموصولة. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

تنعما، (بِصَلاتِهِ وعِبَادةٍ مُتَشَاغِلا)[1]، أي متشاغلا بهما دائما من غير فتور ظاهرا وباطنا، وإلا فباطنا يتشاغل بالصلاة مادام منشرحا.

(وإذا السَآمَةُ في الصَلاةِ تَعَرَّضَتْ فاتْلُ القُرانَ بِرَهبَةٍ)، أي مع خوف، (مُتَأمِّلا)[2] معناه فإن التلاوة أخف على النفس من الصلاة.

(وإذا سَئِمْتَ تِلَاوَةً) أيضا (فانزِلْ) منها (إلى ذِكْرٍ) الله (بِقَلْبٍ واللِسَانِ مُكْمِّلا)[3] للذكر بهما فإن الذكر أخف على النفس من القراءة.

(ثم اذكُرَنْ)، أي [إذا][4] سئمت الذكر بالقلب واللسان فاذكرن، (بالقَلْبِ)

---

(١) إعراب البيت: (فبخدمة) الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر أي وإذا عرفت فبخدمة الخ، والجار والمجرور متعلق بـ(تنعما)، و(خدمة) مضاف، و(الرب) مضاف إليه، و(العلي) بتشديد الياء صفة لـ(الرب)، و(تنعما) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، (بصلاته) متعلق بـ(متشاغلا)، و(تلاوة) معطوف عليه، و(متشاغلا) حال من فاعل (تنعما) والغرض بها تفصيل ما أجمله في قوله (فبخدمة) الخ. [من (ك) بتصرف].

(٢) إعراب البيت: (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، (السآمة) ـ بمعنى الملل ـ فاعل بفعل محذوف أي: وإذا تعرضت السآمة، و(في الصلاة) متعلق بـ(السآمة)، و(تعرضت) مفسر للمحذوف لا محل له، (فاتل) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(اتل) فعل أمر مبني على حذف الواو، وفاعله أنت، و(القران) بنقل حركة الهمزة إلى الراء للضرورة مفعوله، و(برهبة) أي خوف متعلق بـ(اتل)، و(متأملا) حال من فاعله، ومتعلقه محذوف أي متأملا في معانيه. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (وإذا سئمت) الواو عاطفة، و(إذا) ظرف، و(سئم) فعل الشرط، وتاء الخطاب فاعله، و(تلاوة) مفعوله، (فانزل) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(انزل) فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، و(إلى ذكر) متعلق به، و(بقلب) متعلق بـ(ذكر)، و(اللسان) معطوف عليه، و(مكملا) حال من (اللسان) أي حال كونه مكملا لذكر. [من (ك) بتصرف].

(٤) ما بين المعقوفتين من زيادتي.

Scanned by CamScanner

ودع ذكر اللسان (وهو) أي ذكر القلب (مُرَاقَبَة) وهي عين الذكر وأفضله. والمراقبة علم القلب بنظر الله إليك. فمادام هذا العلم ملازما للقلب فهو مراقب، وأما مجرد حركة اللسان بالذكر وغيره من غير أن يكون للقلب[1] فيه شركة فلا جدوي له، ولكنه خير من حركة في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول بل هو خير من السكون عنه. (لا تَشْتَغِل بِحَدِيثِ نَفْسٍ مُهْمَلا)[2]. قال سهل: (أسوء المعاصي حديث النفس).

(فحَدِيثُ نَفْسٍ كَالكَلَامِ بألسُنٍ يَقْسُو بِهِ قَلْبٌ) بأنه كلام من غير لسان (فَلا تَكُ غَافِلا)[3] واحترز عن ذلك؛ لأن الطالب يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فإنه لحديث النفس وما يتخايل من ذكر ما مضي ورأي وسمع أثره في باطنه/، فيتقد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يتقد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر. فإن عجزت عن المراقبة، وتملكك الوسواس، وتزاحم في باطنك حديث النفس، ففي النوم

---

(١) في الأصل (للقب) ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

(٢) إعراب البيت: (ثم) حرف عطف، و(اذكرن) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة، وفاعله مستتر فيه، و(بالقلب) متعلق به، و(هو) بسكون الهاء مبتدأ عائد إلى مصدر (اذكرن)، و(مراقبة) بسكون الهاء للضرورة خبره، (لا تشتغل) (لا) ناهية، و(تشتغل) مجزوم بها، والفاعل أنت، و(بحديث) متعلق بـ(تشتغل) وهو مضاف، و(نفس) مضاف إليه، و(مهملا) حال من فاعل (تشتغل)؛ ومفعوله محذوف أي مهملا ما مر من الصلاة وغيرها. [من (ك) بتصرف]

(٣) إعراب البيت: (فحديث) الفاء للتعليل، و(حديث) مبتدأ، و(نفس) مضاف إليه، و(كالكلام) متعلق بمحذوف حال من (حديث)، و(بألسن) متعلق بـ(الكلام)، و(يقسو) فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل، و(به) متعلق بـ(يقسو)، و(قلب) فاعله، (فلا تك) الفاء للتفريع، و(لا) ناهية، و(تك) فعل مضارع مجزوم بـ(لا الناهية) وعلامة جزمها سكون النون المحذوفة للتخفيف، واسمها مستتر، و(فاعلا) خبرها ومتعلقه محذوف أي لحديث النفس، وفي بعض النسخ غافلا بدل (فاعلا) وعليه فالمراد غافلا عن الذكر بأن تتركه عمدا أو سهوا. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

السلامة. قال سفيان الثوري: (كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا) طلبا للسلامة منه.

ولما فرغ من الكلام في أن المبحر يستغرق أوقاته في العبادة مناسب أن يذكر أفضل الأعمال فقال:

(مهمة)

١٧٢. قد أجْمَعَ العُرَّافُ جُلُّهُمُ على ... أن افْضَلَ الطَّاعَاتِ للهِ العَلا

١٧٣. حِفْظٌ لأنْفَاسٍ يَكُونُ خُرُوجُهَا ... ودُخُولُهَا باللهِ في المَلأ الخَلا

١٧٤. بالشَّدِّ ثُمَّ المَدِّ تَحْتٌ ثُمَّ فَوْق ... صِفَةٌ لَهُ مَع بَرْزَخٍ فاستَكْمِلَا

١٧٥. أوْ ذِكْرَ تَهلِيلٍ وذا الذِكرُ الخَفِي ... مِن غَيْرِ تَحْرِيكِ الشِفَاهِ تَدَاوَلا

أفضل الطاعات حفظ الأنفاس بذكر اسم الجلالة (الله)

(قد أجْمَعَ العُرَّافُ جُلُّهُمُ)، أي معظمهم، (على أنَّ افْضَلَ الطَّاعَاتِ للهِ العَلا)[1]، أي ذي الرفعة والشرف، (حِفْظٌ لأنْفَاسٍ) مع الله تعالى بحيث (يَكُونُ خُرُوجُهَا ودُخُولُهَا باللهِ)، أي بكلمة الله وهو اسم الجلالة، (في المَلأ الخَلا)[2]،

---

(١) إعراب البيت: (قد أجمع) (قد) حرف تحقيق، و(أجمع) فعل ماض، و(العراف) فاعله وهو بضم العين وفتح الراء المشددة جمع عارف، (جلهم) صفة لـ(العراف وميم الجمع تضم فيه للوزن، (على) جارة، و(أن) حرف توكيد ونصب، و(أفضل) اسمها ويقرأ بحذف الهمزة للوزن، و(أن) وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بـ(على)، والجار والمجرور متعلق بـ(أجمع)، و(أفضل) مضاف، و(الطاعات) مضاف إليه، و(لله) متعلق بمحذوف حال من (الطاعات)، و(العلا) صفة لله وهو بفتح العين الرفعة والشرف ولا بد من تقدير مضاف أي ذي العلا أو تأويله باسم الفاعل أي العليّ. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (حفظ) خبر (أن) في البيت السابق، و(لأنفاس) متعلق به، و(يكون) فعل مضارع، و(خروجها) اسمها، و(دخولها) معطوف عليه، و(بالله) متعلق بمحذوف خبر (يكون)، و(في الملأ) متعلق بما تعلق به الخبر، و(الخلا) معطوف عليه بحذف العاطف أي يكون خروجها ودخولها كائنين بالله في الملأ وفي الخلا. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

أي في الخلاء. (بالشَدِّ)، أي مع اظهاره تشديد (الله)، (ثُمَّ المَدِّ)، أي مد (الله)، (تَحْتٌ ثُمَّ فَوْق)، أي يبدأ من السرة إلى الفوق، (صِفَةٌ لَهُ)، أي مع ضم صفة من صفاته إليه في الاستحضار كالبصير، (مَع بَرْزَخٍ) وهو المرشد، فيستحضر إذ هو الواسطة بينه وبين ربه (فاستَكْمِلَا)[1]، أي اطلب كمال نفسك بالمداومة على حفظ الأنفاس.

(أَوْ ذِكْرَ تَهلِيلٍ)، أي وحفظ الأنفاس مع الله بذكر تهليل (لا إله إلا الله) بحيث يكون خروجها ودخولها به (وذا)، أي حفظ الأنفاس مع الله بأحدهما، (الذِكرُ الخَفِي) الذي (مِن غَيْرِ تَحْرِيكِ الشِفَاهِ تَدَاوَلا)[2] أي استعمل. ولفضل

---

(١) إعراب البيت: (بالشد) متعلق بمحذوف خبر لـ(يكون) مقدرة أي ويكون لفظ الجلالة كائنا بالشد أي إظهار تشديد الله، و(بالمد) أي مَد ألفه، و(تحت) ظرف مبني على الضم متعلق بمحذوف خبر بعد خبر لـ(يكون) المقدرة أي ويكون مبتدأ من تحت أي من السرة، و(ثم فوق) (ثم) حرف عطف، و(فوق) متعلق بمحذوف أي ثم تصعد به إلى فوق وهو مبني على الضم، و(صفة) بفتح الفاء وسكون الهاء للضرورة مفعول لفعل محذوف تقديره: وضم صفة أي من صفاته تعالى و(له) متعلق بذلك المحذوف أي ضم له أي للفظ الجلالة والمراد بالضم الاستحضار، (مع برزخ) متعلق بمحذوف صفة لـ(صفة)، قال في الشرح: المراد به الشيخ المرشد اهـ، (فاستكملا) الفاء فاء الفصيحة أي إذا علمت ذلك فاعمل به واستكمل سائر آداب الذكر، و(استكملا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وفاعله مستتر فيه. [من (ك) بتصرف]

(٢) إعراب البيت: (أو ذكر) معطوف على لفظ الجلالة وهو مضاف، و(تهليل) مضاف إليه، (وذا) الواو عاطفة، و(ذا) اسم اشارة يعود لحفظ الانفاس بما ذكر وهو مبتدأ، و(الذكر) خبره، و(الخفي) صفته، و(من غير) متعلق بـ(تداول) وهو مضاف، و(تحريك) مضاف إليه وهو مضاف، والشفاه مضاف إليه، و(تداول) فعل ماض، وفاعله يعود على الذاكر المستفاد من (ذكر)، وجملة (تداول) بيان لتسميته بالذكر الخفي أي وانما سمي بذلك لكونه استعمله الذاكر من تحريك شفتيه. [من (ك) بتصرف]

Scanned by CamScanner

الذكر الخفي قال الشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن محمد الحسني باعلوي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ: (أوقية من أعمال السر تعدل بكذا وكذا قنطار أعمال من أعمال الظاهر)؛ لأنها مأمونة من الرياء والآفات.

١٧٦. مَن لَمْ يَكُن فِي بِدءِ أمرٍ جَاهِدَاً ... لَمْ يَلْقَ مِن هَذِي الطَرِيقَةِ خَردَلا

١٧٧. وكَذَاكَ مَعرِفَةٌ تَخُصُّ عَلِيَّةٌ ... فِي غَالِبٍ مِن غَيْرِهَا لن تَحْصُلا

١٧٨. وجِهَادُ نَفْسٍ أن تُزَكِّي مِن رذَا ... ئِلِهَا وتَحْلِيَةٌ بِنُورِ فَضَائِلا

المجاهدة هي الركن الأعظم في نيل المطالب العلية

ولما كانت المجاهدة هي الركن الأعظم في نيل المطالب العلية من المشاهدة أراد أن يصرح بها فقال[2]/:

(مَن لَمْ يَكُن فِي بِدءِ أمرٍ جَاهِدَاً) بل قصر في ذلك (لَمْ يَلْقَ مِن هَذِي الطَرِيقَةِ خَردَلا)[3]، أي خردلة ـ حذف التاء للوقف ـ أي مقدار خردلة، بل يكون محجوبا عن الحق. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري[4]: (من لم يكن في [بدايته][5] صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة). وقال: (سمعت

---

(١) لم أعثر على ترجمة له.

(٢) في الأصل بعد كلمة (فقال) كلمة (مجاهدة) ولعلها عنوان للفقرة التالية.

(٣) إعراب البيت: (من) اسم شرط جازم، و(لم) جازمة، و(يكن) مجزوم بها، والجازم والمجزوم فعل الشرط، واسمها ضمير مستتر يعود على (من)، (في بدء) متعلق بـ(جاهدا)، و(أمر) مضاف إليه، و(جاهدا) فعل ماض، وألفه للإطلاق، وفاعله يعود على (من)، والجملة خبر (يكن)، (لم يلق) (لم) جازمة، و(يلق) مجزوم بحذف الألف والفتحة قبلها دليل عليها، وفاعله يعود على (من)، وجملة (لم يلق) جواب الشرط، (من هذي) الجار والمجرور متعلق بـ(يلق)، و(الطريقة) بدل من اسم الاشارة والمراد بها طريقة القوم المتقدم بيانها أول الكتاب، و(خردلا) مفعول (يلق) بمعنى يحصل. [من (ك) بتصرف].

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) هذه الكلمة سقطت من الأصل. وقد راجعناها في الرسالة القشيرية. والصواب ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

الأستاذ أبا علي الدقاق[1] رحمه[2] الله يقول: من زين الظاهر بالمجاهدة حسن الله أسراره بالمشاهدة). قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[3]. وقال بعضهم: (بالجد والاجتهاد يدرك غاية المرام، وبالعزمات الصحاح يشرق صباح الفلاح[4]، وما حصلت الأماني بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطئ فراس الكسل، وإياك أن تقول إن قدّر شيء وصل وإن كان في الغيب مقتضى حصل، فبالحركات تكون البركات، وبالهز يسقط الثمر، وأم العجز أبدا عقيم). وكثيرا ما ينشد الشيخ عبد الله بن أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ [الطويل]:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(وكَذَاكَ)، أي وكما أن من لم يجاهد في أول أمره لا يلقي من هذه الطريقة شيئا، (مَعرِفَةٌ تَخُصُّ عَلِيَّةٌ)، أي المعرفة الحقيقية الخاصة العلية، (فِي غَالِبٍ)، أي في غالب الأحوال، (مِن غَيْرِهَا)، أي من غير المجاهدة، (لن تَحْصُلا)[5]. أما حصولها في النادر بغيرها فليس ببعيد. ومعرفة العبد لله نور

---

(١) سبقت ترجمته

(٢) في الأصل (رحمهما). ولعل الصواب هو ما أثبتناه

(٣) العنكبوت: ٦٩

(٤) في الأصل: (صباح الظلام). ولعل الصواب هو ما أثبتناه وما في الأصل تصحيف من الناسخ.

(٥) إعراب البيت: (وكذاك) (الواو) عاطفة أو للاستئناف، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الضمير المستتر في (تحصل) العائد إلى المعرفة، و(معرفة) مبتدأ، و(تخص) فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود على معرفة، ومتعلقه محذوف أي يخصها الله بمن شاءه من عباده، والجملة صفة لـ(معرفة) ويحتمل قراءة الفعل بالمبني للعلوم على تنزيله منزلة اللازم أي معرفة خاصة ويكون فيه إشارة إلى تقسيمها إلى قسمين خاصة وعامة وهو الموافق لقول الغزالي معرفة الله على قسمين عامة وهي الإقرار بالوحدانية وخاصة=

Scanned by CamScanner

يقذفه الله في قلب عبده، ويدرك بذلك النور أسرار ملكه، ويشاهد غيب ملكوته، ويلاحظ صفات جبروته، ثم ينزل قوة إدراكها على مقدارها، يفيض عليه من ذلك النور.

ثم فسر المجاهدة بقوله/:

(وجِهَادُ نَفْسٍ أن تُزَكِّي مِن رذَائِلِهَا)، أي من رذائل أوصاف النفس وأخلاقها، (وتَحْلِيَةٌ بِنُورِ فَضَائِلا)[1] من التقوي والتوبة والزهد وما لعبدها[2] حتى ينجلي صفات الجلال وتطلع طوالع أنوار الجلال. فالتزكية والتجلية هما الموجبان لأنوار التجلي وكمال العرفان.

١٧٩. فَلَرَكْعَـةٌ مِـنْ عَارِفٍ هِيَ أَفْضَـلُ مِـنْ أَلْفِهَـا مِـنْ عَالِـمٍ فَتَقَـبَّلا

١٨٠. والعَـارِفُونَ بِـرَبِّهِم هُـمْ أَفْضَـلُ مِنْ أَهْلِ فَـرْعٍ والأُصُـولِ تَكَمَّـلا

الركعة من العارف خير من ألف ركعة من العالم

وأشار إلى تفضيل العارف بالله على العارف بالأحكام بقوله: (فَلَرَكْعَةٌ مِنْ

= هي المرادة هنا وهي المتوقفة على تزكية النفس من الأوصاف الذميمة وتحليتها بالأوصاف الحميدة، و(علية) بتشديد الياء المفتوحة صفة ثانية من الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة على حد قوله تعالى: وهذا كتاب أنزلناه مبارك في غالب متعلق بـ(تحصل) ومثله من غيرها، وجملة (لن تحصل) خبر المبتدأ والتقدير: ومعرفة الله تعالى الخاصة أو المخصوصة ببعض عبادة لا تحصل في الغالب من غير مجاهدة. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (جهاد) مبتدأ، و(نفس) مضاف إليه، (أن تزكى) (أن) مصدرية و(تزكى) فعل مضارع، ونائب الفاعل يعود على (نفس)، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر المبتدأ، و(من رذائلها) متعلق بـ(تزكى)، و(تحلية) معطوف على المصدر المنسبك من (أن تزكى)، وبـ(نور) متعلق بـ(تحلية) وهو مضاف، و(فضائل) مضاف إليه بالإضافة البيانية أي نور وهو الفضائل فإنها نور يقذفه الله في قلب العبد. [من (ك) بتصرف].

(٢) هكذا في الأصل ولم أفهم معنى (وما لعبدها) ولعلي لم أستطع القراءة أو لعل هناك تصحيف من الناسخ.

Scanned by CamScanner

عَارِفٍ)، أي بما يجب له من أوصاف الجلال ونعوت الكمال وبما يستحيل عليه من العيب والنقصان، (هِيَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِهَا مِنْ عَالِمٍ فَتَقَبَّلا)[1]؛ لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبثمراته. فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم؛ لأن متعلقه أشرف المعلومات ولأن ثماره أفضل الثمرات. فإن معرفة كل صفة من صفاته توجب حالا، وتنشأ عن تلك ملابسة أخلاق سنية ومجانبة أخلاق ردية.

فمن عرف سعة رحمته أثمرت معرفته سعة الرجاء.

ومن عرف شدة نقمته أثمرت معرفته شدة الخوف وأثمر خوفه الكف عن الإثم والفسوق والعصيان مع البكاء والأحزان والورع وحسن الانقياد والإذعان[2].

ومن عرف أن جميع النعم منه أحبه، وأثمرت المحبة آثارها المعروفة. وكذا من عرفه بالتفرد بالنفع والضر لم يعتمد إلا عليه ولم يفوض أمره إلا إليه.

ومن عرفه بالعظمة والجلال هابه، وعامله معاملة الهائبين من الانقياد والتذلل وغيرهما.

---

(١) إعراب البيت: (فلركعة) الفاء للتعليل؛ واللام لام الابتداء، و(ركعة) مبتدأ، و(من عارف) متعلق بمحذوف صفة لـ(ركعة) أي صادرة من عارف، (هي) مبتدأ ثان أو ضمير فصل، و(أفضل) خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول على الاحتمال الأول، أو خبر الأول على الثاني، و(من ألفها) متعلق بـ(أفضل) وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضميره يعود على (ركعة)، و(من عالم) متعلق بمحذوف حال من (ألفها)، (فتقبلا) الفاء فاء الفصيحة، و(تقبلا) فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفا وهو يقرأ بفتح التاء والقاف وتشديد الباء المفتوحة والتقدير: إذا عرفت ما تقدم فتقبله واجتهد في تحصيله فنسأل الله أن يكرمنا بمعرفته وأن لا يحرمنا من حلاوة أنسه ولذه مشاهدته آمين. [من (ك) بتصرف].

(٢) هذه الكلمة في الأصل غير تامة الوضوح. وما أثبتناه هو ما أدى إليه الاجتهاد.

Scanned by CamScanner

فهذه بعض ثمار معرفة الصفات ولا شك أن معرفة الأحكام لا تورث شيئا من هذه الأحوال/ ولا من هذه الأفعال والأعمال. ويدل على ذلك الوقوع، فإن الفسوق فاش في كثير من علماء الأحكام بل أكثرهم مجانبون للطاعة والاستقامة.

اللحظة من سرائر العارفين بالله أفضل من أعمال الثقلين

(والعَارِفُونَ بِرَبِّهِم هُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ فَرْعٍ والأُصُولِ تَكَمُّلا)[1]؛ لأن المعرفة التي اتصف بها ينشأ عنها الخوف، وملاحظة سعة الرحمة التي ينشأ عنها الطمع والرجاء، وملاحظة التوحيد التي ينشأ عنها التوحيد[2]. فاللحظة من سرائر العارفين أفضل من أعمال الثقلين عمرَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال أبو يزيد[3]: (لو وقع العالم ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به).

١٨١. قَالَ الإِمَامُ السُّهْرَوَرْدِي قُدِّسَا ... والمَقْصِدُ الأَقْصَى المُشَاهَدَةُ العَلا

١٨٢. فلْيُكْثِرِ العَبْدُ التِلاوَةَ مُكْثِرَاً ... ذِكْرَاً بِطَيِّبِ كَلِمَةٍ مُتَبَتِّلا

١٨٣. ولْيَجْتَهِدْ بِوِطَاءِ قلبٍ نُطْقَهُ ... حَتَّى يَصِيرَ بِقَلْبِهِ مُتَأَصِّلا

---

(١) إعراب البيت: (والعارفون) الواو للاستئناف، (العارفون) مبتدأ مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم، (بربهم) متعلق به، (هم) مبتدأ ثان أو ضمير فصل لا محل له من الاعراب، و(أفضل) خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول على الاحتمال الأول، أو خبر الأول على الاحتمال الثاني، (من أهل فرع) متعلق بـ(أفضل)، و(الأصول) معطوف على (فرع)، و(تكملا) يحتمل قراءته بضم الميم المشددة على أنه مصدر فيكون منصوبا على التمييز لـ(أفضل) أي أفضل من جهة التكمل أي الكمال ويحتمل قراءته بفتح الميم المشددة على أنه فعل أمر مؤكد بالنون الخفيفة والتقدير: فتكملن حينئذ وحذفت منه الفاء لأجل الوزن. [من (ك) بتصرف].

(٢) في الأصل زيادة كلمة (كل) بعد هذه الكلمة. ولعل الصواب حذفها.

(٣) سبقت ترجمته.

Scanned by CamScanner

١٨٤. ومُزِيلَةً لحَدِيثِ نَفْسٍ كَي ينوَ ... ر القلبُ للحَالِ العَلِيَّةِ نَائِلا

١٨٥. ويَفِيضُ نُورُ القَلْبِ للقَالِبِ فَذَا ... بِمَحَاسِنِ الأعْمَالِ مِنْهُ تَسَوَّلا

١٨٦. ويَصِيرُ حقًّا ذِكْرُ ذَاتٍ ذِكْرُهُ ... هَذِي المُشَاهَدَةُ الشَرِيفَةُ حَصِّلا

ذكر طرق المجاهدة

ولما كان نهاية مقصد المجاهدين المشاهدة أردف بها فقال مشاهدة[1]: (قَالَ الإمَامُ السُهْرَوَرْدِي قُدِّسَا)، أي قدس الله سره، (والمَقْصِدُ الأقْصَى) من المجاهدة وأنواعها (المُشَاهَدَةُ العَلا)[2]، أي العلية، فذكر طرق المجاهدة بقوله:

(فَلْيُكْثِرِ العَبْدُ التِلاوَةَ) للقرآن (مُكْثِرَاً ذِكْرَاً بِطَيِّبِ كِلْمَةٍ)، أي كلمة طيب، وهي كلمة (لا إله إلا الله) (مُتَبَتِّلا)[3]، أي منقطعا إلى الله، ثم يقطع علائق الدنيا بالكلية ويفرغ[4] قلبه عنها. وحاصل الكلام أن المجاهدة العلية تحصل

---

(١) كذا في الأصل. ولم أتبين معنى كلمة (مشاهدة) في هذا المقام. والله أعلم.

(٢) إعراب البيت: (قال) فعل ماض، و(الإمام) فاعله، و(السهروردي) يقرأ بسكون الياء للوزن نعت له، (قدسا) فعل ماض مبني للمجهول، نائب الفاعل يعود على (السهروردي) والألف للإطلاق والأصل قدس الله سره، و(المقصد) مبتدأ أو خبر مقدم، و(الأقصى) صفته ـ قال في القاموس الأقصى الغاية البعيدة ـ، و(المشاهدة) خبر المبتدأ على الأول ومبتدأ مؤخر على الثاني، والجملة من المبتدأ والخبر مقول القول، و(العلا) بفتح العين صفة للمشاهدة وهي بمعنى الرفعة والشرف ولابد من تقدير مضاف أي ذات العلا أي الرفعة والشرف. [من (ك) بتصرف].

(٣) إعراب البيت: (فليكثر) الفاء فاء الفصيحة واقعة في جواب شرط مقدر، واللام لام الأمر، و(يكثر) فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، و(العبد) فاعله، و(التلاوة) مفعوله، و(مكثرا) حال مؤكدة للعامل، و(ذكرا) مفعول (مكثرا)، (بطيب) بتشديد الياء وكسرها متعلق بـ(ذكرا وهو مضاف، و(كلمة) بكسر الكاف وسكون اللام مضاف إليه من إضافة الصفة للموصوف أي بكلمة طيبة، و(متبتلا) حال ثانية من (العبد) مترادفه أو حال متداخله من ضمير (مكثرا). [من (ك) بتصرف].

(٤) في الأصل كلمة غير واضحة. ولعل الصواب هو ما أثبتناه.

Scanned by CamScanner

بتلاوة القرآن كما تحصل بذكر (لا إله إلا الله) لا الجمع بينهما.

(وَلْيَجْتَهِدْ)، أي من التالي والذاكر، (بِوِطَاءِ[1] قلبٍ نُطْقَهُ)، أي مواطأة قلبه نطقه باللسان، (حَتَّى يَصِيرَ)، أي حتى يصير كل من القرآن والكلمة الطيبة، (بِقَلْبِهِ مُتَأَصِّلا)[2]، أي متأصلا في قلبه؛ لأنه إذا واظب على التلاوة والذكر[3] باللسان [...][4] على حضور تام، وتعظيم وافر، يؤدي إلى القلب فيطمئن القلب بذلك ويأنس بالله ويستوحش عن الخلق ويصير كل من الكلمة الطيبة والتلاوة بمعنى لمتلقٍ[5].

(ومُزِيلةً لحَدِيثِ نَفْسٍ) بنيابة معناهما في القلب عنه فحينئذ يدخل على العبد/ سهولة في التلاوة والصلاة والذكر ويتنور الباطن بتلك السهولة، وإلى هذا أشار بقوله: (كَي ينورَ القلبُ)، أي بكل أرجائه وجوانبه، (للحَالِ العَلِيَّةِ) كالشوق والمحبة فإن القلب والأنس (نَائِلا)[6] لها، (و) كي (يَفِيضُ نُورُ القَلْبِ

---

(١) هو بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف ممدودة مصدر واطأ كالمواطأة ومعناه الموافقة. قال في المختار: واطأه على الأمر مواطأة وافقه اهـ (ك)

(٢) إعراب البيت: (وليجتهد) الواو عاطفة، واللام لام الأمر، و(يجتهد) مجزوم بها، وفاعله ضمير يعود على كل من التالي والذاكر، و(بوطاء) متعلق بالفعل قبله، و(قلب) مضاف إليه وهو فاعل المصدر، و(نطقه) مفعوله، (حتى يصير) (حتى) غائية، و(يصير) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، واسمها ضمير مستتر يعود على المذكور من التلاوة والذكر، و(بقلبه) متعلق بـ(متأصلا) وهو خبر (يصير). [من (ك) بتصرف]

(٣) في الأصل تكرار (لأنه إذا واظب علي التلاوة والذكر)

(٤) هناك كلمة ممحوة من الأصل غير واضحة بين كلمتي (باللسان) و(على)

(٥) هذه الجملة من أول (ويصير) إلى (لمتلق) غير واضحة في الأصل. وهذا ما أدى إليه الاجتهاد في فهم العبارة

(٦) إعراب البيت: (مزيلة) خبر لـ(يصير) مقدرة مع اسمها أي وحتى تصير تلك المذكورات مزيلة، و(لحديث نفس) متعلق بـ(مزيلة)، (كي ينور القلب) (كي) تعليلية، و(ينور) فعل=

Scanned by CamScanner

للقَالِب)، أي للقالب وهو النفس، فإن للقلب وجها إلى النفس ووجها إلى الروح، وللنفس وجها إلى القلب ووجها إلى الطبع[1]. **(فَذَا)**، أي العبد، **(بِمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ مِنْهُ)**، أي من العبد، **(تَسَوَّلا)**[2]، أي تزيد، فإذا استولت الكلمة الطيبة والتلاوة وسهلتا على اللسان ينير بها القلب، فلو سكت اللسان لا يسكت القلب منها، ثم يتجوهر نورها في القلب، ويتجوهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة اللفظ من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا[3].

(ويَصِيرُ) حينئذ **(حقًّا ذِكْرُ ذَاتٍ ذِكْرُهُ)**، أي ذكر ذلك العبد. **(هَذِي)**، أي ذكر الذات يتجوهرهما نورهما[4]، **(المُشَاهَدَةُ الشَرِيفَةُ)** المطلوبة والكاشفة **(حَصِّلا)**[5]، أي حَصِّلن أيها المجاهد المشاهدة بمجاهدتك. قال في العوارف:

= مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد (كي)، و(القلب) فاعله أي وإنما أمر في الاجتهاد فيما ذكر إلى أن يصير كذلك، لأجل أن ينور قلبه، و(للحال العلية) متعلق بـ(نائلا)، و(نائلا) حال من (القلب)، و(الحال العلية) هي الشوق والمحبه والأنس وغيرها من الصفات الحميدة. [من (ك) بتصرف]

(١) في الأصل تكرار (إلى انطبع)

(٢) **إعراب البيت:** (يفيض) منصوب معطوف على (ينور) في البيت السابق، و(نور) فاعله، و(القلب) مضاف إليه، و(للقالب) متعلق بـ(يفيض)، واللام بمعنى إلى، وباء القالب ساكنة للوزن، (فذا) الفاء تفريعية، و(ذا) اسم اشارة مبتدأ وهو عائد على العبد المذكور المكثر مما مر، (بمحاسن) متعلق بـ(تسولا) وهي مضاف، و(الأعمال) مضاف إليه، و(منه) متعلق بمحذوف صفة لـ(لأعمال) أي الصادرة منه، و(تسول) فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على (العبد)، والجملة خبر المبتدأ. [من (ك) بتصرف]

(٣) هذه العبارة غير واضحة في الأصل. وهي منقولة في شرح السيد البكري فحاولت التوفيق قدر المستطاع بين رسم الكلمات في الأصل والمنقول في شرح السيد البكري.

(٤) كذا في الأصل. والمعنى غير واضح لي

(٥) **إعراب البيت:** (ويصير) الواو عاطفة، و(يصير) فعل مضارع مرفوع، و(حقاً) منصوب=

Scanned by CamScanner

(دون هذه الموهبة ما يفتح على العبد من العلوم الإلهامية اللدنية، وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ إذا صفي باطنه قد يغيب في الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق في غيبته في الذكر كالنائم. وقد تتجلي له الحقائق في لبسة الخيال كما رأي في المنام أنه قتل حَيّة، فيقول له المعبر: تظفر بالعدو، وظفره بالعدو كشف كاشفه الحق به. وقد تتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا وإخبارا من الله إياه ويكون ذلك تارة بالرؤيا وتارة بالسماع).

١٨٧. هَـذَا الَذِي أوصَى الشُـيُوخُ الكُمَّـلُ ... اللهُ وَفَّقَنَـــا لَهُ مُتَفَضِّـــلا

١٨٨. والحَمْـدُ للبَـاقِي الـرؤوفِ مُصَـلِّيَاً ... أعْلَى الصَـلاةِ عَلَى الرَسُـولِ مُحَـوْقِلا

خاتمة

(هَذَا الَذِي)، أي هذا الذي ذكرناه في هذا النظم من أوله إلى آخره، (أوصَى الشُيُوخُ الكُمَّلُ) نفعنا الله ببركاتهم لأصحابهم وأتباعهم ليعلمونها ويفوزوا بها درجات الأولياء (اللهُ وَفَّقَنَا لَهُ)، أي لما أوصوا به، (مُتَفَضِّلا)[1]

= على الحال أو إسقاط الخافض، و(ذكر ذات) بالنصب خبر (يكون) مقدرا، و(ذكره) بالرفع اسمها مؤخر، و(هذي) اسم اشارة مفعول مقدم لـ(حصلا)، و(المشاهدة) بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان، و(الشريفة) نعت لها، و(حصلا) فعل أمر مبني على سكون مقدر منع من ظهوره الفتحة التي أتى بها لأجل نون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفا، وفاعله مستتر تقديره أنت. [من (ك) بتصرف].

(١) إعراب البيت: (هذا) اسم اشارة مبتدأ، و(الذي) اسم موصول خبر المبتدأ، و(أوصى) فعل ماض، و(الشيوخ) فاعله وهو جمع شيخ، و(الكمل) جمع كامل صفته، ومفعول (أوصى) محذوف أي أصحابهم وأتباعهم، وكذلك متعلقه محذوف أي به وهو العائد على الموصول، (الله) مبتدأ، و(وفقنا) فعل ماض، ومفعوله وفاعله مستتر يعود على (الله)، والجملة خبر المبتدأ وهي خبرية لفظا إنشائية معنى ويحتمل أن يكون لفظ الجلالة منادي حذف عنه حرف النداء و(وفق) فعل أمر وفاعله مستتر فيه، و(نا) مفعوله، و(له) متعلق به أي يا الله وفقنا لذلك، و(متفضلا) حال من الضمير المستتر، ومتعلقه محذوف أي متفضلا علينا به. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

علينا بذلك؛ فإن توفيقه من فضله. والجملة خبرية أريد بها الإنشاء بالدعاء. فالتوفيق شيء عزيز لا يناله إلا رجل عزيز. ثم حمد الله سبحانه على نعمائه التي منها إنشاد هذه القصيدة النافعة واتمامها فقال (**والحَمْدُ للبَاقِي**) دائما أبدا (**الرؤوفِ**)، أي كثير الرحمة، (**مُصَلِّيَاً أعْلَى الصَلاةِ عَلَى الرَسُولِ**) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**مُحَوْقِلا**)[1]، أي قائلا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الحول والقوة منه سبحانه لا يشاركه فيه أحد.

تمت هذه القصيدة مع الشرح بتوفيق الرحمن، وصلي الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لكاتبه مع والديه.

تمت هذه القصيدة مع شرحها بعون الملك المنان سنة ١٢٩٨ ثمان وتسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين.

** ** **

(١) إعراب البيت: (والحمد) الواو للاستئناف، و(الحمد) مبتدأ، و(للباقي) متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، (الرؤوف) صفة لـ(الباقي)، و(مصليا) حال من مقدر أي الحمد كائن لله الباقي الرؤوف مني حال كوني مصليا أي قائلا اللهم صل على سيدنا محمد فصاحب الحال ياء المتكلم المجرورة بحرف الجر المتعلق بلفظ الحمد، و(أعلى) مفعول مطلق وهو مضاف، و(الصلاة) مضاف إليه، و(على الرسول) متعلق بـ(مصليا)، و(محوقلا) حال ثانية من ذلك المقدر أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم. [من (ك) بتصرف].

Scanned by CamScanner

التعريفات الواردة في الكتاب

(الله) علم للذات الواجب الوجود، الجامع لجميع صفات الكمال.

(الرحمن)، أي مريد الإنعام على الخلق: بَرِّهم وفاجرِهم، وهو خاص بالله تعالى، لا يطلق على غيره.

(الرحيم)، أي مريد الإنعام على[1] المؤمنين، ويطلق على غيره، وإن كان معناه خاصا بالله تعالى.

(الْحَمْدُ)، هو الثناء باللسان على الجميل[2] الاختياري، سواء كان في مقابلة نعمة أو غيرها.

(التوفيق) خلق قدرة الطاعة.

(الصَّلاةُ) هي من الله رحمة مقرونة بتعظيم، ومن الملائكة استغفار، ومن الآدمي تضرع ودعاء.

(الرسول) إنسان جاءه الملك بالوحي، وأمر بتبليغه، و«النبي» يعمه وغيرَه، فهو أعم من الرسول على المشهور.

(الآلِ) وهم المؤمنون من بني هاشم وبني مطلب.

(الصحابي) من اجتمع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا ومات على الإيمان.

---

(١) في الأصل تكرر لفظ «على».

(٢) في الأصل: «جميل»، بدون الألف واللام.

Scanned by CamScanner

(التقوى) اتقاء الشرك، ثم المعاصي، ثم الشبهات، ثم الفضول.

والسعادة معاونة الأمور الإلَهية للإنسان على سبيل الخيرات.

(الهوى) وهو ميل النفس إلى خلاف ما يقتضيه الشرع.

(الحقيقة) وُصُولِهِ، أي السالك، لِلْمَقْصِدِ، وَمُشَاهَدٌ، أي مشاهدة، نُورَ التَّجَلِّي بِانْجِلاَ، أي بالانكشاف التام.

(الورع) هو ترك الشبهات؛ خوفا لله تعالى.

(الأولياء) هم العارفون بالله وصفاته حسب الإمكان، المواظبون على الطاعات، المجتنبون عن المعاصي، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات.

(التوبة) وهي الرجوع عن المعصية.

(القناعة) وهي الخروج عن الشهوات النفسانية والتمتعات الحيوانية إلا ما اضطر إليه من الحاجة الإنسانية.

(الزهد) وهو فقدٌ عَلاقةُ قلبِكَ بالمالِ لا فقدٌ لهُ.

(الزهد) عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة

(التوكل) وهو اعتماد القلب على الله تعالى.

(التوكل) وهو اعتماد القلب على الله تعالى. ويطلق على ترك الكسب اعتمادا على الله حال كونه (مُتَجَرِّدا) عن الأهل والأولاد.

(الإخلاص) أنْ لا تُريدَ بِطَاعةٍ.. إلّا التَقَرُّبَ، أي طلب القرب؛ (مِنْ إلَهِك ذي الكَلا)، أي الحافظ.

Scanned by CamScanner

(الإخلاص) إفراد الحق في الطاعة بالقصد.

(الإخلاص) وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق واكتساب محمدة.

(الرياء) طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائتهم خصال الخير.

(العزلة) وهي الخروج عن مخالطة الخلق إلا عن خدمة شيخ مرب له.

(الغيبة) ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء كان نقصا في بدنه كأعمش أو أحول، أو في نفسه كنبطي وهندي، أو في خلقه كسيء الخلق أو متكبر، أو في فعله كسارق أو كذاب، أو في قوله أو دينه أو دنياه، حتى في ثوبه أو داره ودابته.

(البهتان) ذكرك] أخاك بـ[ما ليس فيه.

(الترتيل) هو تبين الحروف وفصل كل كلمة عن أختها.

(التدبر) فهم ما يليق بالآيات كانكشاف أسرار أسماء الله تعالى عند قراءة أسمائه، وكَفَهْم صفات الله وجلاله عند ذكر خلق السماوات والأرض حتى يشهد في الفعل الفاعل، وكان شعار الخوف من سطوة الله ونعمته عند قراءة أحوال المكذبين، كتقدير أنه المقصود بكل خطاب/ يرد في القرآن، ونحو ذلك

(الصالحون) هم القائمون بحقوق الله وحقوق المخلوقين.

(الحلم) وهو ترك العجلة.

(الصبر) وهو حبس النفس عند الخروج.

(السكينة) الطمأنينة والوفاء.

Scanned by CamScanner

(الورع) وهو ترك الشبهات.

(الخشوع) هو التطامن وتطئطئ الرأس.

(التواضع) وهو ترك التذلل لأهل الديانة من العلماء والعاملين والفقراء الصالحين.

(الحسد) هو تمني زوال نعم الله عن أخيك المسلم مما له فيه صلاح

(الكبر) احتقار غيره مع استعظام نفسه لرؤية مرتبته

(علوم المعاملة) هو ما يراد به من علمه العمل ويرجع إلى معرفة أحوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والرضي والزهد والخوف والرجاء وما يذم منها كخوف الفقر والحسد والغل والكبر والرياء والطمع.

(علوم المكاشفة) هو ما يراد منه كشف العلوم فقط دون العمل وهو غاية العلوم بل هو المراد من جميع العلوم، وجميع العلوم إنما تراد للتوسل بها إليه.

** ** **

Scanned by CamScanner

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ ـ **بروكلمان**، كارل بروكلمان، (تاريخ الأدب العربي)، الإشراف على الترجمة: د/ محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/ مصر، ١٩٩٣م.

٢ ـ **الجاوي**، محمد نووي (ت ١٣١٦هـ). (سلالم الفضلاء لخاتمة النبلاء على المنظومة المسماة بهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء). القاهرة/مصر، المطبعة الخيرية بحوش عطى بالجمالية. سنة ١٣٠٤ هـ.

٣ ـ **الذهبي**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ). (سير أعلام النبلاء)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. دمشق/سوريا، مؤسسة الرسالة.

٤ ـ **الزركلي الدمشقي**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (١٣٩٦هـ). الأعلام، الطبعة الخامسة عشر. دار العلم للملايين. مايو ٢٠٠٢.

٥ ـ **السبكي**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ). طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية. القاهرة/مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٣هـ.

٦ ـ **السلمي**، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن (ت ٤١٢هـ). (طبقات الصوفية)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت/لبنان، دار الكتب العلمية.

Scanned by CamScanner

٧ ـ **السيد البكري**، أبو بكر المكي بن السيد محمد شطا الدمياطي (ت ١٣١٠هـ). (كفاية الأتقياء ومناهج الأصفياء على المنظومة المسماة بهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء). القاهرة/مصر، المطبعة الخيرية بحوش عطى بالجمالية. سنة ١٣٠٤ هـ.

٨ ـ **القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥ هـ). (الرسالة القشيرية)، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف. القاهرة/مصر، دار المعارف.

٩ ـ **اللكهنوي**، عبد الحي بن فخر الدين الحسني اللكهنوي، ت: ١٣٤١هـ. (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، ويعرف أيضا بـ«الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام»، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار ابن حزم، بيروت/ لبنان.

١٠ ـ **المليباري**، الشيخ زين الدين بن محمد الغزالي (ت: ١٠٢٨هـ) (تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين)، مكتبة الهدى، كاليكوت/ كيرالا/ الهند.

١١ ـ **المليباري**، عبد النصير أحمد الشافعي المليباري، (تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية؛ الإصدار الثاني)، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، دار البصائر، القاهرة/ مصر.

١٢ ـ **النمر** (د/ عبد المنعم النمر) تاريخ الإسلام في الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، دار العهد الجديد، القاهرة/ مصر.

** ** **

Scanned by CamScanner

فهرس المحتويات

إهداء ٥

تقديم الشيخ عبد النصير أحمد الشافعي المليباري ٧

مقدمة المحقق ١١

جامع (فنان) الكبير الذي بناه الشيخ زين الدين الماليباري، ١٦

لمحة موجزة عن الناظم والشارح ١٧

الشيخ زين الدين، صاحب «هداية الأذكياء» ١٧

المبحث الأول: أسرة الشيخ زين الدين ١٩

المبحث الثاني: اسمه ونسبه ٢١

المبحث الثالث: مولده ونشأته وأساتذته ٢١

المبحث الرابع: عائلته ٢٤

المبحث الخامس: خدماته العلمية وأبرز تلاميذه ٢٤

المبحث السادس: مؤلفاته وآثاره العلمية ٢٨

المبحث السابع: وفاته ٣٢

ترجمة الشارح ٣٥

المبحث الأول: اسمه ونسبه: ٣٧

المبحث الثاني: مولده ونشأته ٣٧

المبحث الثالث: مؤلفاته ٣٧

المبحث الرابع: وفاته ٣٩

Scanned by CamScanner

وصف المخطوطة ٤٠
عملنا في الكتاب ٤٢
إسنادنا إلى الناظم والشارح رحمهما الله ٤٤
متن هداية الأذكياء ٤٧
مقدمة المؤلف ٦٣
السبب الباعث على تأليف الكتاب ٦٤
المصادر التي اعتمد عليها واستمد منها ٦٥
الكلام على البسملة والحمدلة ٦٩
الكلام على الصلاة على النبي وآله وصحبه ٧٠
التقوى هي الأصل الجامع لخير الدنيا والآخرة ٧٢
اتباع الهوى رأس الشر ٧٣
تعدد طرق المشايخ في السلوك إلى الله ٨٠
(مِنْهَا) أي من الوصايا (التَّوْبَةُ) ٨٢
أركان التوبة ٨٢
البراءة من حقوق الآدميين ركن من أركان التوبة ٨٣
وقاية التوبة وحفظها ٨٤
تعريف القناعة وما تحصل به ٨٨
و(مِنْهَا) أي من الوصايا (القَنَاعَةُ) ٨٨
و(مِنْهَا الزُّهدُ) ٩٠
الزهد المقدور للعبد وغير المقدور له ٩٢
شرف الزهد وبيان أنه سبيل تصفية القلب ونوال محبة الله ٩٢
درجات الزهد وبيان التفاوت بينها ٩٤

Scanned by CamScanner

الاقتصار على أقل المحتاج إليه من الدنيا ليس مانعا عن التوجه إلى الله ٩٥
لا يمسك الزاهد ما يكفيه لأكثر من سنة وإلا خرج عن حد الزهد..... ٩٥
العزوب أفضل من زواج المرأة التي تحض على الدنيا ولا تساعد على الطاعة ٩٥
هل الزواج من العبادات أم من المباحات؟ مذهب أبي حنيفة والشافعي في ذلك..... ٩٧
قطع الطمع عما في أيدي الناس والبذل لهم من لوازم الزهد..... ٩٧
ما يجب على المسلم تعلمه من العقيدة لدفع البدع والشبه الاعتقادية ٩٩
ما يجب على المسلم تعلمه من التزكية لتطهير القلب من الأخلاق المذمومة. ٩٩
الحث على المحافظة على السنن النبوية..... ١٠١
بيان أن التصوف هو الأدب وحث العلماء على الالتزام بالآداب..... ١٠١
أدب الفقهاء وأدب الصوفية ١٠٣
الحث على قراءة كتاب (عوارف المعارف) والاعتماد عليه ١٠٣
متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله هي الدليل على الطريق ١٠٤
طريق المشايخ مقيدة بالكتاب والسنة ١٠٥
القول بإسقاط التكاليف عن العارفين إلحاد..... ١٠٧
الوصية بكتاب (رياض الصالحين) لمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم ١٠٨
الحث على الاهتمام بأمر الفرائض ١٠٨
النوافل سبب محبة الله وقربه ١٠٩
تعريف التوكل ١١١
حكم قعود المعيل عن الكسب لعياله ١١٣
التوكل باعتبار ملازمة أسبابه على ثلاث مقامات..... ١١٣

Scanned by CamScanner

تنبيه: التوكل في القوة والضعف على ثلاث درجات..... ١١٤
تنبيه: هل الاكتساب أفضل والتوكل أم الكف عنه اعتمادا على الله؟..... ١١٤
الطمع فيما في أيدي الناس يورث الذل والخزي بخدمة أبناء الدنيا ١١٥
تعريف الإخلاص والحث على الاعتناء به..... ١١٦
التحذير من الرياء..... ١١٧
الرياء خفي وجلي..... ١١٩
حكم العمل الممتزج بشوب من الرياء..... ١١٩
تنبيه: أصل الرياء..... ١٢٠
علاج الرياء..... ١٢٠
عدم إظهار الفضيلة للاعتقاد، أو معصية للانكار..... ١٢١
لا يتكامل إيمان المرء حتى يستوي في نظره رؤية الناس لعلمله ورؤية الإبل ١٢٢
طلب المنزلة في قلوب الناس منشأ الشر ١٢٤
تعريف العزلة والنهي عن صحبة غير أهل الصحبة ١٢٦
العزلة أولى إذا فسد الزمان وحيف من الفتنة..... ١٢٧
حكم الاختلاط بالناس في محافل الخير..... ١٢٨
قول البعض بتفضيل العزلة ولو في مشاهدة الخير..... ١٢٩
أغلب المعاصي ناشئة من الاختلاط..... ١٣١
آداب العزلة ١٣٢
الجليس الصالح خير من الوحدة..... ١٣٢
حرمة التعريض واللمز ١٣٣
الغيبة والبهتان..... ١٣٣
علاج الغيبة ١٣٣

Scanned by CamScanner

كفارة الغيبة ١٣٣
صرف الاعتناء إلى توزيع الوقت كله في الطاعة ١٣٤
النية الصالحة تصير أوقات المباح أوقات طاعة..... ١٣٤
صلاة سنة الصبح وفرضه مع الخشوع والتدبر..... ١٣٧
الحرص على الصلاة في جماعة..... ١٤١
اتباع طريقة المشايخ في التهليل والذكر..... ١٤٣
صلاة الإشراق وقراءة القرآن ١٤٧
أدوية خمسة للقلب..... ١٤٩
من آداب حملة القرآن: الزهد..... ١٥١
من آداب حملة القرآن: الجود والطلاقة ١٥٢
من آداب حملة القرآن: الحلم والصبر والترفع عن الأعمال الدنية..... ١٥٣
من آداب حملة القرآن: السكينة والورع والخشوع والتواضع ١٥٣
من آداب حملة القرآن: النظافة وسنن الفطرة ١٥٣
سبب العجب وعلاجه ١٥٥
التحذير من العجب ١٥٥
التحذير من الحسد..... ١٥٦
علاج الحسد ١٥٧
التحذير من احتقار غيره والاستعلاء عليه ١٥٧
من آداب حملة القرآن: الالتزام بالذكر المأثور ومراقبة الله في السر والعلن. ١٥٩
طلب باقي آداب حملة القرآن من كتاب (التبيان) للإمام النووي..... ١٦٠
الحث على تذكر الموت وذكر عظيم أثره على القلب ١٦٠
الناس في حالهم مع ذكر الموت ثلاثة: منهمك وتائب وعارف..... ١٦٢

Scanned by CamScanner

الاشتغال بعد صلاة الضحى بالعلم أو بالعبادة أو بالمعيشة ١٦٣
فضل العالم ١٦٥
مرتبة التعلم وجلالة قدره ١٦٧
فضل العلم على صلاة النافلة ١٦٩
فضائل العلم مختصة بمن قصد به وجه الله ١٦٩
حال العالم الذي لا يعمل بعلمه ١٧١
بيان معصية من يطلب العلم لغير الله وأحكامه ١٧٣
بيان معصية من يعلم من يطلب العلم لغير الله ١٧٤
من علامات من يطلب العلم لغير الله: الإكباب على الشهوات والتكالب على الدنيا ١٧٥
من علامات من يطلب العلم لغير الله: ترك الصلاة جماعة وترك السنن ... ١٧٧
من علامات من يطلب العلم لغير الله: تعاطي علم فرض الكفاية قبل فرض العين ١٧٧
وجوب تصحيح نية المعلم ١٧٨
من علامات علماء الآخرة: أن لا يخالف قوله فعله ١٧٩
من علامات علماء الآخرة: عدم طلب الدنيا ١٧٩
من علامات علماء الآخرة: العتناء بالعلم المرغب في الطاعة، والبعد عن الجدال ١٨١
من علامات علماء الآخرة: اجتناب الترفه والميل إلى القناعة ١٨٣
من علامات علماء الآخرة: الانقباض عن السلاطين إلا للنصح أو دفع المضرة ١٨٤
من علامات علماء الآخرة: عدم الإسراع إلى الفتوى، وقول «لا أدري» .. ١٨٥

Scanned by CamScanner

من علامات علماء الآخرة: الحزن والانكسار والإطراق والصمت وآثار الخشية ١٨٦
من علامات علماء الآخرة: قصد الآخرة بالعلم والاهتمام بعلم الباطن ١٨٧
من علامات علماء الآخرة: الاعتماد على تقليد الشريعة مع البحث في أسرارها ١٨٨
أصحاب المذاهب المتبوعة كانوا متصفين بصفات علماء الآخرة ١٨٩
علماء هذه الأزمان قد تابعوا الأئمة في الفقه فقط دون الخصال المذكورة.. ١٩٢
الحث على تعلم العلم النافع وتعليمه لله..... ١٩٣
من آداب المتعلم: الاستفسار وترك ما يظهر لبديه الفهم ١٩٥
الحث على تصحيح الكتاب قبل المطالعة، والبدء بالمتون قبل الشروح ... ١٩٦
العلم بالله وصفاته ما يجب منها وما يستحيل وما يجوز ن أجل علوم الشريعة وهو فرض عين..... ٢٠٠
الحث على مطالعة (الإحياء) للإمام الغزالي..... ٢٠١
بيان آداب الأكل..... ٢٠٣
بيان آفات الشبع..... ٢٠٤
الحث على القيلولة..... ٢٠٦
صلاة الظهر ٢٠٧
الحث على مطالعة كتاب (الأذكار) للنووي والعمل بما فيه ٢٠٩
آداب النوم..... ٢٠٩
مضاجعة الزوجة لا ينقض النوم على طهر ٢١١
الحث على التهجد والقيام ٢١٢
ذكر ما يعين على التهجد ٢١٥

Scanned by CamScanner

الأمر بالمواظبة على هذا السلوك وقصر الآمال ٢١٧
المتبحر يستغرق أوقاته في العبادة..... ٢١٨
أفضل الطاعات حفظ الأنفاس بذكر اسم الجلالة (الله) ٢٢١
المجاهدة هي الركن الأعظم في نيل المطالب العلية ٢٢٣
الركعة من العارف خير من ألف ركعة من العالم..... ٢٢٥
اللحظة من سرائر العارفين بالله أفضل من أعمال الثقلين..... ٢٢٧
ذكر طرق المجاهدة ٢٢٨
خاتمة..... ٢٣١
التعريفات الواردة في الكتاب ٢٣٣
أهم المصادر والمراجع ٢٣٧
فهرس المحتويات..... ٢٣٩

** ** **

Scanned by CamScanner

صدر حديثًا

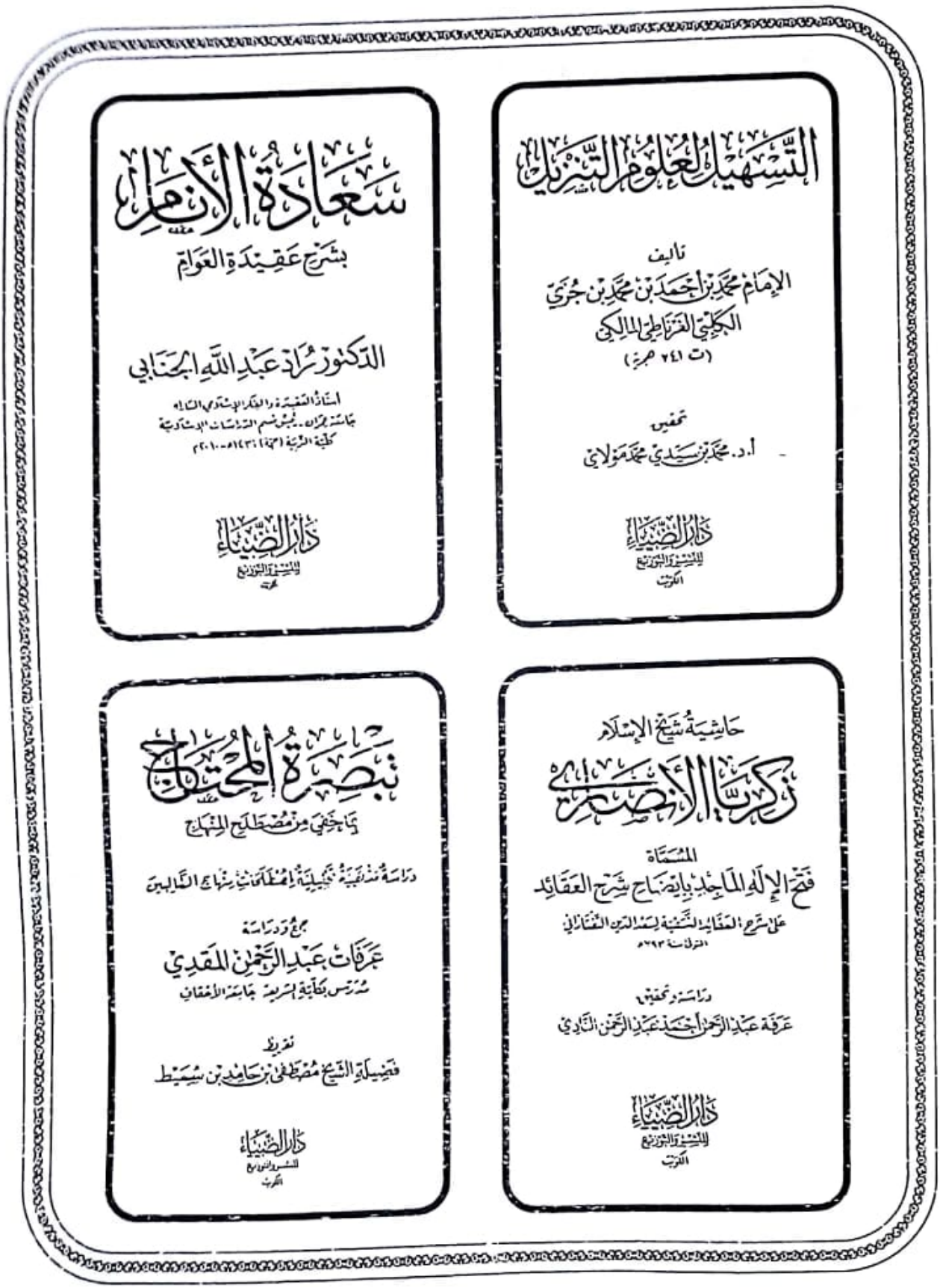

Scanned by CamScanner

شرح

بحر العلوم

أبي العباس، عبد العلي بن نظام الدين محمد السهالوي الفرنجي اللكنوي
(١١٤٤ - ١٢٢٥هـ = ١٧٣١ - ١٨١٠م)

على

سلم العلوم

في علم المنطق

للإمام الشيخ رب الله بن عبد الشكور المحبي البهاري الهندي
صاحب «سلم العلوم» (ت: ١١١٩هـ) رحمه الله

دراسة وتحقيق

عبد النصير أحمد الشافعي الليباري

مدرس في الفقه والتفسير بجامعة الأزهر

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

الشرح المليح

على مقدمة غرامي صحيح

تأليف

الإمام العلامة أبي محمد محمد بن محمد السنباوي المالكي الأزهري
المعروف بالأمير الكبير
(١٧٥٧ - ١٨٢٢م)

عناية وتقديم وتعليق

أ.د. علي جمعة محمد
مفتي الديار المصرية وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

نشر لأول مرة من نسخة خطية نفلت عن نسخة المؤلف

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

درر المعرفة

من تفسير الإمام ابن عرفة

المتوفى سنة (٨٠٣هـ) رحمه الله

جمعها

نزار حمادي

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

تدريب السالك

إلى

قراءة أقرب المسالك في مذهب الإمام مالك

تأليف

العلامة الفقيه المحرر الذاكر
الشيخ عبد العزيز بن حمد آل الشيخ مبارك النجدي المالكي الأحسائي
المولود سنة ١٣٦٠هـ

اعتنى به وعلق عليه

د. عبد الحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك
مدرس الفقه المالكي بالأحساء

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

تقديم
د. عبد النصير أحمد الشافعي المليباري

الحمد لله الذي حلى سرائر الأحرار بالعقائد الصحيحة المنجية في دار القرار، وهذب ظواهرهم بأسرار الطهارة، وبواطنهم بطهارة الأسرار، وجعل خواطرهم خزائن لدقائق معارفه المحفوفة بالأنوار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفيه المختار، الذي أحيى الله به القلوب إحياء الأرض بوابل الأمطار، وعلى صحابته الخيرة الأبرار وآل بيته السادة الأطهار، والتابعين لهم بإحسان، أولئك لهم عقبى الدار، وبعد،،،

فمن توفيق الله للعبد ولطفه به أن يشغل حياته وأوقاتَه بما ينفع الناس، في دنياهم وأخراهم، وإن من أنفع الأشياء بلا شك العلمَ بالله عز وجل، والفقهَ في دينه، من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، وهذا العلم هو الذي يتناوله ويعالجه علم التصوف. وقد أُلِّفتْ فيه عشرات بل مآت الكتب، اهتدى بها من اهتدى، وانسلك بها من انسلك، وما زالت مكتباتنا في الأقطار الإسلامية عامرة وثرية بهذا التراث المبارك، لم يطبع منه إلا القليل بل أقل من القليل.

ومن أفضل كتب هذا الفن كتاب «هداية الأكياء إلى طريق الأولياء» للإمام الشيخ زين الدين المليباري الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتاب منظوم سهل الحفظ والفهم، وقد اختاره مشايخنا وكذا مشايخهم في «مليبار» ضمن المنهج الدراسي في مادة التصوف منذ ظهر الكتاب، ودرسناه في الصغر، ولا نزال ندرسه

Scanned by CamScanner